أول سبتمبر سنة ١٩٣٢
ربيع الثانى سنة ١٣٥١

المعرفة

الجزء الخامس
السنة الثانية

مجلة — شهرية — جامعة
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول
عبد العزيز الإسلامبولي

المجلد الثالث — شعارها : اعرف نفسك بنفسك — العدد ١٧

سعد زغلول

المثل النادر بين الرجال الخالدين

[كتبت يوم ٢٣ أغسطس ١٩٣٢ ، لمناسبة الاحتفال باحياء الذكرى الخامسة لوفاته]

رجولة سعد . .

وقف المؤرخ الألمانى (أميل لدويج) حيال قبر (نابليون) فى (الانفاليد Invalides) قبل أن يكتب رسالته المستفيضة عنه — وكانت المقبرة زاخرة بجماهير الوافدين عليها من كل فج، لتشهد هذه الرموس التى تضم أجداثاً ما تزال أسماء أصحابها داوية فى كل أذن ، جارية على كل لسان — فكان من شأن (لدويج) أن هتف بهذه الجماهير — وهو يشير بكلتا يديه إلى مقبرة الأمبراطور العظيم — قائلا : « أيها السادة : طأطئوا رءوسكم ، فهذا هو الرجل . . ! ! »

وها هى ذى الرواية بنفسها تنتقل من باريس لنشهدها فى القاهرة ؛ فكلما وفد على قبر « سعد » وافد ، وكلما انتهى إلى ضريحه زائر من أى جانب من جوانب الأرض ، لا يستطيع إلا أن يردد الكلمة الرائعة التى تخيرها (لدويج) ، فيقول لأولئك الذين تحتشد بهم مقبرة «سعد» فى كل ساعة من سواع النهار : « أيها السادة : طأطئوا رءوسكم فهذا هو الرجل! » ، ذلك لأن رجولة « سعد » كانت طليعة ميزاته ، كما كانت باكورة خصائصه جميعاً .

وإذا كانت رجولة (نابليون) قد اكتملت له فى تلك المرحلة التى أراد فيها اجتياز سهول (الألب) لينال أطماعه من إخضاع (روما) لنفوذ الفرنسيين ، بينما كانت هذه السهول

مستعصاة ـ حتى على الرواد الذين أرادوا اجتيازها فى أناة واتئاد ـ ، وإذا كان ذلك الرجل الفرنسى قد بلغ فى تلك المرحلة غاية الشأو من أحلامه ومن أمانيه ؛ فان رجولة « سعد » قد اكتملت له فى المرحلة التى اندفع فيها ـ وكان شاباً موفور الشباب ـ مع الذائدين عن وطنه فى ثورة عرابى ... حتى إذا ما انتهت الثورة ، وانتهى معها ذلك الدوى الذى أحدثته فى كل جانب من الدنيا ، بقيت هذه الرجولة تحفز « سعداً » إلى أن يتخير الفرصة السانحة للهتاف بأمانى أمته ، والنداء بتقرير مصيرها وتحقيق مكانها بين الشعوب ...حتى إذا ما واتته الفرصة السانحة بعد الحرب ـ وكان الرجل قد جاوز مراحل الفتوة ،وسن الشباب والقوة ـ لم يجد من نفسه ما يمنعه من احتقار العسف،وازدراء الجبروت،ومحاربة القوة الغشوم، والهتاف بهذا الأمل الذى بقى حتى اليوم فواراً دوياً ،جامحاً قوياً .

هذه الرجولة فى « سعد » لم تكن وليدة التصنع ، ولا ربيبة الانفعال الوقتى ؛ وإنما كانت بعض نفسه ؛ وإنما كانت واحدة من جوارحه التى درج معها وخلقت معه .

وهذه الرجولة فى « سعد » هى التى مكنت له أن يقود الجماهير ، لأن الرجل الكامل لا يستطيع أن يستطيب لنفسه جانباً من جوانب الضعف ، وإنما يتخير صفات الرجولة الواضحة الصريحة ليطلع بها على الجماهير ، حتى يعلم كل فرد أنه المثل الكامل ، وأنه القدوة المنشودة .

وهذه الرجولة فى « سعد » هى التى أتاحت له أن يتعرف إلى كل شىء ، وأن يكون عرفانه لكل شىء قائماً على حقيقة واحدة ، هى قياس الأمور قياساً منطقياً صادقاً بعيداً عن المغالاة،حتى يضمن لأمته وجوه الفوز فى كل ما يلابس من هذه الأمور ، وحتى ينأى بأمته عن هذه الوجوه الغامضة التى لا تتفتح عن بشر ، ولا تفصح عن دفين .

وهذه الرجولة فى « سعد » هى التى حببته إلى مواطنيه ، وحببته إلى كل شرقى ، وحببته إلى كل أمة تنشد الحياة حرة طليقة ، لأنها خلعت عليه إهاباً من القوة حين يريد أن يزأر ، ولوناً من الامتاع حين يريد أن يسمر ، وفيضاً من السداد حين يريد أن ينتقم ويثأر .

وهذه الرجولة فى « سعد » قد واتته ـ آخر الأمر ـ بألوان من الخصائص ، فيها ما يستطيبه الرجل المثقف ، وفيها ما يلذ رجل الشارع ؛ وتلك ميزة « الرجل الكامل » الذى يستطيع أن ينفذ برسالته إلى الشغاف ، ويدع لها فى كل قلب مستقراً .

والخلاصة أن رجولة « سعد » كانت أميز ميزاته ، وأطيب خصائصه ، لأنها أجدت عليه حياة كلها صراحة ، وكلها نفع ، وكلها خير .

صراحة سعد ...

أما صراحة «سعد» ،فحسبك منها تلك الثورة الهائلة القوية التى مزق بها ستر المستعمرين، والتى ثلم بها كل عاطفة من عواطفهم الشريرة المستورة ... حتى إذا ما شاء أن يطلق على

خصومتهم لقباً يعرفهم به إلى الأجيال، ويقدمهم به الى مواطنيه وإلى غير مواطنيه من مختلف الشعوب ، لم يكن من شأنه أن يجازف بالحق فى ذمة الخصومة ، وإنما أطلق عليهم لقب « الخصوم الشرفاء المعقولين » ؛ وحسبك من هذه الصراحة أن يفصح الرجل عن ضعف أمته، ذلك الضعف الحربى الذى لا تستطيع معه أن تقهر الانجليز بغير سلاح الحق ، وسيف الحجة..!

وإذا كانت هذه الصراحة قد استغلها بعض المواطنين فى حياة « سعد » ، وإذا كانوا قد حملوها أعباءاً من الزراية والتحقير ؛ فما من ريب فى أنها بقيت – حتى اليوم – جماع القول السديد ، لأن أحداً من رجال السياسة لم يقل عن خصومة الانجليز إلا أنها خصومة شريفة ، ولم يدع إلى قتالهم بالمدفع والسيف ، لأن مصر يأبى عليها القدر الساخر، بل يأبى عليها الاحتلال الباطل والقوة الغشوم إلا أن تكون فى وجهة الحرب مهيضة الجناح .

وحسبك من هذه الصراحة أن « سعداً » لم يكن من أولئك الذين يصبرون على القذى، أو من أولئك الذين يكظمون الغيظ ، وإنما كان يجرد لسانه على خصومه وأشياعه على السواء، لأنه يريد من خصومه أن تكون خصومتهم قائمة على دعامة من الصدق ، ويريد من أشياعه أن يكون انتصارهم له وليد عاطفة صادقة لا ظل معها لمصلحة منشودة ، أو أمنية مرتجاة .

وحسبك من هذه الصراحة أن « سعداً » لم يكن من أولئك الذين لا يغتفرون الذلة ، ولا يضعون أيديهم فى أيدى أعداء الأمس القريب ، وإنما كانت نفسه الخيرة الجليلة تنشد الوحدة والاتحاد ، وتنشد معهما الصدق فى القول ، والاخلاص فى العمل . . . وأولئك الذين كانوا يستمعون إلى « سعد » خطيباً يقرع خصومه بالكلمات اللاذعة ، أو يقرءون له كاتباً يقذف على رءوسهم صيباً من النار المحرقة، ويمسك بتلك الرءوس ليدفع بها إلى جوف البركان.. أولئك قد أدهشهم من « سعد » أن يكون معهم فى أخريات أيامه على خير ما يكون الصديق الوفى حيال صديقه الوفى ، وعلى أحسن ما يكون الرجل للرجل إخلاصاً ووداً . . . ولكنها صراحة « سعد » ، قد ألزمته هذا الموطن حين رأى فيه الخير لوطنه كل الخير .

سياسة سعد...

وإذا كانت هذه الصراحة من «سعد» قد حققت له حياة لا غموض فيها ، ولا ستر عليها، فانه قد عرف – مع ذلك – كيف يساير رجال السياسة فى ذلك الأسلوب الذى ينتزعون به تأييد الجماهير ، ذلك أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ...!

وما نريد فى هذه العجالة أن نقص عليك المثل المستفيضة ، وإنما نريد أن نقص عليك بعض المثل : فقد استمع « سعد » إلى أحد الخطباء الذين وفدوا عليه من الريف فى جماعة من الفلاحين ، وكان الخطيب « الريفى » يؤدى خطبته بكلمات عامية لا أثر فيها لتزويق القول أو تنميقه . . . فلم يكن من «سعد» إلا أن يخطب أيضاً..وإلا أن تكون خطبته هى الأخرى « عامية » لا يجرى فيها التشبيه إلا مع المحراث والزرع، ولا يقتنص فيها الاستعارة إلا من

صميم الاصطلاحات التي يستعملها الريفيون حين يتحدثون ! فأى أثر أبلغ من هذا الذى أثرت به هذه الخطبة « العامية » فى تلك النفوس الساذجة التى انطلقت إلى « سعد » لتشهده وتسمع إليه . . ؟

وبينما كان « سعد » يستقبل الوفود الوافدة عليه لتهنئته برئاسة الوزارة ، وبينما كان يخطب وفداً ـ قدم عليه من « دار العلوم » ـ خطبة فيها كل ما وسعته اللغة العربية من ألفاظ ساحرة ، وكلمات آسرة ، إذا بفناء « وزارة الداخلية » يضيق بهذه الجموع التى انتهت إليه من طبقة « الحوذية » ، وقد زينوا جيادهم ، واحتملوا فى أيديهم الأعلام ... ثم مضى خطيبهم يزاحم العواصف فى صوتها الأجش ، ويهتف بـ « سعد » إلى أن يعمل على إلغاء (الترام) لأنه يعوق طائفته عن الكسب . . ! وأن يعمل على إلغاء بعض القيود التى قيدهم بها رجال الأمن ، لأنها تعوقهم عن السبح فى شوارع العاصمة . . ! أترى أن « سعداً » حقق لهم ما يأملون فألغى (الترام) وقص أطراف تلك القيود ! ؟ أم ترى أنه قد جابههم بالحقيقة المرة ، فتركهم يغادرون فناء الوزارة ، وقد خلعوا الزينة عن خيولهم احتجاجاً على الزعيم . . ؟ إنه لم يحقق لهم أملا ، ولم يدفع إلى وجوههم الكآبة ، وإنما أخذ يتفكه معهم ويتندر فى القول . . حتى أنستهم الفكاهة آمالا جساماً شاءوا أن يحققوها . . فتركوا دار الوزارة هاتفين . . ! وهكذا يكون أسلوب السياسيين ! !

سعد الخطيب ...

وأما « سعد الخطيب » فالحق أن القول كله ينفد دون أن يبلغ الكاتب من أداء هذه الميزة ما يريد . . ! ذلك أن « سعداً » لم يكن خطيباً من خطباء المنابر حتى تتجرد مواهبه من ميزة الابتكار ، ولم يكن كذلك خطيباً من خطباء « المناسبات » المعروفة فى المآتم والأفراح ، حتى يضع لهذه المناسبات كلماتها التى لا تتغير ولا تتبدل ، وإنما كان الخطيب الذى يطلق لسانه فى كل موطن ليأخذ عنه « وحى الساعة » ، فأى خطيب كان ؟ وأى سحر فيه ؟

كان صوته قوى النبرات ، فيه سحر ، وفيه أسر ، وفيه سلاسة ، وفيه انسجام ، وفيه جاذبية ، وكان ـ إلى ذلك ـ صوتاً طيعاً لا ينساق عن عى ، ولا يمضى عن تلكؤ ، وإنما كان الزوبعة حين يهدر ، والعاصفة حين ينطلق ، والموج حين يدوى ، والنغمة الساحرة حين يستقر !

وكانت الألفاظ تزدحم فى هذا الفم القوال ، وعلى ذلك اللسان الجوال . فلا تستطيع أن تقف « لسعد » ـ حين يقول ـ على موضع من مواضع الفهاهة : أو الفأفأة ، أو الصمت فى غير أوانه . أجل : إنك لم تكن لتستطيع الوقوف على شىء من ذلك مهما حاولت ، وقد حاول ذلك كثيرون غيرك من قبل ، ومنهم كاتب هذه السطور ، فلم يفلحوا وآبوا بخفى حنين ، ورجعوا إلى أشياعهم رجوع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ، ذلك لأن كلمات « سعد » كانت تمضى إلى آذان مستمعيه كالحلقة المفرغة آخذ بعضها برقاب بعض ، حتى إذا ما استقرت فى الآذان ، وانتهت إلى الأذهان ، تلفت الباحث ليعد ما فيها من مواقف النبو عن موضع الهدف ، فاذا به لا يقف على شىء ، لأن « سعداً » كان يدرى موقفه حتى فى الساعة التى يهدر فيها هدير الأسد حين يريد التهام الفريسة ! ! .

وإنى لأذكر أنه وقف مرة يخطب إثر عوده من مفاوضة (مستر ماكدونلد)، وبينما كان منطلقاً كالسهم، ماضياً كالقذيفة، إذا به يعثر عثرة لغوية واحدة لم يحفل بها ـ لأنها من ذلك النوع الذى يحتمل المستمعون أشباهه من ألسنة الخطباء ـ، ولكنه لم يرض لنفسه، حتى أضأل مواقف الزلل، فعاد إلى هذه الكلمة، يعقب عليها بتصحيح ظريف، معقباً عليه بقوله: (مش كده يا مشايخ؟!!) ولم لو يكن «سعد» يدرى موقفه حين يخطب، ولو لم يكن من أولئك الذين لا يفلت زمامهم من أيديهم، أكانت هذه الزلة ـ على تفاهتها ـ تنال منه هذا الجهد، وتدعوه ـ فى ذمة تصحيحها ـ إلى هذا العناء؟

وإذا كانت هنالك من حجة تصور لك تأثير خطب «سعد» فى سامعيه، فخير لنا أن نسوق إليك حجة فيها سذاجة، وفيها طهر، ولكن فيها عبرة وأى عبرة.

كان الفقيد العظيم يخطب فى (نادى سيروس) وكان يصور للجماهير تصريح ٢٨ فبراير بأنه كالناقة التى وضع صاحبها فى رقبتها حذاء، ثم مضى بها إلى السوق، وكانت الناقة على شىء من الجمال والقوة، فلما أراد «الاعرابى» أن يشتريها، وأن يساوم صاحبها الثمن المعقول، كان أن قال صاحبها له: «إنها دون هذا الحذاء المعلق فى رقبتها لا تساوى إلا جنيهاً واحداً، وأما هى مع الحذاء فلا تساوى أقل من ألف جنيه»، وليس من شك فى أن الاعرابى لا يريد الحذاء، وإنما يريد الناقة، وهكذا قال لصاحبها: (طيب ما تاخذ الجنيه وتشيل الحذاء)، فأجاب صاحب الناقة: «لن أبيعها إلا معه»، فعقب عليه الأعرابى متحسراً: (والله! الناقة كويسة بس لوما كانش ـ فى رقبتها ـ الملعونة!!)

قص «سعد» هذه القصة ثم ضحك.. ثم دوى المكان كله بهذا الصوت الهائل الذى أحدثته أكف المصفقين؛ ثم سكت الناس، ولكن هذه «الضحكة» لم يكن أثرها الساحر قد غادر واحداً من المستمعين.. فما كاد «سعد» يعود إلى القول حتى وقف هذا الذى ما تزال «الضحكة» مؤثرة فيه، وقال فى نغمة هستيرية حادة:

ـ الله يا باشا! دانت ضحكتك حلوة! حلوة قوى والله؟!!

ألا يدل هذا على أن تأثير «سعد» كان التأثير الذى يلهب النفوس؟؟

وما لى لا أزيد القول صراحة ووضوحاً وجلاء، فأقول لقراء «المعرفة»: إن كاتب هذه السطور، كان من أولئك الذين يعارضون جنود «سعد» أوفر معارضة، ويتميزون من سياسته ـ فى إحدى مراحلها ـ غيظاً، حتى إذا ما أتيح لى أن أذهب إليه كارهاً فى ليلة كان يخطب فيها الجماهير تمجيداً لعيد الجهاد الوطنى عام ١٩٢٣ ـ فلما أن بدأ يخطب دلفت عواطفى المتأججة خصومة له إلى الفرار، ولما أن اكتمل سحره فى القول والتوجيه رأيت معارضتى له تنال من نفسى مكانا غير محمود، حتى إذا ما تركت الحفل صحبة صحب لى؛ وددت لو أن الأثير لا يعيد إلى أذنى تلك الكلمات التى فاض بها لسان «سعد»، ذلك اللسان الذى لم تبخل المقادير عليه بما فى طوق اللغة أن تؤديه من ألفاظ الاعجاب والتقدير، ووددت لو ظل «سعد» طيلة

الدهر صامتاً لا يقول ، ساكتاً لا ينطلق لسانه ، لأن «الغيظ» قد أوحى إلى نفسى أن تفوذ «سعد» قد هيأ له هذا السحر يزجيه من فيه ، فاذا هو لا يزيد فى خصومه ، وإنما يدفع إليه فى كل «خطبة» أنصاراً أوفياء .

ثم ماذا ؟! ! ثم تبدو لنا ظاهرة رائعة فى «سعدالخطيب» ، هى أنه كان يغذى نفسه بالخطابة ، حتى ليقف فى مستهل حديثه إلى الجماهير متثاقلا بادى الضعف، يستأذنهم فى أن لا تزيد خطبته عن دقائق معدودات ، فاذا انطلق ، وإذا انطلق ، كانت هذه الدقائق ساعات بأكملها ، بل إنه ليدهشك أن يكون «سعد» يوم المؤتمر الوطنى الذى عقدت فيه أواصر الائتلاف عام ١٩٢٦ ، يدهشك أن يكون فى هذا اليوم -وقبل أن يأزف موعد الحفلة بدقائق- مريضاً مسجى على سريره كأنه يستقبل رسول الموت ، بينما كان أنصاره يبكون ويتوجعون من حوله ، حتى إذا ما تشجع أحدهم وأسر إليه فى أذنه بأن المؤتمر قد أصبح على أبواب الانعقاد ؛ أترى أن «سعداً» بقى حيث هو فى سريره ؟ كلا! إنه تركه متثاقلا، واتشح ملابسه متثاقلا، وذهب إلى المؤتمر متثاقلا، ولكنه حين أخذ يلقى على المؤتمرين خطبة الافتتاح ، كان قوياً حين يجار، وكان عنيفاً حين يندفع ... حتى لقد تهامس أولئك الذين كانوا من حوله يبكون من ساعة واحدة ، «أية قوة جبارة ، بل أية معجزة تلك التى أتاحت لهذا الشباب أن يعاود الرئيس ، بل الشيخ الكبير ؟!»

سعد الأديب ...

وأما «سعد الأديب» ، فما يحق لنا أن نستهل القول فى بحث خصائصه من هذا الجانب، قبل أن نذيع فى صراحة وصدق ، أن هذا البحث يدق على فاره الأقلام ، ودقيق الأفهام، لأن «سعداً» فى ناحيته الأدبية مدرسة جامعة ، فيها لكل طامع ما يحقق له كل أطماعه ، وفيها لكل منقب ما يوفر له النجاح فى جهوده التى يتعهدها التنقيب والدرس والاستقصاء والتحليل.

جمع «سعد» بين ميزات «الأديب» و «المنشىء» ، فكان أديباً مبتكراً يوحى قلمه إلى الناس رسالة الخلود ، وكان له العقل الخصب الذى يقود إلى قلمه «المواضيع» الجديدة ليدبجها فى تلك الصورة الساحرة التى عرفت بها رسائله .

ولم تكن هذه الميزة فيه وليدة الحقبة الأخيرة من حياته ، وإنما كانت مؤتلفة معه منذ الساعة التى عرف فيها كيف يكتب ، وفى تلكم الرسائل البليغة التى نشرها خلال نصف قرن فى «الوقائع المصرية» ، حين كان يحررها صحبة المرحوم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده .

فى هذه الرسائل ما يغنى الباحث عن التلفت إلى اقتناص الدليل الحاسم ليدعم به هذا الرأى المعقول ، فقد كانت هذه الرسائل جامعة لألوان من البحوث الدقيقة فى الشرائع والاجتماع ، وكانت آراء «سعد» فيها هى الاراء التى ما تزال موضع العناية من جماهير المفكرين حتى اليوم ، وإذا أنت علمت أنه كتبها فى صدر شبابه ، وفى أول مرحلة صاحب فيها الجماهير، راعتك منه تلك الخصوبة الكاملة التى احتواها عقله الرشيد.

وكان «سعد» – مع ذلك – منشئاً فذاً ، يتخير الألفاظ المصقولة ليقدم بها المعنى المعقول ، ويتعهد الجمل الرشيقة فيصبها فى قالب من الجمال والامتاع والفتنة، دون أن يتجه بهذا الأسلوب الأخاذ إلى غير ما تحتمله طبيعة الفكرة التى يدعو إليها .

وفى هذا كله ما يحقق لنا أن « سعداً » كان « أديباً » يساير المنطق ، وكان « منشئاً » يتأثر التجويد ، ويقتنص الطرائف من بين القديم والجديد .

وإلى جانب هذه الميزة التى عرف « سعد » كيف يحرص عليها جهده، ترى أنه – فى أسلوبه الكتابى – لم يكن من أولئك الذين يعيشون فى ظل الاستعارات ، يمدون إليها أقلامهم ، فلا تعود إلى القرطاس إلا بالفكرة المعقدة ، والجملة المعقدة ، وإنما كان يبغض « الاستعارة » ولا يهتف بها ، ولا يدعو إليها . . وكان « سعد » يحبب إلى قلمه أن يجول حين يكتب ، وأن يتبسط فى القول ، وهذا أثر من هذه الثروة اللفظية التى اكتنزها فى رأسه ، بل هو أثر من خاصة الخطابة فيه ؛ لأن الخطابة – وقد تعودها فى أخريات أعوامه – كانت جماع ما فى ذهنه من ألفاظ ؛ ولأنها قد أثرت فيه حتى أصبح من شأنه – حين يريد أن يكتب – أن يستحضر موقف الخطابة ، فيملى على كاتبه ما يريد أن يقول .

سعد المحدث . . .

وإنه لحق صريح أن يعود إلى « سعد » وحده فضل عمل جليل ، هو ذلك الذى رفع به من أسلوب المحدثين ، ومن أسلوب السياسيين ؛ فقد كان فى أحاديثه الرجل الذى لا يعرفه العى ، ولا يتأثره التعقيد ، ولا تسعى إليه الركاكة ، بينما كانت هذه الحقائق المرة كل ما فى اساليب المحدثين والسياسيين من قبله ؛ وقد كان فى كتاباته الرجل الذى ترك خلفه هذه الجمل المؤتلفة من كانت ، إن دلت على شىء ، فانما تدل على: فقر فى الأداء ، وعدم فى التوجيه ، وفاقة فى تنويع الحديث ، وعجز فى تقريب المعنى المنشود إلى ذهن القارىء تقريباً يحمله على الايمان به فى صدق ويقين ، أو التألب عليه فى صدق ويقين أيضاً .

سعد المناظر ...

كذلك كان « سعد » مناظراً معدوم النظير ، فقدكانت أحب الساعات وأطيبها لديه ، وأبقاها فى نفسه ، وأدعاها إلى تقتيره وحرصه ، تلك الساعات التى يمضى فيها إلى محدثيه فى جدل ينطوى على بحث يشذبون أطرافه ، ويقتحمون عليه الأبواب ، لينتهوا منه إلى الجوهر واللباب .

والواقع أن « سعداً » كان يمثل الطليعة بين رجال الجدل والمناظرة فى العصر الحديث، لأنه – كخطيب رائع يعنى بتوجيه حديثه توجيهاً موفقاً – كان لا يسأم الجدل ولا يمله ولا يتبرم به ، وكانت الأدلة الحاسمة تنساق من لسانه كالقذائف ، وكانت تمضى إلى أسماع محدثيه عفو الساعة ، لأنه أوفق خطيب زاول الارتجال .

على أن « سعداً » لم يكن يثقله فى جدله إلا أن يجاهد مع من يجادله فى تقريب الفكرة

المعقولة إلى ذهنه ، ذلك أن الحقائق حين لا تجد من يؤمن بها إيماناً سريعاً ، إنما تدعو من يقول بها إلى السأم والملال .

وأكبر الظن عندى أن براعة « سعد » فى الجدل إنما كانت أثراً من آثار تلك «الجلسات» التى كان يمضيها فى (صالون البرنسيس نازلى هانم) أيام شبابه . . . فقد تميزت هذه الجلسات بما تتميز به جلسات النوادى الأدبية من تنويع فى الحديث ، ومن تنويع فى البحوث ...

ولقد أثرت هذه «الجلسات» فيه أثراً آخر حيث مكنت له أن يكون (محامياً) جم السداد فى ما يضطلع به من أعباء الدفاع ... وتسألنى كيف كان ذلك ؟ فأقول لك إن الحديث فى مثل (صالون البرنسيس) كان لا يجرى إلا بين الصفوة المختارة من عظماء المصريين ، وأنت تعلم أن أحاديث العظماء فى القرن التاسع عشر وفى طليعة القرن العشرين كانت لا تأخذ مكانها فى موطن اللهو إلا بمقدار ما تروح به عن جمود البحوث العويصة فى الأدب والعلم ، وما يتصل بالأدب والعلم من ذيول وأسباب .

وما من ريب فى أن صالون (البرنسيس نازلى هانم) قد أتاح لسعد أن يسجل طائفة من مواهبه الكمينة ، ويذيع زمرة من آرائه السديدة ، ويفشى فى من يختلف إليه وجوه مستقبله العظيم ... وما من ريب فى أن هذه المواهب ــ وحدها ــ هى التى حببت إلى (البرنسيس) أن تسعى جهدها حتى يصاهر «سعد» وزير الدولة الأول المرحوم « مصطفى فهمى باشا »، لأنها رأت فيه الرجل الكفء ، ورأت فى مستقبله ــ بثاقب رأيها ــ المستقبل الساطع الوضاء .

والواقع أن « سعداً » كان الزوج الذى خلصت نفسه من شوائب الصغار ، فلم تذكر له « أم المصريين » يوماً عبوساً ، ولا ساعة قاتمة ، ولا لحظة من لحظات القلق والتبرم والضيق ، على الرغم من فقدانهما سوياً تلك الآصرة ــ آصرة الأبوة ــ التى تجمع بين الزوجين سواء أكان اجتماعهما عن صفاء وحب ، أو عن كراهية وبغضاء .

وإذا كان الفقيد قد أبت عليه الأقدار أن يكون أباً لولد ، فان الله قد أفاض عليه وعلى زوجه العظيمة كل السلوى ، إذ وفر لهما أسباب الاستبسال فى خدمة أمة بأكلها خدمة صادقة ، فجعلت لهما من كل مصرى ولداً خالص الود ، صادق الوفاء .

أثر سعد ...

أما أثر «سعد» فى الشرق، فانه أثر الزعيم العظيم فى نفوس أشياعه المخلصين ؛ وأما أثره فى مصر ، فحسبه هذه الذكرى ــ وهى الذكرى الخامسة لوفاته ــ أن تكون مثار مأتم كبير موزع فى كل جانب من جوانب المدن والريف ... وأن يكون هذا المأتم مثار حديث مستفيض يتجدد عن « سعد » ، فتذكره الألسنة فى كل فج بين التأثر والحماس ، وفى ظل الضراعة إلى الله أن يوفر عليه رضوانه ، ويقرب إلى جواره مكانه .

عبد العزيز الاسلامبولى

النباتيون واللحميون

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

لا تزال المعركة بين أكلة اللحوم والمقتصرين على النباتات ناشبة إلى اليوم ، وقد مضى عليها نحو خمس مائة وألفين من السنين ؛ وقد عرف بعض الفلاسفة المشهورين من الأقدمين فوائد الاقتصار على التغذى بالنباتات من أمثال سقراط وأفلاطون ، فاتبعوه وكتبوا عنه كلاماً قيما ، ولم تزل سلسلة النباتيين متصلة الحلقات خلال العصور فى أشخاص بعض كبار العقول حتى القرن التاسع عشر ، حيث أثبتت الكيمياء أن فى النباتات ما يكفى الانسان وزيادة من المواد الضرورية لحفظ صحته ، وأنها فى النباتات أقوى وأنقى مما هى فى اللحوم، فقام الألمانيون بعمل مصحات لا يأكل المرضى فيها غير النباتات ، ولا يتناولون من علاج غير ما يتعرضون له من قوى الطبيعة : النور والهواء والماء ، وقد أنجحت هذه المصحات إلى حد يكاد يلحق ما تحدثه بالمعجزات ؛ وقد أثيرت مسألة النباتية أخيراً فرأينا أن نأتى على رأى الأستاذ الكبير الدكتور «هوشار» فيها ، وهو من أعلام الطب العصرى، وأحد أعضاء المجمع الطبى الفرنسى، وصاحب مجلة « الطبيب العملى » ، والمشهور بأنه أعظم إخصائى فى أمراض القلب .

قال فى مجلته التى ذكرناها :

« إن الانسان ليقتل نفسه باتباعه فى غذائه تدبيراً مضاداً لطبيعته، حتى إن متوسط الحياة قد سقط من ٥٠ إلى ٤٠ إلى ٣٥ سنة ، وإليك بعض آراء كبار العلماء» :

« قال كوفييه الطبيعى المشهور : يظهر أن جسم الانسان مركب بحيث تكون معظم تغذيته من الفواكه وجذور النباتات وأجزائها المائية »

« وقال فلورنس الفيزيولوجى المشهور : إذا اعتبرت معدة الانسان وأسنانه وأمعاؤه فهو من أكلة النباتات والفواكه الطبيعية » .

« وقال ميشيل ليفى : يظهر أننا نتبع فى حفظ حياتنا قاعدة مخالفة لقواعد حفظ الحياة » .

ثم قال الأستاذ هوشار : « لا يخلو هذا من غلو ، ولكن هناك حقيقة ثابتة ، وهى أن الغذاء الحيوانى الذى نأكله ليس بغذاء ، بل هو تسمم مستمر متكرر » .

ثم قال : « أما الأمراض التى يسببها الافراط فى أكل اللحم، فهى داء النقرس والروماتيزم والبول السكرى ، وهناك أمراض أخرى كأمراض : الكلى ، والمعدة ، والقلب ، والأوعية ، والصداع ، والربو ، وألم الأعصاب ، والأمراض الجلدية والعصبية، وعلى الأخص النورا ستانيا

التى تزيد انتشاراً يوماً بعد يوم ؛ وكلها تحدث من سوء انتخاب الأغـذية والافراط فى تناولها » .

ثم أتى الأستاذ هوشار على رأى الأستاذ لينوسيه ، وهو: « أن كل ما ينسبونه إلى اللحم من الأضرار لا يخلو من الصحة ، لأنه من المؤكد أن اللحم ـ من بين جميع الأغذية العادية ـ يحدث تسمماً بليئاً للجسم ، وهو عامل مهم لاحداث داء البولينا ، وداء المفاصل » .

ثم قال الأستاذ هوشار : « إن الدكتور كيونكا أنجح فى توليد أعراض النقرس فى الدجاج بقصرهم على الأغذية اللحمية ، وإنه لا شك فى إمكان جعل البنية فى حالة صحية جيدة بالاقتصار على الأغذية النباتية دون سواها » .

« وكثيراً ما ينشأ الربو من الغذاء ، وقد نشرنا حالات لم تنجح فيها العلاجات وزالت فى بضعة أشهر بقصر أصحابها على أكل اللبن والنباتات » .

« اعتاد الأغنياء أن يتغذوا بالدقيق الأبيض وهو قليل التغذية ، وكلما ازداد بياضه قلت تغذيته ، وقد أثبت العالم « ماجندى » أن الكلاب التى تتغذى بالخبز الأبيض والنخال تعيش أكثر من الكلاب التى تتغذى بالخبز الأبيض فقط ، لأن الخبز الأبيض قليـل التغذية ويحدث إمساكا » .

« والعضلات لا تقوى بأكل اللحم ، ولكن بأكل الخبز والأدهان ، فقد كان اليونانيون يعدون شبانهم للمصارعة بقصرهم منذ ـ نعومة أظفارهم ـ على التغذى بالتين ، والجوز ، والجبن ، والخبز الخشن » .

« وفى فرنسا أشد الرجال هم الذين يفضلون التدبير النباتى على غيره » .

« وفى روسيا يشتغل العملة ست عشرة ساعة متواصلة ، ولا يأكلون إلا النباتات والجبن والخبز الأسود ؛ وفى القطر المصرى يتغذى العملة والنوتية بالشمام والبصل والعدس والذرة ، وهم أشداء أقوياء » .

« وكذلك نوتية الآستانة ، وعمال المناجم فى شيلى (بأمريكا الجنوبية) » .

« وفى الولايات المتحدة لم يعمل السكة الحديدية ـ التى تخترق البلاد من الأوقيانوس إلى الأوقيانوس ـ إلا العمال الصينيون ، وهم لا يتغذون إلا بالأرز » .

« وسكان جبال هملايا أشداء أقوياء ، ولا غذاء لهم إلا الأرز » .

« وتوجد قبائل هندية تقطع فى اليوم من خمسة عشر إلى عشرين فرسخاً ، وذلك فى مدة ثلاثة أسابيع متواصلة ، وهى لا تتغذى إلا بالأرز » .

« هذه كلها أدلة تبرهن على أن التدبير النباتى يكسب العضلات قوة » .

النبات التي تحتوى على فوسفور

ثم قال الأستاذ هوشار : « إن الأغذية النباتية تحتوى من حمض الفوسفوريك على مقدار أكثر مما يحتويه اللحم منها ، والأغذية النباتية ليست بثقيلة على المعدة خلافاً لما يعتقده الجمهور ، فانها تهضم فى الأمعاء ، أما اللحم فيهضم فى المعدة » .

شفاء النوراستانيا بالتدبير النباتى

ثم قال : « نحن الآن فى جيل كثرت فيه النوراستانيا ، وأفضل علاج لملاشاتها الاقتصار على تدبير غذائى نباتى لبنى ينقى المجموعة العصبية ، وقد يشفى الأرق المستعصى باتباع التدبير المشار إليه » .

« واللحم منبه للمخ والعضلات ، فالافراط فيه يضعف المخ والعضلات ، وهو لا يكون غذاء منوعاً » .

الاقتصار على النبات يطيل الحياة

ثم قال الأستاذ هوشار : « فى التاريخ شواهد كثيرة تدل على أن اتباع التدبير الغذائى النباتى يطيل الحياة ... من أمثلة ذلك : كورنارو رئيس جمهورية البندقية ، فقد كتب تاريخ حياته وهو فى السادسة والثمانين ، وتوفى بعد أن جاوز المائة ، وكان متبعاً تدبيراً نباتياً صعباً جداً على أثر مرض شديد اعتراه بسبب إفراطه فى الطعام » .

« وبتريس أوتيل عمر مائة وثلاث عشرة سنة ، وكان يتغذى بالنباتات ، ولم يأكل لحماً إلا فى عدد محصور من مآدب أدبها لأسرته » .

وكثير من الفلاسفة والكتاب اتبعوا تدبيراً نباتياً فى حياتهم ، وتوفى أكثرهم فى سن متقدمة جداً ، نذكر منهم : نيوتن الفلكى المشهور الذى توفى وله خمس وثمانون سنة ، وكان يتغذى بالخبز والنباتات والماء ، وفونتينيل الفيلسوف الفرنسى ، وشيفريل الكيماوى عاشا أكثر من مائة سنة ، وغيرهم من مشهورى الكتاب والعلماء كبرناردين دوسان بيير ، وفرانكلان ، وفولتير ، وجان جاك روسو ، وميشيليه ، ولامارتين » .

ثم قال الأستاذ هوشار : « التدبير النباتى يطيل الحياة ، لأنه لا يهدم البنية ، ويقى الجسم من كثير الأمراض على خلاف التدبير الغذائى اللحمى ، الذى يولد فى الجسم عدداً عظيما من الأعراض كتصلب الشرايين ، وعدداً عظيما آخر من أمراض القلب والكليتين والكبد » .

محمد فريد وجدى

الادب الحضرمى وعلاقته بمصر

بقلم الاستاذ طه السقاف العلوى (سنغافورة)

تربط القطر الحضرمى بالقطر المصرى روابط متينة العرى ، متماسكة الحلقات ، أعظمها وأبرزها مظهراً رابطتا الدين واللغة ؛ فمصر من العهد الذى غمرها الاسلام ، وملأ فجاجها قد ارتبطت بالأصقاع الاسلامية - قاصيها ودانيها - ، وأصبحت شقيقة لهن ، تتألم لألمهن ، وتغتبط لغبطتهن ، وترى أن من نتائج سعادتها رفاهة عيش شقيقاتها ، وانبثاق فجر المعارف والعلوم فى ربوعها ، ورؤيتها إياها رافلة فى حلل الحرية والنهوض .

وإذا كانت هذه نظرة مصر إلى جاراتها المسلمة ، وشعورها نحو تلك الأصقاع المنثورة التى تمت إليها برابطة الدين ، وجامعة الاسلام ، ووحدة اللغة ، فان مما لا مشاحة فيه ولا ريب أن شعور وعواطف الشعوب المسلمة تجاه مصر لهو أحكم عقدة ، وأشد إبراماً ، وأعمق أثراً ؛ وكيف لا يكون كذلك ؛ ... ومصر ما برحت مصدر الثقافة ، ومنبع المعارف،ومحط الآمال ، ومناط الرجاء ؟ وأن العالم الاسلامى ما انفك يرنو إليها - ككلية جامعة لأشتات العرفان ، وكمصدر رئيسى للثقافة الدينية - ؛وبالرغم من وجود حركات هدامة ، ونعرات جاهلية حديثة العهد-يقوم بها فئات من أبناء مصر-من التشدق بالفرعونية،والتغنى بالقومية ، مما يرمى إلى فصل مصر عن شقيقاتها الاسلامية ، ويقذفها فراسخ عن عطفهن - كما هى الحال الواقعة فى تركيا - فلا يزال لمصر فى قلوب الناطقين بالضاد منزلة الحب المكرم.

وفى طليعة البلدان التى تنظر إلى مصر - كما ينظر الفلكى إلى اصطرلابه - «حضرموت» التى كانت - ويا للأسف - أسباب المواصلات ، وسبل الاحتكاك بينها وبين مصر ، متعسرة لصعوبة أسباب النقل والمواصلات ، ومع ذلك فانها تنظر إلى مصر بعين الاجلال والاكبار وتدين لها بكل ما تنعم به فى نهضتها الأدبية الحالية ، بل فى كثير من مناحى حياتها الدينية ، إذ أن أمهات الكتب الدينية وأسفار التاريخ التى تدرس فيها لم تستجلب إلا منها ، ولا عبرة بوجود بعض كتب طبعت فى الهند ، فهذه-على ندرتها-لم تكن من أمهات الكتب وكبرياتها.

وليس الأدب - فى الحقيقة - إلا شعوراً وأحاسيس وأخلاقا يرسمها قلم الناظم والناثر على القرطاس ، فتلمس فيها تقدم الأمم أو تأخرها ؛ وكلما ضربت الأمة بسهم وافر من المعارف ، ونضجت ملكاتها العقلية ، كانت أقرب إلى الاجادة ، وأسرع إلى النبوغ فى مقاصد الأدب وأغراضه من غيرها ؛ ولا يعزب عن البال أن للبيئة والمكان أثرا فعالا فى ازدهار الأدب أو تقويمه ، بيد أنه باعتباره مادة الحياة ، أو بعبارة أخرى « تراث إنسانى » اشتركت فيه

جل الأمم ـ وإن اختلفت صوره وأشكاله من حيث قوته عند البعض وضعفه عند البعض الآخر ـ فان هذا يرجع أمره إلى استعداد الوسط ، وقابلية البيئة كما علله الباحثون.

ومهما يكن من ضؤولة المجهودات الأدبية ونتاجها بحضرموت ، واندثار آثار كثير من حملة البيان وأساطين القريض بها ـ لعدم اعتنائهم بالتدوين من جهة، واستفحال شأن الأباضية والخوارج فيها من سنة ١٢٥ إلى سنة ١٠٦٠ هـ ، وتمشى الروح الصوفية بعد ذلك، من جهة أخرى ـ فلا تزال أسفار التاريخ تحفظ لنا جزءاً يسيراً من تراث الأدب الحضرمى الخالد ، وهو وإن كان ضئيلا، غير أننا نستطيع أن نقيس به الروح الأدبية فى «حضرموت»، ونتلمس بأيدينا المدى الذى بلغت إليه .

ويجدر بنا ـ قبل الدخول فى معمعان هذا البحث ـ أن نقسم تاريخ «حضرموت» إلى ثلاثة أدوار ، وغرضنا من هذا التقسيم أن نزف إلى القارىء ـ غير الحضرمى ـ صورة مكبرة للقطر الحضرمى من العهد الجاهلى إلى عهدنا هذا ، ولعلنا نؤدى بهذا بعض الواجب علينا نحو قطرنا المحبوب .

الدور الأول ـ الدور الجاهلى: لا امتراء فى أن «حضرموت» كانت موطن أقوام عاد ومقر أقيال التبابعة ، ومعقل ملوك كندة وحمير ؛ وآثار أولئك الأسلاف لا تزال باقية وموجودة حتى الآن، وقد بلغت « حضرموت » وقتئذ من المدنية والحضارة مبلغا عظيما لا يجهله المطلع ، وقد قص القرآن علينا شيئاً كثيراً من مدنيات عاد وثمود وتبع، ومن الأدلة التاريخية الدالة على أهمية « حضرموت » وخطورة مقامها ، أن لقب « تبع » متوقف على الاستيلاء عليها، وهذا يبرهن على مركز حضرموت الممتاز فى تلك القرون السالفة ، وإلا فلم يتوقف لقب تبع على تملكها ودخولها تحت الطاعة ؟ . . . .

وقد أجمع المؤرخون واتفقوا على أن آثار الجزيرة العربية ـ بأقسامها الخمسة ـ ما برحت مطمورة تحت الرمال، وإنما دل ما ظهر منها ، وا كتشف صدفة ، على أنها جزء من اليمن الذى لا يقل فى حضارته ومدنيته روعة وجسامة ، عن الحضارات القديمة من عراقية وشامية ومصرية، فان ما عثر عليه منذ سنوات قريبة بـ «هجر» ـ وهى قرية فى مخلاف «صداء» ـ وما اهتدى إليه بعض العرب فى « مرخة » عفواً ، من سبائك ذهبية ، وموميات محلاة بجواهرها وأقراطها الذهبية ، ومن أصنام من الذهب ، وبيوت تحت الأرض مطمورة صقلت بالرخام ، ومحافد وكنوز لا تتسع هذه العجالة لسردها ـ مما لا يبقى معه أدنى شك فى تلك الحضارات الزاهية ، والمدنيات العظيمة ، ولو عنى بالكشف عنها ـ لتكشفت لنا آثارها المجهولة ، ولتقدمت المعلومات عن تاريخ القطر الحضرمى وما له من عظمة .

وفى هذا الدور ـ أعنى الدور الجاهلى ـ لم تترك لنا الأيام كبير أثر عن الأدب الحضرمى لعوامل لا تخفى ؛ على أن ما وصل إلينا فى هذا الباب، هو ما يتيه به الحضرمى ويجر أذيال الزهو

والافتخار ؛ فان الملك الضليل - امرأ القيس بن حجر الكندى واسطة عقد شعراء الجاهلية، ورأس فحول رجال المعلقات، والمتفوق على فرسان القريض فى السبق إلى كثير من المعانى الدقيقة، لاجادته القول فى بكاء الاطلال والدمن ، وتشبيه النساء بالمهى والظباء ، مما امتاز به هذا الشاعر على أضرابه وبذهم فيها - إن ذلك الشاعر الفحل ، لم يكن إلا حضرمياً ، وحسب « حضرموت » فخرا أن يكون لها رأس الفحول من رجال المعلقات وأبرز شخصية فيهم .

الدور الثانى — دور الاسلام : وهذا الدور يبتدىء من بدء انتشار الاسلام إلى حوالى ظهور الدولة الكثيرية فى أواسط القرن السابع ، وفى هذا الدور أنبأنا التاريخ أسماء كثير من شعراء الحضارم ، نكتفى منهم بذكر: امرىء القيس بن عابس الكندى الصحابى المشهور ، وكليب بن أسد الحضرمى الذى وفد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكسوة من نسيج حضرموت ، وخاطبه بهذه الأبيات :

من وشز برهوت تهوى بى عذافره إليك يا خير من يحفى وينتعل
تجوب بى صفصفاً غبراً مناهله تزداد كلا إذا ما كلت الابل
شهرين أعملها نصاً على وجل أرجو بذاك ثواب الله يا رجل
أنت النبى الذى كنا نخبره وبشرتنا بك التوراة والرسل

وعلى كل حال فان الروح الأدبية فى ذلك العهد لا تخلو من ضعف وركاكة إذا قيست بغيرها ، فان ذلك العهد عهد ازدهار ونهضة للعلوم والفنون والآداب فى العالم الاسلامى بأسره ، فلم يظهر فى حضرموت فى صفوف نبهاء الذكر والنوابغ فى تلك القرون منهم أحد ؛ ويقدم العلماء - الدارسون لسر تقدم الشعوب ونهضاتها - سبباً وجيهاً لذلك :وهو استفحال شأن الأباضية والخوارج بها ، وامتلاء الجو بغازات بدعتهم ونحلتهم الخبيثة فكانوا شراً مستطيراً على حضرموت وسماً زعافاً ذاقت منه الأمرين؛ ومن المدهش أن عمال العباسيين فى حضرموت لم يستطيعوا أن يقضوا على شرور هذه النحلة ويطهروا حضرموت من سمومها الخانقة ، حتى جاء الامام السيد الشريف أحمد بن عيسى العلوى الحسينى جد السادة العلويين بحضرموت وجاوا وغيرهما مهاجراً من البصرة بعد ظهور طائفة الزنج وتعذيبهم المسلمين فى زمن الخليفة المعتمد بن المتوكل العباسى ، ثم استيلاء القرامطة على البصرة - جاء هذا السيد المهاجر فى الله إلى حضرموت - لحسن حظها - فوجدها تعج ببدعة الخوارج ونزعات الأباضية والنواصب، فشمر عن ساعد الجد وحاربهم بالارشاد والدعوة تارة وبالسيف والسنان تارة أخرى ، ولا يجهل المطلع على التاريخ تلك الواقعة المشهورة « بحران » بين العلويين ومن انضم إليهم من الحضارم وبين الأباضية ، وفى ذلك يقول الشاعر الحضرمى :

فمن مبلغ عليا معد وطيئاً وكندة من أصغى لها وتسمعا
يمانيهم من حل « بحران » منهم ومن حل أكناف الغطاط فلعلما

الدور الثالث : وهو يبتدىء منذ دخلها الامام المهاجر فى الله إلى ما بعد القرن الثانى عشر، فان هذا الدور كان أحسن حالا ، وأرغد عيشاً ، وأقرب إلى التحسن الأخلاقى والأدبى من ذينك الدورين السابقين، ولولا انتشار الروح الصوفية فى «حضرموت» فى ما بعد القرن السادس انتشاراً هائلا ، لكانت حال الأدب الحضرمى غيرها فى هذا الوقت ، ولكن الروح الصوفية التى تغلغلت فى نفوس تلك الأجيال وتمكنت منهم جعلتهم ينظرون إلى الحياة وما فيها من مبهجات ومسرات كأشياء تافهة لا تستحق التقدير ، فنتج من هذا خبوء شعلة الشاعرية ، وانطفاء جذوة العاطفة المحفزة للنظم .

وأشهر مشاهير شعراء تلك القرون هم : الشيخ محمد بن أبى الحب التريمى ، ولنورد لك شيئاً من شعره ، قال ـ واصفاً ومادحاً تريم ، وهى إحدى عواصم القطر الحضرمى ـ من قصيدة مطلعها :

تجنب أرضك الوبأ الوخيم   وجانب سرحك السدم السديم

ومنها : تعادل حرها والبرد فيها   فلا قر يضر ولا سموم

فلو نظرت فلاسفة إليها   لقالت : جنة الدنيا تريم ! !

ومنهم الشيخ عبد الرحمن حسان ، وله شعر أكثره مدح فى عظماء السادة العلويين بحضرموت ، ومنهم العلامة السيد عبد الله بن علوى الحداد العلوى ، وللسيد ديوان مطبوع نحيل القارىء إليه .

ومن أولئك : الشاعر الكبير الشيخ عبد الصمد با كثير ، وقد ترجم له صاحب « سلافة العصر » ، وقال صاحب « خلاصة الأثر » عنه : « عبد الصمد بن عبد الله با كثير خاتمة مفلقى الشعراء باليمن ، ونابغة العصر ، وباقعة الزمن » ، وهو الذى قال فيه الشاعر القدير السيد أبو بكر بن شهاب العلوى ـ عند ما سمع إحدى قصائده ـ : « ما كنت أحسب أن فى حضرموت من يقول مثل هذا الشعر » ، وله ديوان لم يطبع بعد ، وقد كانت عندنا مجموعة من أشعاره فأخذها أحد الأصدقاء مع الأسف ، على أننا نتذكر له بيتين من قصيدة يخاطب بها السلطان عمر بن بدر الكثيرى ، ويصف علاقته مع سلاطين آل عثمان ، قال لا فض فوه :

قمتم بحق ابن عثمان وطاعته   تحية هى منكم عن أب فأب

كمثل ما أسر الافرنج من قدم   أبوك بدر بن عبد الله ذو الحسب

ومن شعراء حضرموت المشاهير : العلامة السيد عبد الرحمن بن مصطفى العلوى المتوفى بمصر ، وله ديوان طبع قديماً فليرجع إليه من أراده ، ومن شعراء الحضارم : ابن عقبة الشبامى ، فان لهذا الشاعر شاعرية قوية وخيالا واسعاً ، ونفساً طموحة تتمثل لك من شعره ، وعندى أن عبد الصمد با كثير وابن عقبة هما أشعر شعراء الحضارم فى الدورين الثانى والثالث ، وإلى القارىء أبياتاً من قصيدة لابن عقبة أترك الحكم عليها للقارىء ، قال:

أصبرت نفس السوء! أم لم تصبرى ... بيني ومن تهوين يوم المعشر
إنى امرؤ عف الأزار عن الخنا ... لم أغش منذ نشأت باب المنكر
ومنها: - يا راكباً لشملة مهرية ... وجناء دوسرة سلالة دوسر
تطوى القفار البيد تنتهب الفلا ... كالبرق يلمع من خلال العثير
ومنها: - حتى إذا ما الليل أبرد شطره ... وسرت على الوجناء أم حبوكر
بادرتها بالرحل ثم نسأتها ... فجرت كجرى الأجدل المتحدر
ومدورة قامت ولم تلبث بها ... إلا مقام مسلم ومخبر
وبدا الصباح فصبحت من كندة ... بقرار عرصتها سلالة جعفر

وصفوة القول أن الأدب الحضرمى - فى دوريه الثانى والثالث - كان متأخراً كما بينا ذلك فى صدر مقالنا، وقد أوضحنا بعض العلل والأسباب لتأخره وانحطاطه، مستندين فى ذلك إلى قرائن الحياة العقلية فى حضرموت فى تلك العصور - درسناها بالاستقراء علاوة على النصوص والوثائق التاريخية التى اعتمدنا عليها فى إصدار هذا الحكم؛ بيد أن حضرموت إذا ما أرادت أن تباهل بشعرائها البارزين فلا أظنها تقدم على هذه المباهلة إلا على أكتاف الشاعرين الفحلين: ابن عقبة وعبد الصمد، فهذان الشاعران - ولا فخر - هما الدرتان اللتان لمعتا فى تلك العصور، وخلدتا لحضرموت اسماً لا يمحوه كر الأيام.

وفى مختتم القرن الثالث عشر. هـ، سرت فى القطر الحضرمى حركة مباركة ونهضة أدبية فتية، فتطورت الأفكار وأخصبت القرائح، وأصبح الشعر - بعد أن كان موقوفاً على الدمن والاطلال والرثاء والمديح - ملتقى، تشاهد على لوحته مناظر صادقة وصورة طبق الأصل للشعر الذى يعبر به عن خلجات النفس ونبضات القلب؛ ولم تكن النهضة الفكرية التى سرت فى الشرق الغربى قاصرة على مصر وحدها، كلا. فان لسوريا والعراق واليمن وحضرموت كذلك نهضات مباركات، بيد أننا لا ننكر أنها قد تكون فى البعض منها قوية عنيفة، وفى غيرها ضعيفة واهية، تبعاً لطبيعة الأقليم والبيئة؛ غير أنها تتفق فى مظهرها وهيكلها، ألا وهو حاجة اللغة إلى أن تعبر عن النفسيات والأغراض بكل وضوح، مترسمة فى سبيلها منهاجاً يتمشى مع روح العصر ويتلاءم وعقلية أبناء القرن العشرين.

فاذا ما ذهبنا نعد من مشاهير شعراء العصر - بمصر وسوريا والعراق - (شوقى والمرحوم حافظ ابراهيم والرصافى والكاظمى ومطران وإيليا أبو ماضى والزهاوى وبدوى الجبل وشبلى ملاط والمرحوم الرافعى وأحمد محرم وطانيوس عبده) وغيرهم ممن لم تحضرنى أسماؤهم. فلسنا بالمغفلين من شعراء حضرموت السيد العلامة أبا بكر بن شهاب العلوى، والسيد الأستاذ محمد بن هاشم العلوى، والشاعر المطبوع السيد أحمد السقاف العلوى، والشيخ على باكثير، والسيد صالح الحامدى العلوى، والسيد محمد بن

[البقية على الصفحة رقم ٥٣٨]

نشيد الاستقلال

لشاعر الاسلام

محمد عاكف بك

أستاذ الأدب التركي بالجامعة المصرية

لقد كان عاكف بك أحد جنود الوطن البواسل ، الذين استماتوا فى ساحة القتال ، حتى استطاعوا أن يجلوا اليونان عن بلادهم ، وأن ينتزعوا بلادهم انتزاعاً من بين مخالب الاستعمار الأوربي ؛ لذلك نجد أن قصائده التي أنشأها أثناء هذه الحروب من أقوى شعره عاطفة وأشدها تأثيراً فى النفوس ؛ وقد اطلع قراء « المعرفة » الغراء على قصيدة البلبل التى نشرناها فى العدد الماضى ، ونتقدم إليهم الآن بقصيدة أخرى من أكثر قصائد عاكف بك ذيوعاً ، وأعظمها انتشاراً ؛ فكان الأتراك يتغنون بها كما تغنى الفرنسيون – من قبل – بالمرسليز ، وكتبت منها أبيات على طوابع البريد التركى .

***

لا تخف ، هذا العلم الأحمر السابح فى الشفق لا يخمد قبل أن تخمد آخر نار داخنة فوق ديارى ! هو نجم أمتى ، بل هو كوكبها الذى يتألق فى سماء العالم ! هو لى ولأمتى فقط !

أيها الهلال المتدلل ! لا تته ، بمهجتى أفديك ، ما هذه الشدة ، وما هذا الغضب ؟ ابتسم مرة لقومى الأبطال ، وإن لم تبتسم فلن نسمح لك بدمائنا المهراقة .

إن الاستقلال حق أمتى التى تعبد الحق ! !

أنا عشت منذ الأبد حراً وسأعيش حراً ، وأنا مثل السيل المنهمر أكتسح السد وأظهر عليه ، وأخترق الجبال ، وأملأ السهول ، وأفيض عنها .

فمن هذا المجنون الذى يريد أن يربطنى برباط الأسر ؟ !

***

إن كان قد أحاط بآفاق الغرب سور مدرع بالفولاذ ، فحدود وطنى صدرى المملوء بالايمان ؛ إن الوحش(١) الذى تسميه المدنية لم يبق منه سوى سن واحد ، فدعه يعوى ولا تخف ، كيف يخنق إيماناً كهذا ؟

(١) يشبه عاكف بك الحلفاء الاوربيين بوحش قد سقطت أنيابه ولم يبق منه الا ناب واحد هو اليونان الذين حاربوا الاتراك ، ولم يقدر لهم الا الفشل والخذلان .

أى صاحبى ! لا تدع الأوغاد يمرون على ديارى أبداً ، واجعل جسمك سداً لتقف هذه الغارة الدنيئة ، ولتطلعن تلك الأيام التى وعدك بها الحق ، وما يدريك لعلها الغد ، أو هى أقرب !!

تأمل الأرض التى تطؤها ، ولا تمرن بها تحسبها تراباً ، وتذكر الآلاف الراقدين تحتها غير مكفنين ، إنما أنت ابن الشهيد ، فعار عليك أن تؤذى أباك ، ولا تعط جنة الوطن هذه ولو أخذت بها العالمين .

***

من ذا الذى لا يكون فداء لجنة الوطن هذه ؟ ولو عصرت ترابه لتفجر شهداء !! فليأخذ الله روحى وحبيبى وكل ما أملك ، ولا يقدر لى أن أعيش بعيداً عن وطنى !

يا إلهى ، إن ما تأمله منك روحى هو : ألا تلمس يد أجنبى صدر معبدى ، وأن يدوى فوق ديارى دائماً ذلك الاذان الذى بنى الدين على شهادته .

إذن ، تسجد أحجار قبرى ألف مرة خاشعة إن تكن لى أحجار !

وينبعث جسدى من الأرض كالروح المجرد ، ساكباً دمعى الدامى من كل جروحى ، وحينئذ يعلو الرأس منى حتى يمس العرش !

أيها الهلال الجليل ! اخفق قائماً مثل الشفق ، لتحل لك كل دمائى المسفوكة ، وليس لك ولا لقومى زوال أبدا .

إن الحرية حق رايتى التى قد عاشت حرة ، وإن الاستقلال حق أمتى التى تعبد الحق . م

عبد الحميد الدواخلى

الادب الحضرمى وعلاقته بمصر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٥٣٦]

شيخ العلوى وغير هؤلاء كثير اكتفينا بذكر المشاهير منهم. وإذا كانت هذه الشهرة لا تتجاوز حدود حضرموت، فان ذلك يرجع إلى رغبتهم عن الظهور وكراهيتهم للشهرة. والسيد أبو بكر ابن شهاب ، هو الذى نفخ فى شعراء الحضارم روحاً جديدة وألبس القريض حلة طريفة ، وله ديوان مطبوع جمع من رقيق الشعر وجزله الشىء الكثير ، فهو بحق يدعى مجدد الأدب فى حضرموت . ولا نكتم القارىء أن لمصر فى نهضتنا الأدبية المباركة أثراً بارزاً ويداً بيضاء ، فان ما تقدمه مصر إلى حضرموت من ثمرات أفكار شعرائها العباقرة أمثال أمير الشعراء، والمرحوم حافظ ابراهيم جعل الحضرمى يقبل على تذوق الأدب المصرى ومحاكاته، فكانت هذه المحاكاة وهذا الاحتذاء، هما اللذان عنيناهما بالعلاقة والوصلة بين أدب مصر وحضرموت فى عنوان مقالنا ، وهما العلاقة التى كان لها أحسن الأثر فى الأدب الحضرمى العصرى . م

طه السقاف العلوى

[سنغافورة]

(٤) تجاربي في الحيـــــاة (*)

بقلم الاستاذ أسعد لطفى حسن

أراد الله لابنة عمى (زوجتى رضيت أو لم أرض) أن تنمو وتترعرع، وأراد الله أن يكون لها أخ جديد خفف الاهتمام بها وفتح أعين والديها للآمال، كأنه (جاب الديب من ديله)؛ فكانت أفراح وكانت حفلات لا أنسى ما جرى فيها من عوائد فاسدة ومضللات وأضاليل؛ وضع الفتى عثمان فأشرقت شمسه فى بيت أبيه، وفى أول يوم من مولده جاءت امرأة سوداء – وكان لمقدمها حركة غير معتادة فى المنزل، وكان معها امرأتان تحملان حقيبة، فراقبت أمرهن وإذا بالعجوز تسمى «الكدية» – وقد حضرت لتبخير المولود وتحصينه من «الأسياد» الشياطين، وهى عجوز الزار، فباتت ليلتها وقد أنعمتنا بما أعد لها من الأطعمة والحلوى، وأخذت من كل أنواع التحية والاحترام ما أفنى طوال ساعات الليل، وما انبلج الصباح حتى أحضروا لها خرافاً وديكة فزاغ بصرها وراغ أمرها وأشارت بعدم ذبحها وتقدمها قربانا «للأسياد»، وسرعان ما حملت مع كثير من الأرز والمسلى والسكر والوقود وأرسلت إلى بيتها، ووعدت هى بالعودة فى اليوم السابع (السبوع)، وانصرفت وقد ابتلت يدها من تقبيل المودعين – (سأعود إلى الزار ونكباته إن شاء الله).

وفى اليوم الثالث للمولود جاء دور الشيخ حسنين فأطلق البخور وتلبت القصائد، وكان يوما مشهوداً انتهى باقبال ليله بالأذكار، وإذا بجماعة تحمل الدفوف والطبول تسير أمامهم المشاعل، وهم يرقصون فى الطريق وبينهم حامل المزمار والصفارة يتمايلون بشكل مزر، ويتخالعون بحال تدمى قلب المؤمن، وبعضهم – وقد استرسل شعره – أخذ يعلو وينخفض ويقفز فى الهواء ويهبط؛ كل هذا أمام المسلم وغير المسلم، وقد أعد سرادق فسيح، حتى إذا ما أقبلوا على الدار قابلتهم النساء بالزغاريد والرجال بالتهليل، وقد احتدوا فاشتدوا فى الضرب على الدفوف والطبول وتزايدوا فى العزف على المزمار والصفارة، حتى إذا كادت الأرض تميد بهم والسماء تتألم من أعمالهم، هبطوا جميعاً وقالوا – وهم لا يفقهون ونطقوا وهم لا يعقلون وقرأوا وهم يلحنون –: «إن الله وملائكته يصلون على النبى. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»، فكانوا لا يضبطون مخارج الكلمات ولا يحسنون

(*) راجع «المعرفة» ج ٩ و ١١ و ١٢ من السنة الاولى.

حركاتها، ولهم فيها طريقة خاصة فى التلاوة حيث لا تظن أنهم يقرءون قرآنا، وتعتقد أنها صيغة كلامية تعودوا أن يقولوها حيث يبدءون همزة إن الله باطالة محرمة، ويمدون «سبحان ربك» بشكل غير جائز، ويختمون «العالمين» باغراق فى المد، كل هذا مقبول إلا اللحن الحرم؛ وبعد ذلك ـ حاسبهم الله ـ أخذوا يبدءون بنقرات ونغمات يتبعها رقص وتمايل.. الخ، ما هو معلوم مما تمنعنى خطة «المعرفة» أن أفرج عن صدرى منه[1]، وقد مضى هزيع طويل من الليل وانصرفوا. وفى اليوم الرابع سافرت جدة المولود تحمله إلى (ست جميانة) وعادت تحمل البركات، وفى اليوم الخامس سافر مع أبيه إلى (سيدى درهم وربع) وعاد بالتحويطات والتعويذات! وهدءوا فى اليوم السادس حتى اجتمعت وفود كل من ذكرت فى اليوم السابع (يوم السبوع)، وكانوا قد أعدوا «قلة» زينوها بجميع ما تملكه أمه من الحلى والجوهرات، ووضعوا مقدارا من الفول وأطلقوا البخور فى كل غرف البيت، حتى إذا انبثق الفجر قامت المولدة واستحضرت هاونا وبدأت تنقر فيه وتلقن ذلك المسكين الأبكم نصائح الطاعة لوالديه ولأهله، ووضعته فى غربال، وعملت ما استطاعت من الضلالات والوثنيات، وجاءت فى الظهر الموسيقى والطبول والزمور ومدت الموائد وتفانى الأب فى استحضار ألذ وأشهى الأطعمة، واستقبل هو وصهره ضيوفهم، وبقى القوم فى حضور وانصراف حتى المساء، وقد أحضروا أشهر المطربين ومكثوا يغنون حتى مطلع الفجر والكل فى فرح وسرور (كل هذا ـ والله ـ من مال اليتيم أسعد وأخيه).

هذه الضلالات والوثنيات تجرى بين أعين العقلاء وأبصارهم فى كل بيت من بيوت المسلمين، وساداتنا العلماء لا يحركون ساكناً، ولا يعملون لانتشال العقائد وصون كرامة الدين، رحماك ربى فأنت أرحم الراحمين!.

انقضت هذه الفترة وقد أضاعت من وقتى لياليها السبع، لأنى كنت أقضى طوال ليلى ساهراً، وأتوجه إلى المدرسة مبكراً، فلا أستقر فى مكانى حتى أشعر بدوار يحرمنى لذة الاستماع إلى الدرس، وفى الظهيرة أفترش أرض المصلى وأقوم مثقلا بالنوم فى أجفانى، وأحمد الله إذ كان حسن ظن المعلمين بى يدفعهم إلى الاشفاق بى، فيظنون مرضى، ويبعثون بى إلى الطبيب الذى عافانى وسمح لى بالانقطاع عن المدرسة حتى نهاية الأسبوع، فحرمت من الدروس كل هذه الحقبة، وقد واسانى أحد أصدقائى وتطوع بارشادى إلى ما فاتنى، أحسن الله إليه.

كان فى قدوم ذلك المولود بعض التخفيف عنى، إذ كبرت «زينب» وعوفيت من أمر حملها، وسافر عمى مع زوجته وولديه إلى مزارعه، ووجدت الرغبة عند صهرى فى الحج، وصحت عزيمته وسافر مع زوجته، وبقيت أنا وأخى نستنشق نسيم الحرية، وتمكنت من استعاضة

---

(١) «المعرفة» تشكر حضرة الاستاذ الكاتب على ثقته بها، وتنتهز هذه الفرصة لتعلن الى حضرات الكتاب أنها ترحب بمثل هذه النقدات البريئة التى يقصد منها تطهير الدين الحنيف من تلك الترهات والاباطيل.

وليس أدل على ذلك من أن محرر «المعرفة» كتب مقالات عدة فى مثل هذه الموضوعات مبيناً مزاعم القوم الباطلة فليرجع اليها من شاء.

ما فاتنى ، وجاء ختام العام الدراسى فنجحت والحمد لله ، وكنت من طلاب الفرقة النهائية ، ولما عاد عمى وأهله أخبرته بذلك فأعرض عنى لأنه كان مهموماً حزيناً ، فأدركت الأمر وبحثت عما أصابه وإذا به خاص بولده عثمان .

عاد عثمان مع أمه وهى تبكى وتولول لأنه أصيب بنزلة معوية ، فقد سلمته إلى خادمة أطعمته ولما يبلغ الحول الأول ، فأصيب بقىء وإسهال ، فعجل أبوه بعودته لعرضه على الطبيب ، ولكنه مسكين ، إذ نفذ فيه القضاء ولم ينفع الدواء ومات عثمان ، وحمل إلى القبر وأنا أبكى من البكاء حزناً عليه وحزناً على نفسى وأخى لما سيصيبنا بعد ذلك ؛ وقد صح حدسى إذ أصبحنا موضع النقمة إذ كيف لا نصاب بمرض فنموت ، وكيف يموت عثمان بعد هذه التحويطات والتمائم والأحجبة ؟ وأين الكدية ؟ وأين الشيخ حسنين ؟ وأين زيت ست جميانة ؟ وأين قطعة عمامة سيدى درهم وربع ؟ ولكن الله القوى القاهر أرجع القوم إلى صوابهم ، وأظهر قدرته وأنه هو القاهر فوق عباده لا راد لما قضى به وأراده .

عاد الحاج حسين من حجه وعلم بموت حفيده ، فكان غضوباً قاسياً شديداً ، وقد كرر أمامى « إشمعنا يا ربى الولدين دول ؟ طولت فى عمر الاثنين ، كنت طول فى عمر ده » ... الحاج الآيب من فريضته يقول هذا !! ولكنه معذور لجهله ... إلا أنى أذكر أنه أحضر لى « كوفية » ولأخى مثلها ، فأحرمنا منهما وجاد بهما على غيرنا .

أرجع إلى المدرسة وأبتدىء فى الدراسة وقد جد أمر واحد وهو لعب كرة القدم ، إذ كان أول وجودها بمدرسة طنطا فى سنة ١٨٩٤ ، وكنت شغوفاً بلعبها ، ولكن لرابع مرة لعبتها كانت هادمة لهذه الرغبة ، إذ أصبت فى ساق الأيسر بما أبعدنى عنها إلى الآن ، وانقطعت للدرس وقد كان العام الثانى لامتحان شهادة الدراسة الابتدائية ، وكنت ناجحاً فيه ، وكنت ثالث أبناء مدرستى ، وقد كافأنى عمى بارسالى إلى مزرعته لأقضى فترة من العطلة فيها ، وكانت على شاطىء النهر ، فزودنى ببضعة قروش ، ووضعنى كاتب تجارته فى القطار فوصلت إليها تحت رعاية الله وكنفه ، وهناك قابلنى شيخ عجوز لا أدرى ماذا استعطفه على ، إلا أنه قابلنى ببكاء طويل ودمع غزير ومكث طويلا حتى خالجنى الكدر وبدأت أبكى معه فاسترحمه الحاضرون فسكت ، وبعد قليل علمت أنه من رجال والدى ـ أسكنه الله الجنة ـ ، وكانت تلك الضيعة من ثرات أبى فصيرتها حيل الحاج حسين صهر عمى ملكاً لعمى ، ونزعت منا انتزاعا ، وبطريق كلها خبث ومكر وخديعة ، ذلك أنها تركت قاحلة من غير زرع سنوات متتاليات ، فعلت سطحها الأملاح وبانت مواضع الشكوى للمجلس الحسبى واتهمت بالبوار والفساد وبيعت فى المزاد الذى رسا لاسم صهر عمى وبالأحرى فقد آلت إلى عمى سامحه الله ... دع عنك أيها القارىء ما يصيب اليتامى من هذه النواحى العامة ، وسر معى فى هذه القرية التى تجاور النيل وتتمتع بهوائه العليل ، وادرس معى حال الفلاح

عماد الثروة وأداة الغنى والسعادة وارفع صوتك معى لانصافه وإنقاذه وانتشاله من بؤسه وشقائه .

مصر التى لا يموت فيها جائع ، والتى كلها الخير والبركة، ومورد هنائها الفلاح،وهو العامل على سعادتها؛تتوالى عليه العصور وتتداول الأيام ولا من ينظر بعطف واهتمام إليه، وهو القوة العاملة ، فلا يتساوى بالآلة الصناعية التى يعنى بأمرها ويداوم على نظافتها وتغذيتها بالزيت والشحم وإمدادها بمولدات الحرارة؛ومع الأسف الشديدأذكر أن الفلاح لا يعنى بأمره،فقد ترك على فطرته يعيش عيشة سيئة ،ولولا حصانته الطبيعية وقوته الفطرية لانقرض وذهب إلى عالم الفناء؛ومن أعجب الأمور اهتمام الانسان بتربية الحيوان والطيور واتخاذ التدابير والوسائل لنموه وعدم انقراضه وابتكار الطرق الموصلة إلى تحسينه وكثرة إنتاجه،بينما ينصرف الانصراف المعيب عن التفكير فى أمر أخيه الفلاح والاهتمام بأمره،مع أنه يقوم على رأسه إنشاء كل ما يراد به من إصلاح أموره ، فلا يكلف الناس مثل ما يتكلفون من القوى والنفقات فى سبيل تحسين حال الحيوان والطير وما سوى ذلك .

الفلاح يقيم فى بيوت لا يرضاها المهتمون بالحيوانات والدواجن ، فان جل همهم لحياتها إيجاد أمكنة تكتنفها الشمس ويدخلها الهواء وتتوالى العناية بنظافتها وكنسها ورشها بالمحاليل المطهرة حتى ينمو الطير والحيوان وهو قليل الثمن وهو ما يملك بالكثرة،ويعيش الفلاح فى كهوف لا يدخلها الضوء ،ولا تصل إليها أشعة الشمس لحظات،ولا يجود عليها الانسان بنظرة يرتد من ورائها البصر وهو حسير ؛ فى تلك الكهوف تتوالد القوى المحركة لدولاب الثروة فى البلاد والعاملة على إسعاد العباد ، حقاً إن الانسان عدو لنفسه وأنانى محب لذاته .

كانت ضجة لها رنة فرح حين ازدان « المعرض الصناعى الزراعى المصرى لسنة ١٩٢٦» باقامة بيت الفلاح فيه ، وكان كعبة الأمل والرجاء فى اتجاه الهمم لانقاذ أغلبية الأهالى مما هم فيه ، وكان ثمة اعتقاد حسن فى التضامن القومى ، ولكنها كانت شعلة حماس وقتى لم تلبث قليلا حتى أصبحت رماداً ،وبقى الفلاح فى ما يعانيه وهو محروم من عناية أبناء وطنه بأمره وهو دائب الكد والجد والعمل ،والعناية الربانية تحصنه من شتى الأمراض.

ولا يفوتنى بعض الثناء على القائمين بأمر المستشفيات المتنقلة التى تقام فى الجهات ؛ ولا أترك الفرصة تفلت دون البحث فى هذا الأمر الهام ، أمر الاستعداد للعلاج دون الاهتمام بالوقاية؛ ولعلى أوفق وأتجاسر على أرباب الفن الحاذقين من الأطباء ـ وقد فاتتهم تلك النقطة الدقيقة ـ فان الاهتمام بانشاء المستشفيات والعمل الجدى فى تعميمها ونشر فضلها ، قد وفر على الفلاح ما كان يتكبده ـ من المشاق والمتاعب والنفقات لانتقاله إلى المدن والعاصمة لمعالجة نفسه أو مريضه ـ ما كان يعترضه فى هذا السبيل من الضرورات التى كانت تجبره على الاستدانة

ولو أن هذا جاء متأخراً إلا أنها حسنة ، ولكن ماذا يكون بعد العلاج، وقد عاد إلى البيئة التى سببت المرض والمعيشة التى لا تزال على حالها؟فلا بد من معاودة المرض مرة أخرى... لقد كان مريضا بالبول الدموى ، وقد أنهك قواه وأضعف جسمه ، فدخل المستشفى ونال الشفاء التام ، ثم رجع إلى شرب الماء المتبرك، فهل لا يتبدل البول الدموى بحصى فى المثانة أو سواها ؟ أو ذهب إلى المستشفى ليعالج باصرتيه من رمد صديدى حاد ؟ وأراد الله له النجاة وارتد إلى قريته وفيها مثار الغبار والذباب والبعوض يحتل جوها ، فهل يأمن شر مرض آخر وغير ذلك من البلايا التى يعانيها ذلك المسكين والرزايا التى ينوء بحملها ؛ وقد يمر بخلدى أن ردم البرك والمستنقعات مما عنى بأمره جد العناية ، ولكنى لا زلت أشعر بأنى لا أنسى تلك القروية الساذجة ، وقد أخذت قليلا من الماء النقى المكرر وحملته فى وعائها النحاسى العتيق وتركته مكشوفاً دون غطاء ، ثم بدأت فى واجباتها فأخذت قليلا منه للطبخ بواسطة «كوزها» الملقى بجواره ، ثم أعادت الكرة بذلك الكوز فعكر صفو الماء ، ولما أن أتمت عملها أخذت بقية الماء واغتسلت به وغسلت وجهها ، فهل يعصمها بعد هذا من الرمد عاصم ؟ وهل يدفع عن ولدها الذى شرب من ذلك الماء خطر الانكلستوما أى مجهود ؟ هنا وهنا أيضاً يجب البحث فى الوقاية من تلك الأضرار ، وليس ألزم من الاهتمام بتنظيم معيشة الفلاح وبيت الفلاح وحياة الفلاح .

الفلاح على فطرته كقطعة المطاط تملك أن تسيره كما تشاء وتهوى ، فاذا أردت إصلاحه خلقياً تجده أطوع إليك من بنانك ، وإن اتجهت لتحسين حاله مالياً وضع كل قواه رهن إشارتك، فهو صبور ذو جلد كبير على احتمال المكاره، فالآن وقد تطورت كل المناحى الحيوية لا يصح أن يهمل أمره ويترك من غير عناية فيصبح فريسة للأمراض الاجتماعية والجسمانية.

فى هذا الزمن - الذى يعنى فيه بالحيوان ويشفق به حتى اجتمع بنو الانسان وأسسوا جمعيات الرفق بالحيوان، وأقاموا المستشفيات لمعالجته، ووضعوا القوانين والعقوبات الصارمة لمن يعتدى عليه، ويقصر فى الاهتمام بأمره - لم توجد فى القلوب رحمة ولا رفق بالانسان، ولم يخطر على بال بشر أن ينهض ويهيب بالناس للعناية بهذا المخلوق النافع، حتى يشعر الانسان بآلام أخيه الانسان.

فى القرى مؤلمات كثيرة ومحزنات جمة حيث تجد ذلك المخلوق الضعيف تتقاذفه أمواج الاستهانة فلا يستقر بسفينه على شاطىء.. طول يومه يكد ولا نعيره درجة الاهتمام بالآلة الحديدية التى تباع وتشرى، ولا يجد من يدبر له أمر قوته كما يدبر للآلة أمر وقودها، ولا من يعنى بنظافته كما يهتم بالآلة الصماء، التى من عجيب أمرها ألا يقدم لها من الزيت أو الشحم إلا ما وضع على الأصول الفنية.

أما الفلاح ، أما الانسان المصرى أو الثروة والقوة العاملة ، فعيشه لا يسمن وعيشته مرة وحالته أسوأ حال .

الفلاح ومن غالبيته الجند المدافعون عن الوطن، القائمون بحراسة الأرواح، العاملون على استتباب الأمن والسكينة لا يفارقهم بؤسهم القديم، إذ لا يعنى بطعامهم كأنهم ليسوا كباقى جنود العالم، ولا تتحرك نحوهم عاطفة المقارنة بينهم وبين من يرابط بجوارهم من الجنود الذين لا يأكلون إلا القديد، ولا يلبسون إلا الجديد، ولا ينامون إلا فوق الأسرة.

الفلاح — ومن أكثريته اليد العاملة فى المتاجر والمصانع والمعامل، وفى أشق أعمال التعهدات والمقاولات — مغبون فى أجره، مظلوم فى معاملته مع صلابة عضده وقوة يده، وليس من ينصفه، أو يعنى بأمره، أو يحفل به، ويوثق بينه وبين العامل الأجنبى الذى يتناول الأجر مضاعفاً، ويعامل مكرماً محترماً، ويوثق به ولو كان جاهلا.

ولكن الفلاح الحاج حسين صهر عمى، وزوج ابنته، لم يكن فلاح القرية، بل كان فلاح مدينة طنطا، وأمره عجيب ... كان مغرماً بالمال وجمعه، وقد ساعده حظه، وكان يجوب القرى ويجلب منها الغلال والحبوب ليتجر فيها، فكان ربحه وفيراً جداً، فشب على حب المال، وقد ألقت بنا عصا التسيار فى ضيافته، فزين إلى عمى استخدام أموالنا فى تجارته، وحبب إليه مشاركته لنا، واستماله لهذه الفكرة، وكان أمر الله مقدوراً، وما هى إلا ليلة حتى شاع فى المدينة خبر اندلاع النيران فى محل التجارة، وما هو إلا الصباح حتى بانت قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وقضى الأمر وعادت الخسارة على اليتيمين: أخى وأنا، والحمد لله فقد استنفدت المال ولم تمتد إلى العقار (السيكورتاه).

الفارق كبير جداً بين فلاح القرية البسيط المستسلم لقضاء الله، وفلاح المدينة الصعب المراس، فقد استخدم قوة النسب، وحسب لنفسه ما حسب، وكان — كما بسطت من القول — أن تم له ما أراد، وصادق المجلس الحسبى على الحساب وتم المراد.

ليس فى هذا شيء من العجب، وإنما هذا حال اليتيم: يطمع فى ماله، وتوضع الخطط لاغتياله، ولو كان فى حصانة الوصاية من الأهل، وربما كانت من غيرهم أخف ضررا، ولكن الذنب واقع على أولئك الذين يقيمونهم أوصياء ويكتفون بمحاسبتهم ظاهرياً، وهذه مشكلة لا يحلها إلا أنه يوكل أمر اليتيم إلى هيئة عامة تتحمل مسئولية ولايته، من وقت أن يموت مورثه، وتكون ذات نظام إدارى تصان به حقوق الضعفاء من اليتامى.

فكرت كثيراً وجعلت همى فى تقدير مسئولية عمى، لأنى حللت خططه وفحصت تصرفاته، فرجعت أدراجى إلى علة قوية وهى «المرأة»، فإن حبه لزوجته جعله يخضع لسلطان أبيها مع وجود الفوارق الكبيرة بين البيئة التى نشأ فيها والحياة التى قضاها فى وسطهم، ولهذا قد اضطررت لدرس الحياة الزوجية فى الأوساط المصرية فى الماضى والحاضر، ولا أضن على قراء «المعرفة» الغراء بما وصلت إليه من حقائق، إذ فيه عبرة وعظة.

أسعد لطفى حسن

معجزة الفلم الناطق

بقلم الأستاذ حسن شريف الرشيدى

مدرس العلوم بالمدارس الاميرية

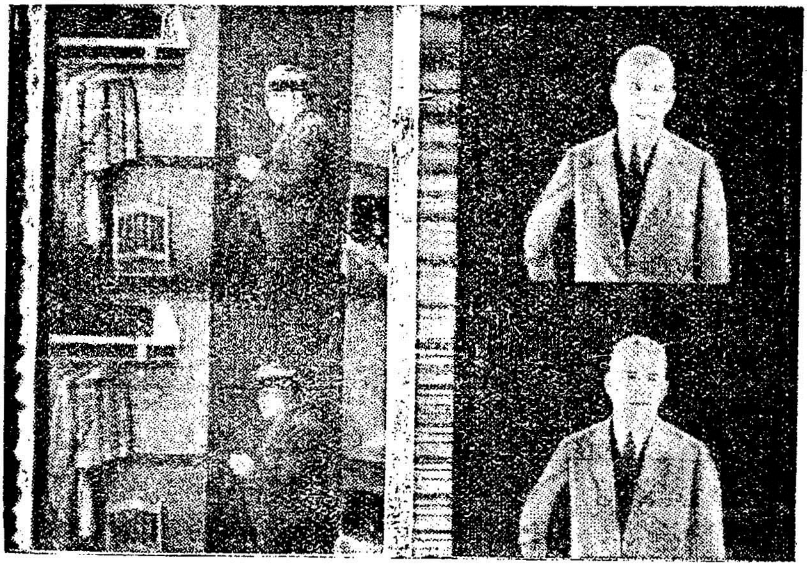
عند مابرزت الصور المتكلمة إلى عالم المسارح دهش الناس كل الدهشة ؛ بينا اشمأز البعض الاخر منها جد الاشمئزاز ، كما أن كثيرين صرحوا أنها لن تدوم طويلا ؛ بل لقد رأينا من انقطع عن زيارة صالات الصور المتحركة بتاتاً ، والحق أن الصور المتكلمة كانت – فى بدء ظهورها – لا تبشر بخير ، ولكن التحسينات التى أدخلت على الكلام والموسيقى بواسطة (الفلم المصور) قد ضمن لها مستقبلا ثابتاً .

وإن قصة الوسائل التى ازدهر بها هذا الفلم الناشىء ، وانتهت به إلى حالته الراهنة، هى فى الحقيقة قصة علم (الاحكام والدقة) ، إذ قد سارع عدد عظيم من أقدر المهندسين والكيمائيين والكهربائيين والموسيقيين فى العالم ، وعملوا معاً كفرد واحد ، متجهين بتفكيرهم إلى غرض ثابت ، وذلك ما لم يحدث مطلقا قبل ذلك فى أى عمل علمى ؛ ويرجع هذا — إلى حد ما — للمكافآت العظيمة التى كانت تبذل لكل مجهود ناجح فى عالم الصور المتحركة ، كما يرجع إلى سحر هذا العمل غير الطبيعى ، وافتتان الجماهير والفنانين به .

ومنذ سنتين كان نصف الصور المتكلمة تقريباً – التى كنا نشاهدها – يعتمد على (الفونوغراف) و (البوق المكبر Loud-Speaker) ؛ فكان الفونوغراف يدار بمحرك كهربائى ، وهذا المحرك يتزن فى دورانه مع محرك آخر يسحب الفلم أمام المصباح البارز (Projecting Lamp) ، ولكن تموجات الصوت المصور المطبوعة على حافة الصورة صارت الآن أكثر إحكاماً من الطريقة السابقة ، وربما اختفى الفونوغراف بتاتا من عالم الصور المتكلمة بعد سنة واحدة .

وترى فى الشكل المرسوم على الصفحة التالية (ص ٥٤٦) قطعة من الفلم المصور الناطق ؛ وتحتل صورة الشخص جزءاً كبيراً ، ولكن فى أحد الجوانب ترى خطا متموجا ضيقا للصوت ، وفيه تطبع صورة الأصوات — كالأصوات الانسانية والموسيقى — ، وهى التى أخذت فى آلة أخرى ، ولكن فى نفس وقت أخذها تماما التقطت صور المشاهد .

وترى فى الفلمين المرسومين نوعين من خطوط الصوت «Sound Tracks» ، يرى أحدهما فى شكل سلسلة جبال تمتد على طول الفلم ، ويرى الاخر فى شكل قضبان أفقية يختلف اتساعها وتعترض خط الصوت الطولى .



ويدين الفلم الناطق بوجوده إلى أعظم اختراع علمي وهو « الصمام Valve » ؛ وكان من الممكن أن نشاهد الصور المتكلمة منذ عشرين عاما مضت، لو كان لدينا هذا الصمام المدهش، الذي يمكن به للتيار الكهربائي الضعيف أن يكبر تدريجاً حتى يصير قادراً على أن يؤدي عملا .

وقد عرف — من زمن ما — أن شعاع الضوء الذي يسقط على مادة خاصة يولد تياراً كهربائياً ، ولكن هذا التيار كان من الضعف بحيث لم يمكن استخدامه أو الانتفاع به؛ فكان الصمام هو الحلقة المفقودة التي تم بها هذا الاختراع .

ومهما كان التأثير الكهربائي ضعيفاً اليوم، فانه يمكن تكبيره عشرات الملايين من المرات ؛ وشعاع الضوء الذي يسقط بسرعة هائلة على صفيحة من المعدن مغطاة بالبوتاسيوم يولد تيارات لا نهاية لها يمكن تكبيرها جداً بواسطة الصمامات ، حتى إن الصوت الذي تولده في البوق المكبر يسمع في صالة تسع خمسة آلاف من المشاهدين .

وطريقة التقاط الأصوات هي كما يأتي :

يعلق الميكروفون ـ وما هو إلا غشاء كغشاء سماعة التليفون ـ في الاستوديو ، فيلتقط أصوات المتكلمين وموسيقى الأوركسترا ، ويحول اهتزازات الهواء التي تولدها هذه الأصوات إلى تيارات كهربائية ضعيفة ، وذلك ما يحدث تماما عند التكلم في التليفون ، ثم تكبر تيارات الميكروفون الكهربائية هذه ـ بواسطة الصمام ـ حتى تصير من القوة بحيث تضيء نوعاً معيناً من المصباح الكهربائي .

ويملأ هذا المصباح بغاز الأرجون ، وبه أنبوبة تملأ بموصل للكهربائية، وتعمل كأحد القطبين ، ويعمل موصل آخر في أحد جوانب المصباح كالقطب الاخر، ثم يشحن المصباح بنحو

مائة فولت من الكهربائية فتتولد شرارة زرقاء لامعة بين القطبين ، وهذه الكهربائية التى شحنت فى المصباح هى التيارات الآتية من الميكروفون ؛ ويكثر الضوء أو يقل فى المصباح تبعاً لاهتزازات الصوت ، فاذا كانت نغمة الصوت قوية كان التوهج قوياً ، وإذا كانت النغمة خافتة كان الضوء خافتاً ، ويكون كذلك مقدار تذبذبات الضوء (Flickers) فى الثانية بقدر اهتزازات الهواء الناتجة من الصوت تماما ، والخلاصة أن المصباح يعيد تردد النغمات وشدتها.

والصورة المتكامة ما هى إلا صورة ضوء هذا المصباح مأخوذة على فلم يجرى فى داخل آلة الالتقاط (الكاميرا) بنفس السرعة التى للفلم الذى فى الالة الأخرى ، وهو الذى يلتقط صور المشاهد .

وتضبط الالتان معاً — كما ذكرنا — ويدير كلا منهما محرك كهربائى فى وقت واحد ، ويجرى الفلمان فى داخل الآلتين بمعدل ٩٠ قدما فى الدقيقة ، أى ميل فى الساعة تقريبا . ويركز ضوء المصباح الناطق على صفيحة صغيرة من المعدن موضوعة أمام الفلم المتحرك ؛ ومن المعلوم أن تيارات الميكروفون تجعل المصباح فى حركة دائمة ، وكل آلاف الترددات والتغييرات فى نغم الأوركسترا ، وكل المميزات الدقيقة لصوت الانسان تجمع فى تذبذب الضوء ، وتظهر الصور العديدة — التى على الصفيحة — على الفلم المتحرك بسرعة ، مكونة هذه القضبان الصغيرة على خط الضوء (Track) الذى نراه فى الصورة عند إظهار الفلم (Development) .

أما سلسلة الجبال التى تظهر على خط الصوت فى الصورة الأخرى ، فانها تسجل بطريقة مغايرة للأولى تمام التغاير ، إذ تمر تيارات الميكروفون فى سلكين دقيقين يمتدان بين قطبى مغناطيس قوى ، وفى وسط السلكين توجد مرآة دقيقة مثبتة فيهما ، ويسبب مرور التيارات فى السلكين التفافهما أو التواءهما قليلا ، وذلك نتيجة التأثير المغناطيسى كما هو معروف ؛ ففى حالة السكون تكون المرآة بحيث تعكس شعاعاً ضوئياً من مصباح كهربائى صغير ينتصفه تقريبا قضيب معدنى يمر خلفه الفلم ، وعند ما تهتز المرآة — بسبب تيارات الميكروفون — تبعث بالضوء قليلا أو كثيراً إلى القضيب المعدنى ، وتأثير ذلك على الفلم عند إظهاره وجود تلك السلسلة الجبلية بقممها ووديانها العديدة .

وما هو ذلك الذى كان له الأثر فى تحسين الصور المتكلمة ؟

للاجابة عن ذلك يمكننا أن نفترض مئات الأسباب ، ولنبدأ بالاستديو حيث تؤخذ الصور : ففيه ظهر فجأة علم السمعيات (Acoustics) ، واحتل مكاناً هاماً ؛ فاستدعى المهندس والمعمارى والبناء ، وعاونهم رجال لهم دراية كبيرة بموضوع الصوت ، وبنى الاستوديو بشكل خاص ، واخترعت كل أنواع المواد البنائية الحديثة لتمنع حدوث الصدى ، ولتعطى كمية مثلى من الانعكاسات ، ولتمنع الأصوات الخارجية عن التسلل إلى الأستوديو ، وكثيراً ما تبنى الجدران والسقوف من ست أو سبع طبقات من مواد لها خاصية امتصاص الأصوات ، وقد درست خواص هذه المواد دراسة رياضية وافية بأحدث الأجهزة العلمية .

وقد مرت على إضاءة الأستوديو تطورات كثيرة ، لأن المصابيح الكهربائية القوية ـ التى كانت تستعمل قبل عمل الأفلام الصوتية ـ كانت تحدث ضوضاء كثيرة ، فأبعدت وحل محلها مصابيح متوهجة لا صوت لها ، وبما أن أربع أخماس قوة إضاءة هذه المصابيح المتوهجة تفقد على هيئة حرارة ، فقد قامت عدة مشاكل فى سبيل التخلص من هذه الحرارة المرهقة بواسطة التهوية ، إذ صارت حرارة الأستوديوات ـ المضاءة بمصابيح قوتها ملايين من الشمعات ـ لا تطاق ، وصار من اللازم جداً إدخال الهواء البارد وإخراج الهواء الحار ، ولكن بمجرد دخول الهواء فى الأنابيب الضخمة يحدث أصواتا غريبة كافية لأتلاف الصور ، فاضطروا لتدبير حيل أخرى تمكنوا بها من تهوية الأستوديو بدون ضوضاء .

ومن أهم الصعوبات التى قامت فى تصوير الصوت هو الحيز الضيق جداً الذى فيه يطبع القرص (الاسطوانة) ، إذ أن الصورة المتحركة يبلغ اتساعها بوصة وثلاثة أرباع البوصة ، ويوجد فى أحد جوانبها (أى بين الصورة والثقب) خط الصوت الذى يبلغ عرضه أقل من عشر بوصة ، وفى هذا الحيز الضيق يجب أن تطبع ملايين الخطوط الرفيعة التى بشكل القضبان ، أو المجموعة المتشابكة الدقيقة من الارتفاعات التى تكون الصورة الصوتية .

وكل من له إلمام بالتقاط الصور يعرف أن الصور التى تلتقط وتبلغ حد الكمال هى فى الواقع قليلة جداً ، إذ يبدو ضوء البعض منها أكثر من اللازم ، كما يبدو البعض الاخر مظلماً أو مهتزاً أو غير ذلك من عيوب التصوير ، ولكن فى الفلم المصور يجب أن يكون كل جزء صغير من آلاف الأمتار ـ من هذا الخط الصوتى الدقيق ـ صورة كاملة الاتقان .

ولذلك نمت هذه الصناعة الحديثة ، التى أصبح الاتقان الدقيق له الأهمية العظمى فيها ، ولو أنك فحصت صورة فتوغرافية عادية بعدسة قوية جداً ، لظهر أنها مصنوعة من ملايين الحبيبات الدقيقة (Grains) ، أو مجموعات من ذرات الفضة السوداء ؛ ولو أن هذه الحبيبات صغيرة ، إلا أنها إذا كبرت تكبيراً كافياً فانها تظهر على شكل كتل أو عقد موضوعة على طول الشكل الدقيق للصورة الصوتية ، ومجرد انتظام هذه الحبيبات الصغيرة يحدث جلبة دقيقة (حفيفاً) عند تسجيل الصوت ، وقد بذلت لذلك مجهودات عظيمة لتوليد فلم ليس به هذه الحبيبات حتى يكون إخراج الصوت متقناً .

وقد مرت أعوام كثيرة فى سبيل إتقان الصورة الصوتية ، واستعملت لذلك وسائل كيمائية وبصرية (Optical) ، وتألفت جمعية بريطانية مهمتها تحسين الطرق الميكانيكية للحصول على خير مسجل للصوت (Reproducer) ، وخير قرص (اسطوانة) له . وقلما يدرك المشاهد للصور المتحركة المجهود الهائل الذى يبذل فى عشرات المعامل الفنية لاتقان الصور المتكلمة .

وكلنا يشعر بالأزيز أو الحفيف الذى يخرج من آلة الراديو إذا لم تضبط تماماً ، وكيف يكون الصوت غير طبيعى إذا كان « البوق المكبر » ردىء الصنع .

ولكن فى الصور المتكلمة يجب أن تكون كل آلات التسجيل والتكبير فى منتهى الدقة، وأقل تحريف فى الصوت أو أقل ضوضاء خارجية تصير هائلة ومفزعة عند تكبير الصوت ليسمع فى الصالات المتسعة .

وبما أن الأصوات الانسانية تختلف فى الشدو الضعف، وبما أن النغمات الموسيقية تختلف أيضاً فى درجة توقيعها — وذلك ما يجعل الفرق كبيرجدا عند تكبيرها ليسمعها النظارة — ، لذلك يجب عند عمل الفلم الناطق أن تكون أصوات الممثلين وكذلك النغمات الموسيقية فى مستوى توافق واحد ، ويتم ذلك بواسطة قرص خاص يجمع التيارات من الميكروفونات المختلفة قبل مرورها فى الآلة المصورة ، ويلاحظ هذا القرص خبير بالأصوات حتى يساوى بين الأصوات الضعيفة والقوية .

وأحسن نوع لآلة التصوير يساوى تقريباً ألفين من الجنيهات ، وذلك لأنها آلة علمية متقنة الصنع إلى حد كبير جداً ؛ وليتذكر كل منا أن الصورة التى تلتقطها هذه الآلة — وهى فى حجم طابع البريد — تكبر حتى تملأ الشاشة البيضاء، وتبدو لنا ولا عيب فيها مطلقاً ؛ ولتصوير الصوت تضاف فوق ذلك آلاف أخرى من الجنيهات إلى ثمن الآلة السابقة ؛ والرجل الذى يلتقط الصور —وهو المعروف بالمصور (Camera man)— من أقدر الأشخاص وأرفعهم بعضهما أجراً فى عالم الصور المتحركة.

وعندما يتم صنع الفلم الصوتى — محتوياً فى خطه الضيق على الصورة التى يحولها الضوء والكهرباء — كما سبق — إلى موسيقى — يطبع على كل نسخة من الصورة بعد ذلك ، وعند ما يتم التقاط الصورة المتحركة والصورة الصوتية — كل منها فى آلتها تضاف الصورتان بعد ذلك إلى فى نسخة واحدة للعرض .

وعلى ذلك يعتبر المصباح البارز فى المسرح كآلة مزدوجة ، ففى الأول يعتبر كالفانوس السحرى يبعث بالصور المكبرة إلى الشاشة البيضاء بمعدل ٢٤ صورة فى الثانية، ويبعث أيضا بشعاع ضئيل من الضوء — وهو صورة خط الصوت — على خلية الصوت التى على الشاشة (Photo-cell).

وبما أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت جداً، لذلك كان من اللازم أن نشاهد الصور بمجرد وقوعها على الشاشة ، ثم نسمع بعد ذلك بقليل أصوات الممثلين ، أى أن المناظر تسبق الأصوات ، ولتلافى هذا العيب جعلت الصورة الصوتية بحيث تمر خلال مولد الصوت قبل ظهور صورة المنظر على الشاشة ، وبذلك يعطى للصوت وقت كاف يصل فيه إلى المستمعين قبل أن يروا الحركات ، أى تسمع الكلمات والموسيقى فى نفس الوقت الذى يظهر فيه المنظر الملائم .

والنتيجة : أننا لا نزال — مع ذلك — فى أول خطوة من خطوات التصوير الصوتى ، وسوف يتوالى تحسين الصور الناطقة فى السنين القادمة ، ولو أننا نرى الان أن عمل فلم صوتى يجب ن يساهم فيه أقدر العلماء الاختصاصيين فى العلوم الحديثة مخترعين لذلك أتقن الآلات الميكانيكية ، وما من شىء يعجز عنه عقل الانسان .

حسن شريف الرشيدى

الغزال الشاعر

بقلم الدكتور زكى مبارك

الغزال هو يحيى بن الحكم البكرى الجيانى ، ولقب بالغزال لجماله ، ولد سنة ١٥٦ ﻫ وتوفى سنة ٢٥٠ ، وهو شاعر مفلق ضاع ديوانه ولم يبق من شعره غير شذرات متفرقة فى كتب الأدب ، وكان يذهب فى أكثر شعره مذهب راشد بن إسحاق ، وهو شاعر ضاع ديوانه أيضاً ، وتحامى المؤلفون فى الأدب رواية شعره لما كان يغلب عليه من المجون .

وللغزال قصيدة حاكى بها مذهب راشد وشاع ذكرها فى المشرق ، وبلغ من أهميتها أن سأل عنها عبد الله بن طاهر — يوم كان والى مصر من قبل المأمون — احد تجار الأندلس ، فلما أنشده إياها سر بها وكتبها وأجزل لراويها العطاء .

والقصيدة مجونية ، ولكن مجونها ملفوف ، لهذا نستبيح تقديمها لقراء « المعرفة » ، وما نحسبهم يتورعون عن رواية ما استجاده أمير كان يراه الذهبى من كبار الملوك .

خرجت إليك وثوبها مقلوب ولقلبها طرباً إليك وجيب
وكأنها فى الدار حين تعرضت ظبى تعلل بالفلا مرعوب
وتبسمت فأتتك حين تبسمت بجمان در لم يشنه ثقوب
ودعتك داعية الصبا فتطربت نفس إلى داعى الضلال طروب
حسبتك فى حال الغرام كعهدها فى الدار إذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما فى نفسها فضممتها فتساقطت بهنانة رعبوب
وقبضت ذاك الشىء قبضة شاهن فنزا إلى كغصنها حلبوب
بيدى الشمال ولا شمال لطافة ليست لأخرى والأديب أريب
فأصاب كفى منه حين لمسته بلل كماء الورد حين يسيب
وتحللت نفسى للذة رسحه حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه وربما ناديته خيراً فليس يجيب
وأبى لخفق فى الاباء كأنه جان يقاد إلى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنه كير تقادم عهده منقوب
حتى إذا ما الصبح لاح عموده قبساً وحان من الظلام ذهوب
ساءلتها خجلا أما لك حاجة عندى فقالت ساخر وحروب
قالت حرامك إذ أردت وداعها قرن وفيه عوارض وشعوب

وحكى ابن دحية أن الغزال سافر إلى بلاد المجوس ، وقد قارب الخمسين ووخطه الشيب ، ولكنه كان مجتمع الأشد ، فسألته زوجة الملك يوماً عن سنه فقال لها مداعباً : عشرون سنة ، فقالت : وما هذا الشيب ؟ فقال : وما تنكرين من هذا ؟ ألم ترى قط مهراً ينتج وهو أشهب ؟ فأعجبت بقوله ، فقال فى ذلك — واسم الملكة تود — :

كلفت يا قلبى هوى متعباً ... غالبت منه الضيغم الأغلبا
إنى تعلقت مجوسية ... تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله فى حيث لا ... يلقى إليه ذاهب مذهبا
يا تود يا رود الشباب التى ... تطلع من أزرارها الكوكبا
يا بأبى الشخص الذى لا أرى ... أحلى على قلبى ولا أعذبا
إن قلت يوماً إن عينى رأت ... مشبهه لم أعد أن أكذبا
قالت أرى فوديه قد نورا ... دعابة توجب أن أدعبا
قلت لها ما باله إنه ... قد ينتج المهر كذا أشهبا
فاستضحكت عجباً بقولى لها ... وإنما قلت لكى تعجبا

فلما فهمها الترجمان هذه الأبيات ضحكت وأمرت الغزال بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب وقال فى ذلك :

بكرت تحسن لى سواد خضابى ... فكأن ذاك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب يعمه ... إلا كشمس جللت بضباب
تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا ... فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشيب فانما ... هو زهرة الأفهام والألباب
فلدى ما تهوين من شأن الصبا ... وطلاوة الأخلاق والآداب

وحكى ابن حيان أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم وجه الغزال إلى ملك الروم فأعجبه حديثه ، وخف على قلبه وطلب إليه أن ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر . وكان يوماً جالساً عنده وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهى كالشمس الطالعة حسناً ، فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها ، وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه ؛ فأنكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله ، فقال له : عرفه أنى قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فانى لم أر قط مثلها ؛ وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وأنها شوقته إلى الحور العين ! فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده ، وسرت الملكة بقوله ، وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذى دعا المسلمين إلى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوه من الفائدة ، فقال للترجمان : عرفها أن فيه أكبر فائدة : وذلك أن الغصن إذا زبر قوى واشتد وغلظ ، وما دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقاً ضعيفاً ، فضحكت وفطنت لتعريضه .

وكان الغزال أقذع فى هجاء على بن نافع المعروف بزرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن بن الحكم فأمر بنفيه ، فدخل العراق بعد موت أبى نواس بمدة يسيرة، فوجد العراقيين يلهجون بذكره ولا يساوون شعر أحد بشعره ، فجلس الغزال يوماً مع جماعة منهم، فأزروا بأهل الأندلس واستهجنوا أشعارهم حتى وقعوا فى ذكر أبى نواس ، فقال لهم الغزال : من يحفظ منكم قوله:

ولما رأيت الشرب أكدت سماؤهم تأبطت زقى واحتبست غنائى
فلما أتيت الحان ناديت ربه فثاب خفيف الروح نحو ندائى
قليل هجوع العين إلا تعلة على وجل منى ومن نظرائى
فقلت أذقنيها فلما أذاقها طرحت إليه ريطتى وردائى
وقلت أعرنى بذلة أستتر بها بذلت له فيها طلاق نسائى
فوالله ما برت يمينى ولا وفت له غير أنى ضامن بوفائى
فأبت إلى صحبى ولم أك آئباً فكل يفديى وخف فدائى ...؟

فأعجبوا بالشعر وذهبوا فى مدحهم له كل مذهب ؛ فلما أفرطوا قال لهم الغزال : خفضوا عليكم فان الشعر لى ! فأنكروا ذلك ، فأنشدهم قصيدته التى أولها :

تداركت فى شرب النبيذ خطائى وفارقت فيه شيمتى وحيائى

فلما أتمها خجلوا وتفرقوا عنه .

وكان الغزال سيء الظن بوفاء المرأة ، وله فى ذلك هذه القطعة التى تعد من أبرع ما قيل فى هذا المعنى :

يا راجياً ود الغوانى ضلة وفؤاده كلف بهن موكل
إن النساء لكالسروج حقيقة فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل ذاك المكان وفاعل ما تفعل
أو منزل المجتاز أصبح غادياً عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالثمار مباحة أغصانها تدنو لأول من يمر فيأكل
أعط الشبيبة - لا أبا لك - حقها منها ، فان نعيمها متحول
وإذا سلبت ثيابها لم تنتفع عند النساء بكل ما تستبدل

وقد عمر الغزال أربعاً وتسعين سنة ، وعانى فى مشيبه ما عانى من كذب الغوانى، وله فى خداعهن هذه الأبيات :

قالت أحبك قلت كاذبة غرى بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك إن م الريح نعقدها فتنعقد
أو أن تقولى النار باردة أو أن تقولى الماء يتقد

[البقية على الصفحة رقم ٥٥٧]

٣ - القواعد الجديدة فى العربية *

للأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

٤٤ — فعلان ، يصاغ من الثلاثى اطراداً للدلالة على السرعة فى الفعل ، مثل « سرعان » ، و « شتان » ، و « شكان » أى ما أسرع ، وما أشت ، وما أوشك .

٤٥ — فعلا التعجب « ما أفعله وأفعل به » ليسا بماضيين ، لأن التعجب يستوجب الانشاء ، ولأن الماضى مختص بالخبر ما عدا الدعاء والرجاء ، مثل : « وفقك الله للخير » ، فانه محمول على التفاؤل ، والأصل فيه المضارع ، كقوله : « أراك بارئاً » .

٤٦ — (فعل تفعلة) مطرد ، مثل : « حلله تحلة ، وعرفه تعرفة ، وجلله تجلة ، وعلله تعلة ، وكرمه تكرمة ، وبصره تبصرة ، وقدمه تقدمة ، وكمله تكملة » ، واستقصاء المسموع منه صعب ، وبذلك تصبح القاعدة شاملة لا خاصة .

٤٧ — المفعل (بكسر العين) : مصدر مطرد ، وتلحق به المفعلة ، مثل : « رجع مرجعاً ، وصار مصيراً ، وشاب مشيباً ، ورفق مرفقاً ، وقال مقيلا ، ومال مميلا ، وبات مبيتاً ، وباع مبيعاً ، وحسب محسبة ، وشاء مشيئة ، وأوى مأوية ، وبحث مبحثة ، وحمد محمداً ، وحمى محمية ، وحاد محيداً ، وخشى مخشية ، وخال مخيلة ، ورثى مرثية ، ورزأ مرزئة ، وزرى مزرية ، وزل مزلة ، وسال مسيلا ، وشتم مشتمة ، وحاضت محيضاً ، وعصى معصية ، وعاش معيشاً ، وعال معيلا ، وعدل معدلة ، وغفر مغفرة ، وغاب مغيباً ، وفر مفراً ، وقدر مقدرة ، وقلى مقلية ، وكبر مكبراً ، وكال مكيلا ، وملك مملكة ، ونزل منزلا ، ونسب منسبة ، ونطق منطقاً ، وناص منيصاً ، وحاص محيصاً ، ووتق موتقاً ، ووثق موثقاً ، وود مودة ، ووضع موضعاً ، ووعد موعداً وموعدة ، وولد مولداً » ، وقيل منها (١) : « جاء مجيئاً ، وزاد مزيداً » ، ثم غاض مغيضاً ، وعاب معيباً (٢) . ويجب دخول الهاء فى آخر المعتل اللام بالياء - كما تقدم - مثل : « معصية ، ومخشية ، ومأوية ، ومرثية ، ومحمية ، ومقلية » ، لتستقر الكسرة بعد نفورها من ضدها ، واستقرارها يكون بانقلاب ضدها ياءاً .

---

* راجع ج ١٢ : ابريل سنة ١٩٣٢ (السنة الاولى) و ج ٢ : يونيو سنة ١٩٣٢ (السنة الثانية) من « المعرفة »

(١) نحن قلناه فى « لغة العرب » لبيان المصادر التى جاءت على وزن « مفعول » مثل : « المجلود ، والمحلوف والمفتون ، والمعسور ، والمعقول ، والمردود ، والميسور » ٦ : ٧٦١ .

(٢) ليست هذه القاعدة من مخترعاتنا ، فقد جاء جوازها فى المزهر (٢ : ٦٤) ، قال : « ومن العلماء من يجيز الكسر والفتح فيها مصادر كنى أو أسماء » ، ونقله ابن القوطية أيضاً .

٤٨ — إذا كان تأثير الفعل من أعلى فيجوز استعمال « على » اطراداً مع الفعل المتعدى بنفسه ، مثل : ختمه وختم عليه ، وركبه وركب عليه ، وضربه وضرب عليه ، وداسه وداس عليه ، وضغطه وضغط عليه ، وقبضه وقبض عليه ، وسده وسد عليه ، وساده وساد عليه ، قال الشاعر :

فعدنا والفخار لنا لبـاس نسـود به على أهل الزمان

ورغب بعضهم إلى المجمع العلمى العربى السورى فى نيـل العضوية بكتيب فيه تصحيح (ساد عليه) : بساده ، و (علا عليه) : بعلاه ، و (غطى عليـه) : بغطاه ، وأمثال هذه الهفوات ، وقد نال العضوية — مع أن القاعدة الفلسفية مطردة فى ذلك زيادة على السماع — ، وحسبك من السماع أنه ورد فى التنزيل المجيد فى سورة المؤمنين : « ما اتخذ الله من ولد » ، « وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق (ولعلا بعضهم على بعض) سبحان الله عما يصفون » ؛ ووردت الرواية فى المصباح المنير هكذا : (وعلوت على الجبل ، وعلوت أعلاه بمعنى أيضا) ، ومن استعماله فى غير القرآن الـكريم ما ورد فى الأغانى (١ : ٢٥٤) طبعة دار الـكتب ، ونصه : (فعلا على أبى قبيس وناح بشعره) أراد به ابن سريج المغنى ، ومنه قول مروان بن أبى حفصة الشاعر : « أخلق به أن يغلبنى وأن يعلو على عنـده » ، كما جاء فى أمالى المرتضى (٤ : ١٨٦) ، وقول أبى الفضل عيسى الحاجرى من الشعراء المتأخرين :

يا برق إن جئت الديار بأربل وعلا عليك من التدانى رونق(١)

ومنه قول النقيب أبى جعفر العلوى(٢) : « وعلا عليه من هو دونه » ، كما فى شرح ابن أبى الحديد (٢ : ٥٧٦) ، وقال الشارح فى ص ٤١٩ منه : « تظلـكم : تعلو عليكم » ، وفى (٣ : ١٨٩) من الشرح قوله عليه الصلاة والسلام قبيل موته : « إنى لـكم منه نذير وبشير أن لا تعلو على الله فى عباده وبلاده » ، وفى (٤ : ٣٧٧) منه قول هانىء بن مسعود :

إن كسرى علا على الملك النعـ ـمان حتى سقاه أم الرقوب

وفى ص ٤٢٥ قول عبد الأعلى البصرى :

ويقول لما أن تنفس خاليا نفساً له يعلو على الأنفاس

وجاء فى حوادث سنة ٢٦٧ هـ من تاريخ الطبرى « فوهب الله له العلو بعد صبر » ، وجاء فى مادة (ع ر ش) من مختار الصحاح : « واعترش العنب إذا علا على العراش » ، وفى وصية جميل بثينة للاعلام بنعيه : ثم البس حلتى هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات ؛ وقال سبط بن التعاويذى :

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٣٥) .

(٢) ذكرناه في ص ٢٢٧ من السنة الثانية لمجلة « المعرفة » .

فان أكن عالياً عليه فهو على كاهلى ثقيل

وقال البديع الأسطرلابى هبة الله :

قلت : فرخ الطاووس أحسن ما كا ن إذا ما علا عليه الريش

وما ذكرنا هذه الاستعمالات ـ بعد استعمال التنزيل ـ إلا ليعرف بعضهم ما يجب على العالم اللغوى من الاستقصاء والتبحث والتحرى .

ودليل (غطى عليه) بمعنى (غطاه) قول عروة بن أذينة ، كما فى ص ٤٣٨ من شرح الطرة عن الغرة ، نقلا عن كتاب « رائق الشعر لابن قتيبة » ، وكما فى الوفيات (١ : ٢٢٧) :

ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى

ومن أدعية الامام على بن أبى طالب التى كان يدعو بها زين العابدين على الأكبر بن الحسين : « وكم من ذنب غطيت عليه فلم تشهرنى » ، وهو من أدعية الصحيفة ؛ ومن كتاب للامام على إلى معاوية ـ كما جاء فى شرح نهج البلاغة (٣ : ٤٠٩) : « لتعلم أينا المرين على قلبه ، والمغطى على بصره » ؛ وورد هذا التعبير أيضا فى (٤ : ٥١) منه ، وفى (جل) من المصباح « وجلل المطر الأرض بالتثقيل : عمها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطى عليه » ، وفى (١ : ٧) من المستطرف قول بعضهم :

أوكان يتركها لنوع تكاسل غطى على وجه الصواب حجابا ؟

وبعضهم ـ وهو ممن لا علم لهم ـ يعد (غطى عليه) من فاحش الغلط ، وهو معذور لجهله أساليب العرب .

ومثل (فاقه وفاق عليه) ،ولكن الأخير لم يرد فى معاجم اللغة ولا عرف قاعدته أحد غيرنا، ومنه قول أبى عبيدة كما فى (٤ : ٢٣١) من شرح ابن أبى الحديد : « ولعبد القيس ست خصال فاق بها على العرب » ، وقال أبو على الحسن بن على الأهوازى المقرىء فى كتاب الاقناع ـ على ما فى ٦ : ٤٢٧ ـ من إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : « كان أبو جعفر الطبرى عالماً بالفقه ، و ... له فى جميع ذلك تصانيف فاق بها على جميع المصنفين » ، وفى مادة (ب ر ز) من المختار « وبرز أيضاً : فاق على أصحابه » ، وقال أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق ابن القوطى المؤرخ فى ترجمة هولاكو فى حوادث سنة ٦٦٣ من الحوادث الجامعة : « كان عالى الهمة ... فاق على من تقدمه بالرأى السديد » ؛ والغريب أن اللغويين ذكروا (فاق عليه) فى غير بابها كما فعل الجوهرى ، وهم طالما ذكروا فى عرض كلامهم ما لا يذكرونه فى مادته ، وهو تقصير منهم .

ومثل (ستره وستر عليه) ، ولم يذكره اللغويون ؛ فقاعدتنا الجديدة تسنده ونأتى بسماع يعضده ، وهو قول الامام على كما فى شرح النهج (٢ : ٤١٢) : « أما ذكر موضع

ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذى عابه به » ، وقوله كما فى (٤ : ٢٩١ ، ٣٥٥) منه : « كم من مستدرج بالاحسان إليه ، ومغرور بالستر عليه » ، وحسبك قول الامام شاهداً لصحة التعبير ، وعلو مرتبته .

ومثل (حضنه وحضن عليه ، وضمه وضم عليه ، ولواه ولوى عليه ، واحتواه واحتوى عليه ، وطبعه وطبع عليه) ، وما عداه كثير ، ورأينا بعضهم(١) ينكر صحة (ضغط عليه) ، وقد جاء فى المختار « يقال : الضاغط كالرقيب والأمين ، يقال : أرسله ضاغطاً على فلان ، سمى بذلك لتضييقه على العامل » ، ومنه حديث معاذ « كان على ضاغط » ، وفى النهاية « كان معى ضاغط » ، وجاء فى أساس البلاغة « وأرسلته ضاغطاً على فلان : مهيمناً عليه يتتبع ما يأتى به » ، فهذا ـ وإن كان من التعبير المجازى ـ يدل على قبول الفعل له « على » واطراد قاعدتنا المشار إليها فى أول المادة .

٤٩ ـــ مفعلة (بفتح الميم والعين) يطرد صوغها لسبب فعلها والحمل عليه ، مثل : « الولد مجبنة مبخلة » أى يسبب له الجبن والبخل ، ومثل « شراب مبولة ، وتجارة مثراة ، والصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والطمع مفسدة ، هذا مدعاة إلى ذاك ، وسفر مهلكة ، وأرض مفازة تسبب التفويز ـ وهو الموت ـ ، والشمس مجفرة » .

٥٠ ـــ اسم المصدر ، يأتى غالباً على وزن (فعيلة) نحو : الأذية ، والأفيكة ، والألية ، والبصيرة ، والبلية ، والبديهة ، والجريرة ، والحفيظة ، والحمية ، والخديعة ، والخصيصة ، والخطيئة ، والدسيسة ، والرزيئة ، والسجيمة ، والسهيرة ، والسكينة ، والسليقة ، والسوية ، والشبيبة ، والشتيمة ، والشريطة ، والشعيرة ، والشكية ، والطبيعة ، والعقيدة ، والفضيحة ، والقضية ، والقطيعة ، والنميمة ، والنقيصة ، والهتيكة ، والهزيمة ، والهضيمة ، والوصية ، والوقيعة ، والسيئة ، والتقية ، وغيرها .

٥١ ـــ الوصف بالمصدر ، واسمه مطرد مثل : « أصبح ماؤكم غوراً ، وأنت حرب لمن حاربنا وسلم لمن سالمنا ، وذلك الشىء عدم ، وهو رجل عدل ، وذو الرأى الصواب ، وسفكوا الدم الحرام ، وتركوا الشىء الحلال ، وهذا الأمر حق ، وهو براء منه فرط للصالحين وقمن بالفضائل وأنتم حرىً باتباعه ، ونحن معك وطوعك ، وفعله شر لا خير ، والحرب بينهم سجال ـ أى مساجلة ـ ، وجرى المذكيات غلاب ـ كما فى الأمثال أى مغالبة ـ ، وهو أمن للخائفين ، وهو أهل لكذا ، وأمر جزم ، وماء جمد ، وهؤلاء جمع وحشد ، ومطر جمود ، وهو حب لها ـ أى حاب ـ ، وهوحرض من المرض ، وهم حفل كثير ، وهو حل بل ، وذاك شىء دوم ، وكان هذا ديناً عليه ، وهو رجع ـ أى مرجوع ـ ، وكان النشيد رجزاً ، وإنكم

---

(١) راجع ص ٧١ من المجموعة المسماة « تذكرة الكاتب » ، وفيها تعسفات شاقة يحسن ازالتها منها .

رصد ، وعيش رغد ، ودرهم زيف ، ونجوم وأشهر سرد – أى متتابعة – ، وهذا سقط ، وماء وفرس سكب ، وأرسله الله رحمة وسكنا ، وماء سيح ، ومطر سيب ، وشىء سيل ، وأمر شت ، وماء شرب ، ومكان شرم ، وهو شفع لا وتر ؛ ويوم صحو ، ولقاء وطعن صدق ، وثوب خلق ، وهم صلح لنا ، وهم عون لنا ، وشىء عصب ، وهو نصل » ، وما يصعب ذكره .

٥٢ — (فاعله مفاعلة) ، يطرد إذا كان لتسبيب التفاعل والافتعال مثل : « جادله ، وسابقه ، وحاربه » ، وكان العلماء يساوون بين المفاعلة من جهة ، والتفاعل والافتعال من جهة أخرى ، وهو تساهل منهم ، لأنك تقول : « جادلته فلم يجادلنى ، وسابقناهم فلم يسابقونا » ، ويؤيدنا فى هذا المذهب قول الأخطل .

فلأياً قصرت الطرف عنهم بجرة   أمون إذا (واكلتها لا تواكل)

ومن الخطأ قولنا أو قول غيرنا : « لا يجوز أن يقال : داهمه الخطر وجابهه فلان » وما إلى ذلك ، لأن تسبيب التفاعل والافتعال من الأحوال البشرية المتعارفة ؛ وما أحرى العربية أن تقوم بحاجة البشر ؟

(بغداد)   مصطفى جواد

الغزال الشاعر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٥٥٢]

وقال فى سوء الظن بالناس :

لا ومن أعمل المطايا إليه   كل من يرتجى لديه نصيبا
لا أرى ههنا من الناس إلا   ثعلباً يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيهاً بالقط ألقى بعينيه   إلى فارة تريد الوثوبا

وقال فى هجاء من اسمه أبو حازم :

سألت فى النوم أبى آدم   فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم   صلى عليك الملك الخالق
فقال لى إن كان منى ومن   نسلى فحوا أمكم طالق !

وبعد فهذه كلمات عن شاعر كان فى زمانه من أجمل الناس وأظرف الناس ، وهى كلمات قليلة لا تشفى الغليل ، ولكننا لا نملك فى التعريف بهذا الشاعر أكثر من ذلك : لذهاب شعره ، وقلة من كتب عنه من المتقدمين ؛ وحسب القارىء أن يذكر أن فيها تذكيراً برجل عرفه المشرق والمغرب ، ثم انقطعت أخباره وغاب اسمه عن جميع الناس ، وجهد المقل المعذر غير قليل .

زكى مبارك

فى الخط العربى

هندسة الخطوط العربية واعتبارها وتناسبها ومقاديرها وما يقع به ابتداء الحروف وانتهاؤها..الخ

بقلم الاستاذ حسن عبد الجواد المحامى

أما هندسة الخط ، فهى معرفة الخطوط التى يتركب منها كل حرف ؛ فالألف تتركب من خط مستقيم لا يميل إلى استلقاء أو انكباب ، وطولها سبع نقط على الراجح ، والباء من خطين : منتصب ومنسطح ، (والتاء والثاء كذلك) ، والجيم من خطين : منكب ونصف دائرة ، و (الحاء والخاء كذلك) ، والدال من خطين : منكب ومنسطح ، (والذال كذلك) ، والراء من خط مقوس ، و (الزاى كذلك) ، والسين من خمسة خطوط : منتصب ومقوس ومنتصب ومقوس ثم مقوس ، (والشين كذلك) ، والصاد من ثلاثة خطوط مقوس ومنسطح ومقوس ، و(الضاد كذلك) ، والطاء من ثلاثة خطوط : منتصب ومقوس ومنسطح ، و(الظاء كذلك) ، والعين من خطين : مقوس ومنسطح ، و(الغين كذلك) ، والفاء من أربعة خطوط : منكب ومستلق ومنتصب ومنسطح ، و(القاف كذلك) ، والكاف من أربعة خطوط : منكب ومنسطح ومنتصب ومنسطح ، واللام من خطين : منتصب ومنسطح ، والميم من أربعة خطوط : منكب ومتسلق ومنسطح ومقوس ، والنون من خط مقوس ، والهاء من ثلاثة خطوط : منكب ومنتصب ومقوس ، والواو من ثلاثة خطوط : مستلق ومنكب ومقوس ، واللام ألف من ثلاثة خطوط : منكب ومنسطح ومستلق ، والياء من ثلاثة خطوط : مستلق ومنكب ومقوس .

أما اعتبار الحروف فهو ميزانها الذى به تعرف صحتها أو خطؤها ؛ فاعتبار الألف إذا خط على جانبها ثلاث ألفات ، كان ما بينها فضاءاً متساويا ، والباء إذا زدت خطا بين أحد سنيها كانت لاماً ، والجيم إذا خط خطان عن يمينها وشمالها لا تخرج عنهما ، والدال إذا وصل طرفاها بخط كانت مثلثاً متساوى الأضلاع ، والراء إذا وصلت بمثلها كانت نصف دائرة ، والسين إذا خط خطان بأعلى رأسها وأسفله فلا تخرج عنهما ، والصاد رأسها كراء معلقة وأخرى مبسوطة وقوسها كنون ، والطاء خطها المنتصب كألف انتصابا وطولا ، والمقوس كراء والمنسطح كباء ، والعين كالجيم ، والفاء رأسها كالدال ، والقاف مثلها ، والكاف ينفصل منها ياءان ، واللام إذا زدت خطا بين أحد سنيها كانت مثلثا قائم الزاوية ، والميم كالهاء ، (وقال ابن الصايغ : كالراء) ، والنون إذا وصل بها مثلها صارت نصف دائرة ، والهاء إذا ربعتها تساوت

الزاويتان العاليتان والسافلتان ، والواو ربع دائرة ، واللام ألف ثلثها من أسفلها وثلثاها من أعلاها ، وإذا خط من رأس اللام إلى رأس الألف خط ، ومن أعلاها إلى أسفلها خط ، فلا تخرج عنهما ، والياء كالراء (ابن الصايغ) ، وكالواو (ابن مقلة) ، وكالنون (ابن عبد السلام) .

أما تناسب الحروف ومقاديرها ، فالألف طولها سبع نقط ـ على الراجح ـ ، والباء تسطيحها مضافاً إليه سنها كالألف ، وسنها ثمن ألف كسن السين والشين ، والجيم مدتها نصف ألف ، والعين ، والسين ، والصاد ، والراء كل منها ربع محيط الدائرة ، والدال إذا اعتدلت إلى التسطح طول الألف ، والسين رأسها ثمن ألف ـ كما سبق ـ وتعريفها كنصف الدائرة المحيطة بالألف ، والصاد والطاء مبدؤها نصف ألف ، وميل صدرها سدس ألف ، وفتحة بياضهما كذلك ، والفاء تسطيحها كالألف ، وحلقتها سدس ألف كحلقة الواو والميم ، والواو كالراء ، والكاف أعلاها ثلث ألف ، وتسطيحها كذلك ، وبياضها سدس ألف ، واللام قائمتها ألف ، ومدتها إلى قدام نصف ألف ، والنون نصف محيط الدائرة ، والياء مبدؤها كدال مقلوبة ، وتعريفها مثل نصف محيط الدائرة ، والهاء المنكب فيها نصف ألف ، والمنسطح ثلث ألف ، والمستلقى نصف ألف .

أما ما يقع به ابتداء الحروف وانتهاؤها ، فهاك الجدول الذى يضبط هذا :

	الابتداء		الاختتام
بنقطة	ب ت ث د ذ س ش ل ن ع غ	بنقطة القلم	ط ف ب ل د ك
		بشظية	
بشظية	ح ط ى ص ك (على رأى)	مرسل إرسالا	س ر ح م ن ى ع ق ص و ه
بحلقة	ق م و ف		

هذا قليل من كثير مما يجب أن يعرفه خبراء الخطوط ، حتى تطابق تقاريرهم الواقع ، وتصان للناس حقوقهم كاملة .

وإنه ليؤلمنا أشد الألم الطريقة التى يدرس بها الخط العربى فى مدارسنا المصرية ؛ وأذكر أن الحصص المخصصة لدراسة هذا الفن الجميل فترات لهو ولعب ، لا يهم الطالب فيها إلا كتابة الصفحة فى خمس دقائق أو أقل ، ناقلا كل خط يكتبه مما سبقه لا من خط صاحب الكراسة ،

ثم يصرف باقى الوقت متحدثاً إلى جاره ؛ أو مستوعباً درساً آخر يخشى شدة معلمه ، وهكذا لا يخرج من حصة الخط بقليل أو كثير .

ويا ليت الخط يدرس فى المدارس الثانوية ، بل هو يدرس فى المدارس الابتدائية فقط ، وبالطريقة التى بينتها .

فهو لا يدرس تفصيلا ومن جميع الوجوه ؛ وكان حقاً أن يكون – فى بلد لغتها العربية – مادة أساسية فى مدارسنا المصرية،يدرس فيها الفن من جميع نواحيه : (تاريخ الخط ، أعمال الخبرة ، الكتابات المختلفة : ككتابة العميان والصم والبكم ... الخ)،لا بالطريقة التى يدرس بها اليوم .

لقد وصلت إلينا مؤلفات جماعة صرفوا أوقاتهم قديما ، واستبسلوا صابرين ؛ حتى وضعوا الرسائل الخطيرة فى هذا الفن الجميل ، وأخص بالذكر طيب الأثر ابن الصايغ ، الذى وضع رسالته فى علم الكتابة (أصولها وفروعها) ، وغيره ممن ذكرهم صاحب صبح الأعشى فى كتابه الجزء الثالث .

ورحم الله أستاذنا الجليل حفنى بك ناصف الذى لم تثقله أعباء أعماله عن وضع رسالته (تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية) فى تاريخ هذا الفن الجميل .

ولو صرفت الحكومة شيئا من عنايتها فى هذا السبيل ، لنالت البلاد خيراً كثيراً،ولأدت للغة العربية خدمة جليلة ، ولقضى على الحالة التى وصل إليها الخط من عدم إمكان نسبة كتابة الأغلبية الساحقة من الكاتبين إلى نوع معين من أنواع الخطوط العربية المعروفة ، إذ يكتب الناس خطوطاً هى خليط من تلك الأنواع لا تنتسب إلى نوع معين منها .

ولو أحسنت الحكومة المصرية صنعاً لقررت دراسة الخط العربى –كمادة أساسية– بمدارسها الثانوية ، حتى تقضى بذلك على ما نراه اليوم من النقص ؛ وقديما كان يدرس هذا الفن الجميل فى الجامعة المصرية القديمة على أستاذ كبير جليل هو المرحوم حفنى باشا ناصف ، كفرع من فروع أدب اللغة العربية ، فأبلى – رحمه الله – بلاءاً حسنا فى هذه السبيل ، ووضع رسالته السابق ذكرها ، فكان لها خير الأثر ، وجليل الفائدة ؟

حسن عبد الجواد المحامى

المعرفة فى تونس

العالم : كيف خلق وكيف تطور ؟

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

بينت فى مقال سابق (١) كيف لجأ الانسان فى حل معضلة خلق العالم (وسائر معضلاته العقلية) ـ بادىء ذى بدء ـ إلى الأساطير والقصص الخرافية الخيالية التى لا تستند إلى أى أساس علمى أو منطق معقول ، وكيف انتقلت هذه الأساطير عن طريق الوراثة حتى أصبحت عقائد دينية بل كانت هى الدين بذاته ، وكيف كان يلقنها الكهنة ورؤساء الدين الشعب من غير تفسير ، واستعرضت طائفة من أساطير سكان استراليا الأصليين وأهل الآسكا والهنود الحمر على اعتبارهم خير ممثل لعقلية الانسان الأول ، وأن أساطيرهم هى فى الواقع البقية الباقية من تراث ذلك الانسان الذى عاش فيما قبل التاريخ ؛ وسأسرد لك فى هذا المقال أساطير أهل المدنيات القديمة من مصر إلى الهند ، لترى بنفسك صحة ما ذهبت إليه من أنه : لما بزغت شمس المدنية الأولى فى مصر وبابل وغيرهما من الأمم المعاصرة ، كان الانسان قد قطع فى سبيل التفكير المعقول شوطا ـ ليس بالقصير ـ أوصله إلى معرفة فكرة الألوهية والالهة ، ثم الاله الواحد الأحد ، وفلسفة الوجود والعدم ، وطبيعة الخير والشر ، وغير هذا من النقط الفلسفية التى لم يكن فى مقدور عامة الشعب أن يتناولوها بالبحث ، ويتركوا الأساطير القديمة التى تأصلت فى نفوسهم حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من عقولهم . لم يجد الكهنة بداً من الاحتفاظ بأسطورة العامة فتناولوها بيد المسخ والتعديل ، وأضافوا إليها الكثير من أسماء الآلهة التى تمثل المظاهر المتعددة للاله الواحد ، وصوراً رمزية وعبارات مجازية أخفوا وراءها أسطورتهم الجديدة ؛ وسترى أنهم استبدلوا فكرة اتصال الذكر بالأنثى بالعدم والوجود ، وغير ذلك من مظاهر الازدواج المادى والمعنوى ـــ والحيوان الخالق بالآله الأكبر ـــ وأضافوا فكرة خلق العالم على أدوار متعاقبة ، وإشراك الاله آلهة أخرى فى العمل معه ، ولكنهم احتفظوا كذلك ببيضة الوجود .

وأستطيع أن أقول إن الأساطير المتأخرة لا تختلف عن المتقدمة فى شىء ، إلا أنها صور ذات وجهين ، وجه تقرأ فيه الأسطورة المتقدمة ببيضتها وبذرتها ومائها وآلهتها فى شىء قليل أو كثير من التهذيب يتناسب مع حال واضعى الأسطورة من المدنية ، ووقت وجودهم فى تاريخ

(١) راجع « المعرفة » عدد مايو سنة ١٩٣٢

الانسانية — والثانية يطالع فيها الخاصة شيئاً من فلسفة الوجود التى وصلت إليها عقول القدماء .

مصر القديمة

لم يكن لمصر القديمة دين واحد يدين به سائر المصريين فى زمن واحد ، فقد كان لكل مقاطعة دين خاص وآلهة غير آلهة المقاطعات المجاورة ، ومن ثم تعددت الأساطير فى خلق العالم وتكوينه :

فبعض الأساطير تقول إجمالا : فى البدء كان هناك ظلام غير محدود اسمه آتور (الليل) يغطى فضاء الكون ، وهناك فى هذا الفضاء انتشر الماء والروح (بقوة الخالق) من غير نظام ، وفجأة أضاء النور الالهى ، فتكدست العناصر وترشحت تحت الرمل ، فخلصت من الأجزاء الرطبة وخلقت الآلهة مما بقى منها سائر الكائنات الحية والعديمة الروح — والخالق الذى تشير إليه هذه الأسطورة ومثيلاتها هو (آمون رع) ، الذى يقول عنه الكهنة فى نشيدهم فى كتاب الموتى : (الطيب ، المحبوب ، صانع الناس ، خالق الوحوش ، ومبدع الكائنات العليا والسفلى) .

أما القصة التفصيلية فقد اختلفت فيها الأساطير اختلافاً سببه كثرة أسماء الآلهة المترادفة ، وكلها تتلخص فى أنه : فى الوقت الذى لم يكن فيه أرض ولا سماء ، ولا آلهة ولا أناس ، كان (أتحو) أبو العالم موجوداً قبل أن يوجد العدم أو الموت ، ورأى أنه فى حاجة إلى من يساعده فى مهمته ، فخلق من نفسه الاله (شو) الذكر ، والالهة (خنوت) الأنثى ، وفى رواية أخرى الالهين (فتاح أو بتاح ، وخنومو) ، وبكلمة فاه بها الاله (تحوت) عن رغبته فى خلق العالم بادر الالهان إلى تنفيذ أوامره ، فالأول أعطى (شو) — إله النوم ابن الاله الخالق رع — جسداً مادياً ليحمل به الشمس على كتفيه ، وخلق الثانى بيضة الشمس ، وأقيمت الأرض على عمدها الأربعة ، وغطيت بالسماء (نوت) ، ومن هذه تدلت النجوم بحبال القدرة ، وأخيراً خلق الانسان وشكل على مائدة كما يشكل صانع الفخار فخاره .

وهناك فريق من المصريين أرجعوا كل شىء حى وجامد إلى مادة أزلية قديمة وهى الماء فألهوه واعتبروا كل ما يخرج منه إلهاً يقدس حتى التمساح وفرس البحر .

وفى هذا تقول بعض الأساطير : كان الاله (تومو) يعيش فى الماء زمناً غير محدود ، ولما قام لأول مرة فى هيئة الشمس خلق من نوره ومن الماء كل شىء حى .

وهناك رواية أخرى للعامة لا تخلو من طرافة لما فيها من خيال رائع :

خلق الله الدنيا فى قطعتين ، الأولى سفلى وهى الأرض ، والثانية عليا ترتكز على أعمدة وهى السماء ، تسير فيها الشمس فى زورق من باب الشرق حتى تلج باب الغرب ، وهناك تنام

مطلع الفجر ، وبهذه القبة مصابيح معلقة بحبال القدرة ، تختفى نهاراً وتظهر ليلا بكيفية لا يعلم سرها أحد ، ورأى الله أن عبء إدارة هذا الكون كله ثقيل فخلق منه آلهة أخرى تساعده ، فجعل الشمس إلهاً مستقلا سماه (رع) والقمر (تحوت) والأرض (خمت) والسماء (نوت) ، ثم خلق (أوزيريس) النيل،أو الماء الجارى ، فكان إله الخير،وزوجه من (إيزيس) أى الأرض ، فولدت له (هوروس) ابن الطبيعة الحية المجددة والخير العظيم الذى يحل بوادى النيل فى الفيضان عاماً بعد عام ، وسارت الأرض على هذا السنن مدة حتى دب الخلاف بين الالهة والناس واستفحل الشر ، فهاجرت الآلهة إلى السماء واتخذت لها مكاناً خاصاً فى (امنتى) .

البابليون

ولأهل بابل أساطير لا تصل إلى ما وصلت إليه أساطير مصر إجمالا أو تفصيلا،وإن وافقتها فى الجوهر ؛ بعضها يصور لك الاله الخالق (١) وهو يحارب التنين الأسود (رمز الظلام أو العدم) ويقتله،ثم يشطر جثته شطرين يتخذ أحدهما حاجزاً يمنع المياه العليا من السقوط يسمى (تيامات) ومنه (تامتو) بالبابلية ، البحر الخضم أو المحيط ؛ والبعض الآخر يعطيك صورة أخرى عن الاله (بعل) ، وهو يصنع الدنيا بيديه من طين المادة الأزلية ، ويشكلها على هيئة المخروط ، تحيط به السماء من كل جانب ، ويجعل له بابين تدخل الشمس من أحدهما كل صباح ، وتخرج من الثانى كل مساء ، (على مثال معتقد المصريين القدماء فى زورق الشمس) .

الأشوريون

واقتبس أهل أشور هذه الأسطورة القديمة بعد أن هذبوها وزادوها تفصيلا ، فقالوا : كان فى بدء العالم ماء ، ولم تكن هناك أرض ولا سماء ولا آلهة ، وخرج من الماء — بطريقة لا يعرفها أحد — آلهة ثمانية على رأسهم (مردخ) الاله الأعظم، فرأى مردخ أن يوزع آلهته السبعة فى أجزاء العالم ، فبنى الكواكب السبعة لسكناهم،وعين الشمس حارسا للنهار ، والقمر لليل ؛ ومكثوا هكذا مدة طويلة إلى أن طغى عليهم الماء الأسفل ، فأرسل (مردخ) ابنه ليقاتله ويرده إلى مكانه ، فعاد خائفاً مهزوماً ، فجمع (مردخ) باقى الآلهة فى مؤتمر ، وعرض عليهم أن يقاتل الماء بنفسه، بشرط أن ينصبوه عليهم ملكا مطلقاً، فعاهدوه على ذلك وحارب الماء حتى قهره وشطره شطرين:أحدهما منبسط وهو الأرض ، والآخر يغطيه وهو السماء ، ثم خطر فى ذهنه أن يخلق الانسان من دمه وعظمه ليسكن الأرض ويعمرها،فهب للعمل واستنفد هذا منه وقتاً طويلا ترك فيه الآلهة وشأنهم يخلقون من سائر الكائنات ما تصوره لهم عقولهم، وهكذا تم خلق العالم كله .

تجد إلى جانب هذه الأساطير القديمة مجموعتين رئيسيتين مختلفتين فى الجوهر بعض الاختلاف، أولاهما شرقية بحتة نشأت مستقلة، وهى تمثل آراء الصين والهند والفرس وغيرهم ، والأخرى

(١) مردخ اله النور ذاته ، أى النور المعنوى المنفصل عن الشمس

غربية تفرعت عن المصرية والبابلية عن طريق الفينيقيين، وتمثل الأساطير اليونانية والرومانية ثم اللاتينية ، وسنذكر أهم هذه الأساطير فى شىء من الايجاز غير المخل .

الصين

تقول الأسطورة الصينية المدونة فى أقدم الكتب : فى البدء كانت السماء مندمجة فى الأرض ، وكذلك النظام والفوضى ، أو الكمال والنقص كانا ممتزجين فى بيضة الوجود التى تحوى بداخلها كل بذور الحياة وأصول كافة الأشياء مختلطة ، ولما استقرت الحال بالبيضة بعد تجوالها فى الفضاء صعدت العناصر اللطيفة إلى أعلى وكونت السماء ،وهبطت الكثيفة إلى أسفل وكونت الأرض،وعند انفصالها تولد فى وسطهما الاله (كامى) ، ثم طفت على وجه الماء جزيرة لطيفة، نبت فيها شىء كجذر النبات، تجسد وتطور إلى أن صار الاله العظيم (كامى توكو كونَسى – نو ميكوتو) أى المحترم المقدس الذى يتكفل بالعالم .

ومن رواية أخرى ينقلونها عن كونفوشيوس نبيهم العظيم :

كان فى مبدأ العالم نار وماء رائق مائع ، تصلب من حرارة النار فصار أرضاً (وتعليل هذا أن الجبال والتلال تشابه من أعلاها أمواج البحار) ، أما النار فصارت ريحا ورعداً وبرقا (لأن هذه تشابه النار فى طبيعتها الشديدة المتقلبة ، ثم خلقت الشمس والكواكب ، وفى اتحاد الهواء والنور والظلام والعناصر الخمسة الأخرى تكون الانسان لأنه يماثلها فى عواطفه المتقلبة وطبيعته المتذبذبة .

ويختلف البوذيون عن هذه بعض الاختلاف فيقولون : فى البدء كان فى الهواء نور وظلام خلقت منه الأرض ، ولما كان الهواء بطبيعته خفيفاً ينزع إلى الصعود ، فقد حمل الكواكب ومنعها عن السقوط ، أما الأرض فسقطت فى الفراغ بحكم ما فيها من ماء ثقيل بطبيعته، ولذلك هى تدور وستظل تدور فى الفضاء ومعها باقى الكواكب والنجوم (وغريب أن يتفق هذا الرأى مع العلم الحديث) .

الهنود

أما الهنود فقد بلغ بهم الخيال حداً بعيداً فى إحدى أساطيرهم الشعرية القديمة فقالوا : إن براهما الصانع الأبدى مبدع العالم تكونت البحار من عرق جبينه ، وهو يخلق الأرض وانعكست صورته على سطح الماء ، فلما رآها أعجبه شكله فخلق الانسان على صورته (وهنا يحار المرء فى فهم حقيقة هذا الاله الذى لا يعرف شيئاً عن نفسه ولا صورته قبل أن تنعكس بالصدفة على سطح هذا البحر الكثيف) .

ولهم رواية أخرى هى آية فى الروعة والتصوير تقول : كانت المادة فى بدء الخليقة موجودة ولكنها كانت تستريح تحت الماء فى أحضان اللانهائية ، وكان براهما مهندس العالم يجوب أرجاء الكون على ورقة من أوراق اللوتس تعوم على الماء فلم ير شيئا – على مدى بصره – غير الماء والظلام ، فاستصوب أن يخلق بذرة كبيرة أو بيضة تحوى كل عناصر الوجود، ولما كانت القوى

الالهية المعنوية ـ حسب رأيهم ـ تعجز عن الظهور والقيام بعمل ما إلا إذا تجسدت في ثوب المادة ، فقد اضطر الاله الصانع براهما أن يتخذ شكلا ماديا ويتجسد باسم (ياوش) الذكر الأول ، وعندئذ تجرد من قوته الالهية فانفصلت هذه وتجسدت هى الأخرى في شكل أنثى سماها براهما (براكريتى) أو الأم الطبيعة ، واتصل الذكر بالأنثى ، فكان من اتصالهما بيضة ، وجمع براهما كل الذرات الأولية وأصول الوجود (التى تفرعت من جسد براهما لتصير بذرة العوالم الجديدة التى ستتكون من بيضة الوجود) ووضعها فى البيضة ، وهنا زال الذكر والأنثى من الوجود المادى ورجعا إلى الحالة الروحية الأولى اللاجسدية ، ودخل الاله براهم (الكائن بنفسه) فى البيضة تحت اسم وشكل جديدين فصار براهما ، وهناك مكث ينفخ الروح فى المادة ويجمع العناصر سنة خلقية كاملة (وهى تعادل بحسابنا نحن ٤٣٠٠ مليون سنة شمسية) .

وكانت البيضة العجيبة طول هذه المدة تطفو على سطح الوجود كالفقاعة فى المياه اللانهائية ، وأخذت العناصر تتصل وتندمج وتنتقل من الفوضى المطلقة إلى بوادر النظام ، وجعلت تنمو وتضىء بالتدريج حتى بلغت شدة ضوئها قوة ألف شمس ، وهنا شاءت إرادة (براهما) القوى القادر أن يخرج من البيضة فحطم قشرتها وبرز منها فى شكل جديد له ألف عين وألف رأس وألف ذراع ، وظهر معه جسم مادى آخر غير متناهى الأطراف ، ذلك لأن العناصر الأولى قد نمت وانتظمت وتجمعت ثم انقسمت إلى مجموعات منتظمة وانتهى بها الأمر إلى وحدة كاملة استحالت إلى دنيا جميلة تامة التكوين بشمسها وقمرها وأرضها وكواكبها .

ويزيدنا رجال الدين شرحاً : أن الدنيا هى الصورة الظاهرة للاله الخفى ، وأن عالم الوجود هو انسان : رأسه السحب وجسده الارض ، وشعر بدنه أشجار الغابات ونباتاتها ، وذقنه البرق ، وصوته الرعد ، وعيناه الشمس والقمر ، وعروقه الأنهار ، وأظافره الصخور ، وعظامه الجبال الشامخة ، وغير هذا مما يتمم الصورة الخيالية الرائعة .

أما أسطورة (مانو) فتتلخص فى أن السيد الخالق الموجود بنفسه (قبل كل وجود) خلق المياه أولا ووضع فيها بذرة استحالت إلى بيضة من الذهب خرج هو بنفسه منها من جديد تحت اسم براهما مبدع العوالم بعد أن أتم خلق الدنيا ؛ وهى لا تختلف فى جوهرها عن سابقها . وهناك أساطير أخرى خاصة بالكهنة يحفظونها لأنفسهم لكثرة ما فيها من التعقيد والفلسفة بحيث لا يفهمها إلا من كشف الله عنه ووصل إلى معرفة السر ، وتجدها فى كتبهم المقدسة ، وبخاصة فى (ريج فيدا) ، ويكفى أن تعلم أنها تبدأ بهذا الطلسم الفكرى والقضية المعقدة : (فى الأصل قبل خلق العالم لم يكن هناك وجود أو عدم ـ مادة أو غير مادة ـ شىء او لا شىء) .

وخلاصة القول أن الأساطير الهندية أضافت إلى تراث الأساطير الانسانية السابقة فكرة جديدة ، كانت نتيجة حتمية للتطور ، وهى خلق الدنيا بمشيئة الله تعالى وبمحض قدرته عندما وجد الوقت المناسب لابرازها ، وأنها تمت فى فترة زمانية يعجز العقل عن تصور طولها إذا قيست بمقاييسنا نحن .

[للبحث بقية]

محمد مظهر سعيد

مارتين لوثر

بقلم الدكتور على مظهر

ولد مارتين لوثر فى اليوم العاشر من شهر نوفمبر من عام ١٤٨٣ فى مدينة إيسلبن بألمانيا ، وتعلم بمدارس منسفلد ومجدبرج وإيسناخ ، وبدأ دراسته فى سنة ١٥٠١ فى مدينة أرفورت ، ودخل فى دير الأوغسطنيين سنة ١٥٠٥ ، وصار أستاذاً سنة ١٥٠٨ فى مدينة فيتينبرج ، وحصل على إجازة العالمية فى اللاهوت سنة ١٥١٢ بعد أن سافر إلى روما لأمور خاصة بطريقته الدينية ، وفى آخر أكتوبر من سنة ١٥١٧ علق خمسا وتسعين رسالة على كنيسة القصر فى فيتينبرج ، ولما كانت سنة ١٥٢٠ أحرق إعلان البابا بحرمانه ولعنه ، وأرسل فى السنة التالية لمجلس النواب فى فورمس اعترافا ملؤه البطولة ، ولما ألقى عصا التسيار بالفارتبورج فى السنة عينها رغم إرادته ، بدأ ترجمة الانجيل إلى الألمانية (من أبريل سنة ١٥٢١ إلى مارس سنة ١٥٢٢) ، وكان ذلك جرأة منه وعملا لم يأته أحد من قبل ، ثم إنه ترك الدير سنة ١٥٢٤ وبنى بكترينا فون بورا فى السنة التى تلتها ، ولما كان عام ١٥٢٩ كتب قاعدتى مذهبه ، وألقى خطابا دينيا فى مدينة ماربورج ومعه آخر اسمه تسفنجلى ، وكتب مقالة للمجمع الدينى العام الذى انعقد سنة ١٥٣٧ ، ثم انتقل فى اليوم الثامن عشر من فبراير عام ١٥٤٦ إلى رحمة ربه بمدينة إيسلبن التى ولد فيها .

لقد قدم لوثر للأدب الألمانى خدمات كبيرة بترجمته الانجيل ، وقد بدأ بذلك فى فارتبورج وأتم الترجمة فى مدينة فيتنبرج ؛ وقد تم طبع العهد الجديد فى سبتمبر سنة ١٥٢٢ ، أما العهد القديم فقد ظهر بعد عقد من الأعوام ، وطبع الانجيل كله (العهدين معا) بمدينة فيتنبرج سنة ١٥٣٤ ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى ترجم فيها ذلك الكتاب المقدس من اللاتينية إلى لغة أخرى ؛ وقد جاء من بعده من قام بنفس العمل ونقل الانجيل إلى الألمانية ، وامتاز بعضهم بدقة الترجمة فى بعض التفاصيل لما دخل على اللغة من التحسين والصقل ، ولكن لوثر قد بزهم جميعا وفاقهم بما فى ترجمته من المتانة وما يعتقده فيها الناس من التقديس ، فقد بذل لوثر كل ما أمده الله به من روح وعقل فى تلك السبيل ، وبقدر ما كان للانجيل من الأثر فى أمور الخلق الدنيوية ، كذلك كان لترجمة لوثر من الأثر فى اللغة من تحوير فى شكلها والسيطرة عليها ، والتحكم فيها ، وقد كانت آثار لوثر الألمانية — من مؤلفات وخطابات وكتب ومواعظ وغيرها — نموذجاً لمعاصريه ولمن جاء بعده .

ومن أحسن ما كتب - عدا ما ذكرنا له - رسالة أسماها : « إلى أشراف الأمة الألمانية المسيحيين لتحسين الطبقات المسيحية » ، وأخرى عنوانها « فى السجن البابلى للكنيسة » ، وثالثة اسمها « من حرية مسيحى » ، وقد ألف الثلاثة سنة ١٥٢٠ ، وأظهر فى السنة التالية رسالة اسمها « حواش وشروح كنسية » ، وأخرى عنوانها « تحذير صدق موجه إلى كل المسيحيين لحماية أنفسهم من الثورة والعصيان » ، وأظهر بعد عامين من ذلك رسالة عنوانها «إلى كل عمد ومستشارى كل المدن الألمانية أن يشيدوا مدارس مسيحية ويدعموا أساسها» .

أما اللغة التى اختارها فى ترجمته ولرسائله الأخرى ، فقد كانت لغة المنابر السكسونية المعروفة باسم اللغة العادية ، وهى وسط بين لهجة الجنوب الجافة وطراوة الشمال ، وفى ذلك يقول لوثر نفسه فى أحاديث المائدة (الفصل السبعين) : « لم تكن لى لغة خاصة فى ألمانيى بل إنى استعملت اللغة الألمانية المألوفة التى يمكن أن يفهمها كل سكان الشمال والجنوب ، وإنى أتخذ لغة المنابر السكسونية لخطبى وهى اللغة التى يتكلم بها كل الأمراء والملوك فى ألمانيا » .

ولقد أصبحت تلك اللغة هى الغالبة المتسلطة وعرفت باسم «الألمانية العليا الحديثة»، ولقد كتب كثير من ألمان الشمال والجنوب بلهجات مواطنيهم وبلادهم التى ولدوا فيها، ولاسيما رجال الاصلاح فى سويسرا ، ولكن سرعان ما انتصرت عليهم تلك اللغة الألمانية العليا الجديدة التى ترجم بها الانجيل ؛ ولقد خدم لوثر الشعر الألمانى خدمة جليلة ، إذ كان أباً لأغانى الكنيسة الانجيلية التى كانت أثمن اللآلىء الغنائية زمن الاصلاح ، وكانت تعد من الأغانى الشعبية لمشابهتها : شكلا وبناء،مقطعات وأنغاما ، كما كان وجه الشبه أكبر فى التقسيم الثلاثى لأغانى الحب والغزل أثناء القرون الوسطى : قسمان منها فى الاستهلال قد تساويا بناء ونغما، وثالث فى ختامين قد حادا عن الطريق وأخذا مجرى آخر ، وبجانب الوعظ يقوم جزء هام رئيسى فى عبادة الله على الطريقة الانجيلية،وعند ذكر الكلمة تتلى العقيدة الانجيلية،ولقد نظم لوثر بنفسه سبعا وثلاثين أغنية للكنيسة ،كان أولها سنة١٥٢٢ ومطلعها :« أبشروا يا معاشر المسيحيين الأعزاء» وقد أنشد بعد ذلك بعامين نحو عشرين أغنية ، وهو جل ما نظم،كما أنه ترجم عن اللاتينية أحسن الأغانى الكنسية إلى الألمانية ، من ذلك:« الحمد لك يارب»،وأغنية العقيدة « نؤمن باله واحد » ،وأخرى عنوانها : « بينا نحن فى الحياة نرى الموت بنا يحدق » ، وأخرى اسمها : « تعال أيها الروح المقدس يا إلهى » ؛ وقد أعاد لوثر نظم بعض الأغانى الألمانية التى سبقته وحذف منها ما لا يجمل بها من زيادات ، كما أنه أضاف إليها بعض الفقرات والأسطر، ونظم بعض آيات الانجيل نظما محكما مطلقا من القيود،ولا سيما ما كان منها من المزامير ، وقد ظهرت أول كتبه فى الأغانى سنة ١٥٢٤ ، تحوى ثمانى أغنيات، بينها أربع نظمها هو بنفسه ، وقد كانت الطبعة الأخيرة التى عنى باصدارها بنفسه سنة ١٥٤٥ ؛

فقد كانت تحوى تسعاً وعشرين ومائة من الأغانى له منها سبع وثلاثون ؛ ولقد سار على نهجه فى نظم الأغانى مثله كثيرون لا نرى حاجة إلى ذكرهم .

ولقد كان لوثر محباً للأقاصيص ، فقد ترجم عدة منها من قصص (إيزوب) ، ونظم بنفسه قصة «الثور والحمار» ؛ وقد تبعه بعض عشاق الاصلاح فى ذلك،فقد أصدر أراسموس البيروس (المتوفى سنة ١٥٥٣) كتابا فى الفضيلة والحكمة يحوى تسعاً وأربعين أقصوصة ، وأصدر بورشارد فالدس أحد رعاة الكنيسة فى هسن (توفى سنة ١٥٥٧) مجموعة من الأقاصيص تحوى نحواً من أربعمائة ، وعنوان تلك المجموعة (إيزوباس) ، وقد كان هذان الأخيران قدوة لشعراء القصص أثناء القرن الثامن عشر ، ومن ذلك شعر القصص عن لسان الحيوان ، فذكر ما نظم جورج رولنهاجن ، وكان مديراً لمدرسة فى مجدبرج ، وتوفى سنة ١٦٠٩ ، وكان عنوان مجموعته : « الضفادع والفيران وحديثها الملكى العجيب » ، والمرجع الذى اعتمد عليه فى تأليفه هذه المجموعة ما ينسب لهوميروس باسم « حرب الضفدع والفيران » ، وكانت فى ثلاثمائة شطرة ، فجعلها رولنهاجن عشرة آلاف ، ولم يأت على ذكر تلك الحرب بين الضفادع والفيران التى جعلها عنوان كتابه إلا فى النصف الثانى من الجزء الثالث ؛ وقد جعل الجزء الأول من النظم كمرآة للدنيا خاصاً بطبقة الخاصة ، والثانى خاصاً بالحكومة الدينية والدنيوية، وجعل الثالث خاصاً بطبقة المحاربين .

علی مظهر

عتب الحبيب

وأتى ليعترف الحبيب بذنبه فتعثرت بلسانه الكلمات
وتعطلت ألفاظه وتخاطبت عند اللقا بشفاهنا القبلات
وعدا العناق على العتاب ورجعت عن شجونا بصدورنا الزفرات
وبكت بأعيننا السماء وأفصحت عن قطرها بخدودنا الدمعات
وإذا العيون تقابلت نظراتها يعيا اللسان وتفصح الحدقات

محمد الصاوى عمار

الفرق بين اللعب والعمل

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى
أستاذ التربية بدار العلوم العليا ، والأخلاق بالأزهر
وتاريخ الأدب المسرحى بقاعة المحاضرات

كل ما يصدر عن الكائن الحى من الحركات الارادية ـ جسميها ونفسيها ـ لا يخرج عن كونه لعباً أو عملا ، وقد زودنا العرف وشعورنا الطبيعى بما نستطيع به التمييز عمليا بين هذين النوعين من الحركات ؛ فقلما عجز واحد منا عن الحكم على الحالة المتلبس بها هو ، أو المتلبس بها غيره من حيث إنها حالة لعبية أو عملية ، ولكنه من الصعب الاهتداء إلى الفروق التى تميزهما نظرياً والعثور على الصفات الخاصة بكل منهما .

يزعم بعضهم أنهما يختلفان بالحالة النفسية التى تصحب كلا منهما ؛ فاللعب مصحوب بلذة وسرور ، على حين أن العمل يؤدى بملل وضجر ؛ ولكن هذه النظرية ليست صحيحة من جميع وجوهها . حقاً إن كل الألعاب يصحبها السرور واللذة ، وإن كثيراً من الأعمال يشعر مؤدوها بالملل والضجر ؛ ولكننا نجد أن طائفة كبيرة من الأعمال يشعر أصحابها أثناء أدائها بسرور يكاد لا يقل عن السرور الذى يشعر به اللاعب أثناء لعبه فالفنان العاشق لفنه، والعالم المغرم بالبحث والتنقيب ، يجدان فى أعمالهما خير وسيلة للابتهاج والهناءة؛ فالأخذ بهذه النظرية يدع أنواعاً كثيرة من الأعمال تدخل فى دائرة الألعاب .

ويدعى بعضهم أن الفارق هو المجهود ؛ فاللعب لا يتطلب مجهوداً ، أما العمل فبذل المجهود فيه ضربة لازب ؛ وهذه النظرية ـ كسابقتها ـ ليست مصيبة كل الاصابة . حقاً إن كل الأعمال تتطلب المجهود ، وإن بعض الألعاب (ألعاب الحواس مثلا (١)) تكاد تكون مجردة منه ،

---

(١) يأتى الاطفال ـ وخاصة فى الدور الاول من طفولتهم ـ بأمور لعبية الغرض منها مجرد الاحساس بالـ[illegible] فتراهم يضعون على ألسنتهم كل ما يصل الى أيديهم ليتذوقوا طعمه ، ويقذفون هناتهم على الارض ، أو يدفـ[illegible] بعهم أو يقرعون بعضها ببعض ... ليسمعوا ما تحدثه من الاصوات ، ويحدقون فى الكرات ذات الا[illegible] المختلفة ليروا بريقها ، وتعبث أناملهم بالاشياء ليدركوا ملمسها وما فيها من خشونة أو نعومة ... الخ . وقد سمى المربون هذه الطائفة من الالعاب بـ « ألعاب الحواس » ، لان الطفل قد زود بالاتجاه نحوها لتدرب حواسه على القيام بوظائفها العامة .

ولكن معظم أنواع الألعاب تتطلب مجهوداً لا يقل عن المجهود الذى تتطلبه الأعمال، وبعضها يضطر اللاعب إلى أن يبذل فيه من المجهود ما لا يتطلب بذل مثله عمل ما. فالمجهود العقلى الذى يقوم به لاعب الشطرنج ـ مثلا ـ لا يذكر بجانبه أى مجهود تحتاج إليه أعمالنا العقلية، والمجهود الجسمى الذى يؤديه لاعبو كرة القدم ـ مثلا ـ قلما يحتاج لأداء مثله عمل جسمى آخر؛ ولقد صدق (سيشور) حيث قال ـ مبيناً خطأ هذه النظرية ـ: «قلما تضطرنا أعمالنا إلا إلى المشى، على حين أن معظم ألعابنا تحتم علينا العدو». فالاعتماد على هـذه النظرية يؤدى إلى أن نعد معظم أنواع الألعاب أعمالا.

وقد رأى كثير من العلماء أن القيمة الاقتصادية أصدق فارق بين اللعب والعمـل. كل عمل من شأنه أن ينتج قيمة اقتصادية، أما الألعاب فليس منها ما يؤتى هذه الثمرة؛ ولسـنا فى حاجة إلى الاطناب فى بيان خطأ هذا الرأى، إذ لا يخفى أن طائفة كبيرة من الأعمال لا تنتج أية قيمة اقتصادية. ما القيمة الاقتصادية لمعظم ما يقوم به الطلبة من أعمال مدرسية مثلا؟(١) على أن طائفة كبيرة من الألعاب من شأنها أن تنتج تلك القيمة، مثل (ألعاب الصيد، وألعاب الرسم، وألعاب البناء ... الخ). فالنظرية التى نحن بصدد الكلام فيها تدع طائفة من الألعاب تدخل فى الأعمال، وبعض أنواع عملية تدخل فى دائرة الألعاب.

ويحاول بعضهم التفرقة بينهما بالاجبار والاختيار: عماد اللعب الاختيار، فالشخص يزاوله مختاراً لا مكرها أو مجبراً؛ أما العمل فعماده الالزام والارغام؛ وليست هذه النظرية بأصدق قيلا من النظريات السابقة، فان معظم ما نقوم به من الأعمال نؤديه بمحض الاختيار والرغبة.

فما الفرق إذن بين اللعب والعمل، ذلك الفرق الذى يخيل لـكل منا أنه من الوضوح بمكان، فاذا ما حاول تحديده يكاد لا يجد إلى ذلك سبيلا؟

لم يبق علينا إلا أن نختبر ما يصح أن نسميه «نظرية الغاية»، التى يرى قائلوها أن الفرق بين اللعب والعمل ينحصر فى أن الأول غايته فيه، أما الثانى فله غاية خارجة عنـه. يؤدى العامل ما يقوم به من الحركات الجسمية والنفسية، لا لمجرد أداء هذه الحركات، بل للوصول من ورائها إلى غاية أخرى جعلها نصب عينيه. فما يقوم به النجار أو المدرس أو ساعى البريد أو الشرطى من الحركات الجسمية والنفسية ليس مقصوداً لذاته، وإنما يبغى مؤديه من ورائه كسب العيش، أو تزويد التلاميذ بالمعلومات، أو إيصال الرسائل إلى أهلها، أو تنظيم حركة السير فى الميادين واستتباب الأمن ... الخ؛ على حين أن الطفل عند ما يقلد فى لعبه النجار أو

(١) لا يقال ان لهذه الاعمال قيمة اقتصادية آجلة وغير مباشرة! فاننا لو أخذنا بهذا لوجب حسبان كل الالعاب من الامور ذات القيمة الاقتصادية (اذ اللعب ـ كما رأيت فى نظرية الاعداد للحياة المستقبلة (انظر عدد يوليو سنة ١٩٣٢ من «المعرفة» ص٣٢٣ وتوابعها) ـ يعد الطفل للحياة المستقبلة بجميع فروعها).

المدرس أو ساعي البريد أو الشرطي لا يقصد بما يقوم به إلا مجرد أداء هذه الحركات التقليدية إذ ليس ثمة مائدة حقيقية يريد إتمام صنعها ، أو تلاميذ حقيقيون يحاول إفهامهم ، أو خطاب جدي يريد إيصاله إلى صاحبه ، أو لص حقيقي يبغي القبض عليه ؛ فغاية لعبه هي اللعب نفسه لا أمر خارج عنه .

وعلى الرغم من ارتضاء كثير من مؤلفي التربية لهذه النظرية ، فإني أرى عدم صحتها على الوجه الذي سبق تقريره . — حقاً إن بعض أنواع الألعاب لا يقصد من ورائه الوصول إلى غاية ما ؛ ولكن هذه الألعاب قليلة جداً ، ولا نكاد نعثر على أمثلة منها إلا في أول أطوار الطفولة ، مثل (ألعاب الحواس مثلا : يذوق الطفل لمجرد الذوق ، ويسمع لمجرد السمع ، وينظر لمجرد النظر . . . الخ) ، فإذا استثنينا هذه الألعاب القليلة وجدنا أن كل ما عداها يقصد منه الوصول إلى غاية معينة خارجة عن اللعب نفسه ؛ فألعاب الكرة ، والشطرنج ، والنرد ، والمصارعة ، يقصد منها التغلب على خصمه ؛ وألعاب « البحث والاختفاء » ، يقصد منها العثور على المختفين ؛ وألعاب الصيد ، الحصول على الحشرات ، أو على الطيور أو على بيضها ؛ وألعاب الأحاجي ، الاهتداء إلى حل لغز عقلي ؛ و « الألعاب السؤالية [1] » ، الاهتداء إلى معرفة حقائق الأشياء وهلم جرا . — على أن تحليلا دقيقا لما يقوم به الطفل حينما يقلد في لعبه : النجار ، أو المدرس ، أو ساعي البريد ، أو الشرطي ، لا يدل دلالة واضحة على أنه لا يبغي من وراء ذلك أداء الحركات اللعبية فحسب ، كما يدعي قائلو هذه النظرية ، بل الوصول إلى تشكيل قطعة من الخشب بشكل يعتبره خياله مائدة ، أو إلى تفهيم زملائه — الذين اصطلح على أن يكونوا تلاميذه — أموراً يعدها بمثابة الدرس ، أو إلى إيصال ورقة تمثل الخطاب إلى طفل يمثل المرسل إليه ، أو إلى القبض على أحد زملائه الذين قضت نظم اللعب عليه أن يمثل دور المجرمين ... وما إلى ذلك .

فمعظم الألعاب لها غايات خارجة عنها ، كما أن للأعمال مقاصدها التالية لها ؛ غير أننا إذا أنعمنا النظر في غايات الألعاب تبين لنا أنها تختلف اختلافا كبيراً عن غايات الأعمال ، فالغاية في العمل غاية حقيقية مقصودة لذاتها ، والوصول إليها هو أهم ما يرمي إليه العامل بأعماله ، أما اللاعب فاهتمامه بألعابه لذاتها أكبر من اهتمامه بها للوصول إلى الغاية الخارجة عنها — إن كانت ثمة غاية — ولبيان ذلك نضرب الأمثلة الآتية :

١ — يقلد الطفل في لعبه ساعي البريد ، فيبدو لنا أن غايته إيصال ورقة تمثل خطابا إلى زميل له يمثل المرسل إليه ، ولكننا إذا حللنا نفسيته تحليلا دقيقا تبين لنا أن تلك الغاية

---

(١) يقصد بها الأسئلة التي يلقيها الأطفال على الكبار لمعرفة ماهيات ما يحيط بهم من الأمور المادية والمعنوية ، والتي يكلفون بها الكلف كله ، ويخصصون لها أكبر قسط من مظاهر نشاطهم اللعبي في بعض أطوار طفولتهم (سمى الأستاذ « جس سلي » هذه الأطوار بـ « الأطوار السائلة ») .

المصطنعة ليس لها فى نظره إلا أهمية ثانوية لم يجعلها نصب عينيه إلا ليشجعه ذلك على اللعب (فان الطبيعة الانسانية تأبى القيام بعمل لا غاية من ورائه) ، وأن المقصود بالذات لديه إنما هو مجرد أداء الحركات اللعبية التى يقلد بها ما يعمله ساعى البريد، بخلاف ساعى البريد الحقيقى، فان إيصال الرسائل إلى أهلها هو أهم ما يعنيه من أعماله ؛ فالغاية فى مثل هذا اللعب هى إلى الوسيلة أقرب منها إلى الغاية ؛ وفى هـذا الصنف من الألعاب يصح أن تقول : « لا يلعب الطفل للوصول إلى غاية جعلها نصب عينيه، بل إنه لم يجعل هذه الغاية نصب عينيه إلا ليلعب » .

٢ — يلعب الطفل « ألعاب الصيد » فيخيل إلينا أن أهم ما يعنيه الحصول على الحشرة التى يتتبعها ، أو على العصفور الذى يعدو وراءه ، ولـكننا إذا أنعمنا النظر ظهر لنا أن هذه الغاية ـ على الرغم من أهميتها فى نظره ـ أقل أهمية لديه من الوسائل نفسها ، أى من الحركات الجسمية والنفسية التى يؤديها محاكياً أعمال الصيادين ؛ ولا أدل على ذلك من أنه قد يخطر بفكره ـ أثناء متابعته الحشرة، أو العصفور ـ نوع آخر من اللعب فينصرف إليه دون أن يعد نفسه مخفقا فى مشروعه ، بخلاف محترف الصيد فان أكبر ما يهمه هو الحصول على قنيص لطعامه ، أو للانتفاع بثمنه . — يلقى الطفل فى « عمره السائل (١) » سؤالا على أحد أبويه فيبدو لنا أن أهم غاية لديه هى معرفة الحقيقة التى يسأل عنها ، ولـكننا إذا تأملنا مليا ، أيقنا أن هذه المعرفة ـ على الرغم من أهميتها فى نظره ـ أقل أهميـة لديه من إلقاء السؤال نفسه ، ولا أدل على ذلك من أنه كثيراً ما يشتغل بصنف آخر من اللعب أو يلقى على المجيب سؤالا آخر ، قبل أن يتم له إجابته على السؤال الأول، دون أن ينقص تصرفه هذا من سروره اللعبى شروى نقير ، بخلاف التلميذ الذى يلقى على أستاذه سؤالا ، فان جل ما يهمه فهم المسألة التى يجهلها .

مما تقدم يمكننا أن نلخص الفرق بين اللعب والعمل فيما يلى :

يهم العامل فى أعماله الوصول إلى غاية خارجة عنها أكثر مما يهمه أداؤها لذاتها ، (قد لا يهمه بتاتا أداؤها لذاتها، وقد يهمه أهمية ثانوية، وقد يهمه أهمية أساسية أقل مما تهمه الغاية).

أما اللاعب فيهمه فى ألعابه أداؤها لذاتها أكثر مما يهمه أداؤها للوصول إلى غاية خارجة عنها ، (قد لا يكون للعب أية غاية خارجـة عنه ، وذلك كألعاب الحواس المتقدم ذكرها ، وقد تكون له غاية ثانوية الأهمية ، وذلك كألعاب من يحاكى ساعى البريد ، وقد تـكون له غاية أساسـية الأهمية ، ولـكنها لا تصل فى قوتها إلى درجة أهمية اللعب لذاته ، وذلك كألعاب الصيد و « الألعاب السؤالية » وهلم جرا) .

على عبد الواحد وافى
دكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) انظر معنى هذه الكلمة فى التعليق السابق .

توماس هود وأغنية القميص

بقلم الاستاذ أحمد الشنتناوى
ليسانسيه فى التاريخ والاداب وليسانسيه فى الفلسفة والاجتماع

ولد « توماس هود » فى شهر مايو عام ١٧٩٩ ، وتوفى فى شهر مايو عام ١٨٤٥ ؛ واختلط إبان تلك الفترة التى عاشها بجمهرة من أدباء انجلترا وشعرائها ، أمثال : اللورد بيرون ، والشاعر تنيسون ، والشاعر برونتج ؛ وكانت له معهم عدة مساجلات ومناقشات أدبية شائقة ، كذلك تعرف هود فى أواخر أيامه إلى الناثر الانجليزى الأشهر شارلس لامب ، وهذا وصفه ـ فى إحدى رسائله للشاعر والناقد الانجليزى الأشهر كوليردج ـ بقوله : « شاب صامت ، بل مريض ، قابلته أنت ذات يوم فى اسلنجتن Islington » ، ثم اختتم نفس الرسالة بقوله : « عاد اليوم وقد أشرقت عيناه الناعستان ببريق الصحة والعافية عند ما قرأ مديحك وثناءك عليه » .

وكان « توماس هود » يجد لذة فائقة فى التحدث إلى الشاعرين : وردثورث وكوليردج ، وكان يجتهد فى أن يتقابل معهما كثيراً ، على الرغم من انزوائه فى عقر داره ، وانغماسه فى أعماله الأدبية المتواصلة .

ثم تمكن كذلك ــ خلال حياته القصيرة ــ من التعرف إلى شارلس ديكنز الروائى الانجليزى الأشهر ، بل عقدت أواصر المحبة بين الأديبين ، وقد ذكر ولد هود وابنته فى مذكراتهما عن أبيهما الشىء الكثير عن العلائق الودية التى كانت قائمة بين والدهما وبين ديكنز ، وكم كان هذا الأخير يزور والدهما إبان مرضه يواسيه ويسرى عن نفسه الكئيبة ، لأن هود كان من زمرة الضعفاء المعتلى الصحة ، وهؤلاء فى الغالب تكون نفوسهم متشائمة مريضة بمرض أجسامهم . ولقد ازدادت علة هود منذ زواجه ، كذلك ساءت حاله المالية ، فكانت الحاجة الملحة تسوقه سوقاً إلى الكتابة فى الصحف والمجلات كى يكسب قوته وقوت عياله ، سواء أرضى عن ذلك القلم ، أم وقف جامداً لا حياة فيه ولا حرارة ، لهذا فقد كان هود يراسل عدة صحف أدبية ، وينشر فيها قطعه الشعرية ، ويريق عليها عصارة ذهنه وقلبه من بين شقى اليراع .

وعند ما يكتب الأديب والروائى الانجليزى المعروف « ثاكيراى » عن هود ، يجتهد فى أن يبين للملأ أن له ضلعاً كبيراً فى تكييف حياة الشاعر الأدبية ، وأنه هو الذى يخط له خططه فى ميدان الأدب ، وكم كان يغضب « ثاكيراى » عند ما يرى هود يحيد عن الخطة التى رسمها له ، وكأنه تناسى أن الشاعر إنما يكتب لأجل كسب قوته وقوت زوجه وعياله ، ولو كان هود

يتغنى فقط إرضاء لآلهة الشعر لمات هو وزوجه وبنوه من الطوى .

لم يكن هود يميل إلى اللهو والمجون - كما يميل إلى ذلك الكثيرون من الشعراء وأهل الأدب - إذ قلما كنت تراه ضاحكا أو منهمكا فى شىء من الشئون الاجتماعية ، فهو من هذه الناحية كان قليل المعشر ، لم تتردد عليه إلا فئة قليلة من الأدباء والشعراء ممن عرفوا فضله ، وما تكنه نفسه من شاعرية وعبقرية ، ولقد وصفه أحد هؤلاء الشعراء بقوله : « هو شاعر غنائى مجيد ، ذو أغراض جدية » ، ولعل أهم أسباب تلك الكآبة التى كانت تخيم على هود ، هو فقره واحتياجه للمال لحفظ كيان عائلته .

أما من حيث أشعاره ، فقد اتصفت بالسلاسة والعذوبة ، يتألق فى سطورها وهج العبقرية والخيال العميق - وهذا ما اتفق عليه جميع نقاد هود - ، كذلك كان هود صحفياً ماهراً ، وقصصياً لبقاً ، ولقد وصفه ثاكيراى بقوله : « هو شاعر له قوة على مس القلوب ، لا يجاريه فى ذلك أحد » ، ولقد أوصى هود أن يكتب على قبره هذه الجملة « هذا قبر من غنى أغنية القميص » ... ولقد آثرنا أن ننقل تلك الأغنية الشعرية إلى اللغة العربية شعراً منثوراً ، كى نحافظ قدر الامكان على النص الانجليزى ، إذ أن للشعر المنظوم أحكامه وقيوده ، وقد يخرجنا هذا عن النص الانجليزى ، ونحن قد آلينا على أنفسنا أن نكون أمناء فى التعريب فلا نجيز لأنفسنا حق التصرف الذى يلجأ إليه الكثيرون من المعربين .

ولقد تصور هود فى تلك القصيدة امرأة فقيرة تجلس منذ الصباح المبكر حتى المساء تخيط ثياب الناس فى حجرتها الوضيعة المعتمة نظير أجر ضئيل تتقاضاه لا يكاد يقوم بأودها رغم هذا العمل الشاق المضنى ، وهى حال كثيراً ما نرى أمثالها بين ظهرانينا ، ولكن جلبة الحياة وضوضاءها قد ألهتنا عن سماع أمثال تلك الأنات الصادرة عن تلك النفوس البائسة الحزينة :

بأنامل واهنة كليلة
وأجفان مقروحة ثقيلة
جلست امرأة فى خلق بالية
تعمل بابرتها وخيوطها
تلفق وترقع وترتق
فى فقر وطوى وقذارة
وبنغم حزين مكتئب
تغنى أغنية القميص

***

« أعمل وأكد وأكدح
إذا ما صاحت الديكة البعيدة
أعمل وأكد وأكدح
إلى أن يلوح النجم من فرج الخباء
واهاً لنفسى كأنى عبد ذليل
فى أسر سيد عنيد من الأتراك القساة
روح النساء عندهم بدرهم لا تقاس
تأبى ذلك التوراة والانجيل »

***

« أعمل وأكد وأكدح
إلى أن يصيب رأسى الدوار
أعمل وأكد وأكدح
إلى أن يئن الجفن من الآلام
أرتق وأبطن ثم أعصب (١)
وأعصب وأبطن ثم أرتق
إلى أن أسقط فوق الأزرار
ولكنى أخيطها فى أحلامى ».

***

« يا للرجال ذوى الأخوات العزيزة
ويا للرجال ذوى الأمهات والأزواج
ليست هذه أصوافاً تبلى
لكنها ذوب مخلوقات تعيسة
ألفق وأرقع وأرتق
فى فقر وطوى وقذارة
وفى آن واحد ، وبخيط مزدوج
أخيط كفننا كما أخيط قميصا..! »

***

« لكن عن الموت ما لى أفيض مقالى
وعن شبح العظام النخرة البوالى
إنى أهاب ذاك الخيال المعتم
ولكن ما أشد شبهه بى
لكن ما أشد شبهه بى
لشدة الطوى ، وشدة ما بى
يا إلهى ! ما أثمن ذلك الخبز
وأرخص هذا اللحم والدم ! »

***

« أعمل وأكد وأكدح
ليس لعملى آخر أو نهاية
وما جزاؤه ؟ فراش من القش
وكسرة من الخبز ، وخلق بالية
وسقف مخروم ، وأرض عارية
وكرسى محطم وبجانبه خوان
وحائط باهت عليه خيالى
ينعكس فى أغلب الأحيان »

***

« أعمل وأكد وأكدح
عملا منهكا ليس له نهاية
أعمل وأكد وأكدح
كما يكد السجين تكفيراً عن جناية
أرتق وأبطن ثم أعصب
وأعصب وأبطن ثم أرتق
إلى أن يئن القلب ، وتدور رأسى
وتشكو الألم أعصاب اليدين »

***

« أعمل وأكد وأكدح
على ضوء شهر ديسمبر المعتم
أعمل وأكد وأكدح
عند ما يدفأ الطقس ويبرق
وعند ما تطل صغار الطير
من بين فروج أوكارها
تزهو بزهورها الذهبية
تعيرنى بقدوم الربيع المشرق »

***

« من لى باستنشاق النسيم العليل
المعطر بأرج أزهار الربيع ووروده
بينما السماء مشرقة فوق الهام
والأرض معشبة تحت الأقدام
ساعة واحدة قصيرة الأجل
أشعر فيها بعز مضى على عجل

(١) عصب الثوب : ضم ما تفرق منه .

قبل أن اعرف ذل الحاجة
وطول الكد نظير لقمة أتبلغها »

***

« من لى بساعة واحدة قصيرة
أو مهلة عاجلة وجيزة
ليست للحب أو لمناشدة الأمل
ولكنها للحزن وبث الهموم
فالبكاء سلوى لقلبى المكلوم
وعلى الدمع فى محاجره المالحة
أن يجمد فلا تترقرق قطراته
فكل واحدة تعيق الخيط والخياط (١) »

***

« أرتق وأبطن ثم أعصب
وأعصب وأبطن ثم أرتق
أعمل وأكد وأكدح

كالآلة سيرها البخار
سداها الحديد ولحمتها النار
تعمل لصالح ذوى اليسار
دون عقل يفكر، وكأن قلبها
قد قد من صلب الأحجار »

***

بأنامل واهنة كليلة
وأجفان مقروحة ثقيلة
جلست امرأة فى خلق بالية
تعمل بابرتها وخيوطها
تلفق وترقع وترتق
فى فقر وطوى وقذارة
وبنغم حزين مكتئب
(ويا ليته يصل إلى آذان الأغنياء)
تغنى أغنية القميص

أحمد الشنتناوى

(١) الخياط : الابرة

اليابان ونظمها التعليمية

بقلم الدكتور سيدراس مسعود نواب مسعود جنك بهادر
وزير معارف حيدر آباد سابقاً و نائب رئيس جامعة عليكرة حالاً

تعريب الاستاذ احسان سامي حقي
أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة بالهند

[خاصة لمجلة المعرفة]

لا بد لنا قبل الخوض فى هذا الموضوع من أن نبحث قليلا عن بلاد اليابانيين ، وعاداتهم وأطوارهم وأخلاقهم ومذاهبهم ، لنعلم ما لاقى العلم فى الوصول إليهم من العثرات والحوائل فى سبيله ، أو ما ناله من الاستحسان والرغبة ؛ لأن قبول الشيء أو رده ينحصر دوماً فى ما تحتويه نفس طالبه أو الراغب فيه من ميل أو نفور ؛ ولذلك لا بد من هذا البحث، لما له من التعلق العظيم بهذا الموضوع .

من ينظر فى مخطط العالم يرى أن اليابان أشبه برؤوس جبال ناتئة من البحر ، وكلها بركان مشتعل، حيث يوجد فى هذه المملكة – التى تتألف من نحو ٣٫٠٠٠ جزيرة – نحو ٢٠٠ بركان ملتهبة ، والزلازل لا تفارقها قط ؛ وقد بلغت الزلازل ٣٠٦٨٠ زلزلة بين سنتى ١٨٨٤ — ١٩٠٥ ، أى بمعدل أربع زلازل يومياً ، على أنه فى الأزمان الغابرة كانت أكثر من ذلك، فأهل اليابان إذاً عرضة دوماً للأخطار التى تنجم عن الانفجارات . وتبلغ مساحة هذه الجزر ١٤٢٫٠٠٠ ميلا مربعاً ، ونفوسها نحو ٦٠ مليوناً ، وهم بالنظر لبعدهم عن العالم ، ولكونهم عرضة دوماً للأخطار من هجمات الأعداء وغير ذلك، لم يعتنوا بشيء اعتناءهم بالجندية وأمرها ، وتربية أطفالهم على حب الوطن والسلطان الذى يعتبرونه إلهاً ومن سلالة الآلهة ؛ ومن غريب أمر السلالة السلطانية فى اليابان أنها هى السلالة الأولى التى حكمت اليابان ؛ ولا يعرف فى تاريخ اليابان أن سلالة أخرى حكمت عليها غيرها ، وذلك لأنهم —كما ذكرت آنفاً— يعدون السلطان إلهاً ، والخروج عليه يوجب غضب الآلهة آبائه وأجداده ؛ ولذلك فمهما حصل من الاختلال فى اليابان ، ومهما بلغت الأمور من الشدة أقصاها لا يكون الخلاف ضد السلطان أو عائلته قط ، بل هو فى أمن وأمان من ذلك ، إذ لا يمكن لأحد أن يمسه بسوء ، وكل فرد من أفراد الشعب اليابانى يعد نفسه خادماً للوطن أولا ، وللسلطان ثانياً ، وكل ما يسعى إليه هو أن يصون الاثنين من كل غارة ، ومن كل ما يسيء سمعتهما ، وكلهم يحسب سعادة الدنيا والاخرة فى أن يموت فداء لسلطانه ولو بالانتحار ؛ واليابانيون يعدون أنفسهم جميعاً كعائلة واحدة كثيرة أفرادها ، وسلطانهم رئيس هذه العائلة ، وقد بلغت درجة احترامهم وتعظيمهم

للسلطان درجة عظيمة ، حتى إنهم أصبحوا لا يجيزون معها أن ترسم صورة السلطان على الطوابع أو العملة ، ولا أن تعلق فى الأسواق والأندية عارية، إذ يعدون ذلك توهيناً للدين، وأينما علقت صورة السلطان — حتى ولو فى الدكاكين والأندية — لا بد وأن تكون مستورة بغلاف من الورق — ولو كانت موضوعة لأجل البيع — ، ومن عجيب ما روى فى هذا الباب : أن النار اشتعلت مرة فى مدرسة فجأة فلم يستطيعوا إخراج ما فيها من المتاع، فنظر تلميذ — كان خارج الايوان — صورة السلطان معلقة فى صدر الايوان — كما هى الأصول فى ذلك فى بلاد اليابان — فأخذته الحمية وأيقن أن النار ستأكل السلطان عن قريب ، فاقتحم النيران الملتهبة وانتزع الصورة من الحائط ، وشق جوفه ووضعها فيه وهم بالخروج ، ولكن روحه كانت قد فارقت جسده فخر على الأرض صريعاً ؛ ولا يسمح اليابانيون بأن يقف أحد فى المجتمع أعلى من موقف السلطان ، لذلك إذا ما مرت مركبة السلطان فى الشوارع يغلق أصحاب المنازل العالية الأبواب والنوافذ ، ويسبلون السجف عليها ؛ وكثيراً ما أوخذ الأوربيون فألقوا فى السجون لمخالفتهم هذا الأمر ، حيث إنهم يكونون غير عالمين بذلك ، فاذا ما سمعوا الجلبة أطلوا من نوافذهم فتقبض عليهم الشرطة .

ويحكى مرة : أن شيخ بلدة من البلدان سمى مولوداً باسم السلطان من غير أن يعلم أن هذا الاسم هو اسم السلطان — لأن اسم السلطان الأصلى لا يذكر على لسان أحد، بل يسمى باسم فرضى — ، فلما ذهب لتسجيل ذلك طلب إليه مأمور السجل أن يطلب السماح والعفو عن هذا الخطأ ، ولكنه رأى أن طلب العفو لا يغفر له هذه الزلة العظيمة ، فلم ير بداً من الانتحار ، فانتحر في الحال .

أما أخلاقهم فهى فى غاية الكمال ، حيث يرون أن من أكبر واجبات الانسان أن يكون عضواً مساعداً لأخيه فى كل حال من حالاته ، وأن لا يفضل أحد نفسه على غيره، وهم ممتلئون بالبشاشة والصبر ، وشعارهم : الحزم، وتحمل المشاق ، وألا يقابل أحد أحداً إلا ضاحكا ، حتى إنه إذا ما حدث حادث ، أو نزلت مصيبة بأم رءوم ودخل عليها أحد الأقرباء أو الأصدقاء ، تركت ولدها الميت على فراشه واستقبلت الضيف بكل طلاقة ، ثم تقص عليه حالها بكل صبر وثبات ورباطة جأش ، وهم يأنفون أن يسمعوا أو يروا أحداً أرفع منهم قدراً أو أكرم أخلاقاً ؛ ومن ذلك أن أحد القسوس مرة فقد متاعه فى إحدى المحطات ، فأخبر دائرة الخط الحديدى ، فأرسلت إليه ثلاثة من موظفيها تقول له : إن متاعه قد وجد ، ولكن عليه أن يدفع أجرة حمولته من المحطة إلى داره فتوصله إليه، فأجابهم القسيس : إنى لو كنت فى لوندرة ووقعت مثل هذه الحادثة لكانت دائرة الخط الحديدى ترسل إلى متاعى على حسابها ؛ فما أن سمع هؤلاء الموظفون هذا القول حتى انصرفوا عنه وأخذوا يتحاورون فيما بينهم ، ثم قال له

قائلهم : كن مطمئناً ؛ سيصل إليك متاعك بغير أجرة ، وذلك أنهم أخذوا بعامل الحمية حينما قال لهم : « إنى لو كنت فى لندرة ... الخ » ، ولم يرضهم أن يكونوا أقل من الانكليز ، فدفعوا الأجرة بصورة إعانة ، رغم فقرهم ، وقلة رواتبهم . وقال الدكتور سيدراس الذى تترجم عنه هذا الموضوع : إنه اجتمع مرة بتلميذ ، لحاوره فى أمره ، وكيف يحصل العلم ، وهل لديه مال لذلك ؟ فقال له من غير شكوى : إننى فقير معدم جداً ، وقص عليه قصته ، وإنه يأكل فى كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة ، ويعمل بيده لاكتساب رزقه ، ويأتى من بعد ٦ أميال يومياً إلى المدرسة . فأخذته الشفقة به ، وأراد مساعدته بقليل من المال ، فرفضه شاكراً هاشاً باشاً بقوله : إن دم أولئك الأحرار الفدائيين من آبائى وأجدادى اليابانيين لا يزال يجرى فى عروقى ، وإننى إن لم أكسب منهم شيئاً ، فقد كسبت منهم الصبر والتحمل والغيرة والحمية .

أما حبهم للوطن وإطاعة الأمر ، فهو عديم المثال فى غيرهم ؛ ومن ذلك : أن أرملتين انتحرتا أثناء الحرب التى كانت قائمة بين الروس واليابان ، وذلك لأن القانون الحربى اليابانى يقضى باعفاء أولاد الأرامل من الخدمة فى الجندية ، فانتحرتا ليتسنى لأولادهما الذهاب إلى الحرب ، والدفاع عن الوطن ؛ وإذا ما شعر جندى أن فعله قد ساء آمره ، فلا يرى لذلك من مبرر إلا أن ينتحر حالا إرضاء لآمره ، ولذلك ترى الضباط والأمراء يسلكون دوماً مع جنودهم مسلك الأخوة والحنو ، ولا يبدون لهم العبوس ، كى لا يظنوا أن ذلك عن غضب فينتحروا ؛ وإذا ما أذنب جندى وثبت جرمه فلا يعدم بأيدى الجلادين ، ولا بالصلب ، ولا بغير ذلك ، بل يسمح له بالانتحار ، فيعلن هو يوم انتحاره ، فيحضر من قبل الحكومة بعض رجالها ، ويجتمع الناس فى ساحة والمجرم فى وسطها ، ثم يعلن انتحاره ، ويأخذ المدية ويشق بها بطنه من غير أن يبدى آثاراً للغضب أو التأسف على الحياة أو الأهل والأصدقاء — على الأقل — ، وليست هذه الجرأة بمحصورة فى الرجال فقط ، بل هى أيضاً فى النساء ، وانتحار المرأة يكون بأن تقطع رأسها بيدها ، لا أن تشق بطنها .

ولا يرون كفارة للاهانة إلا أن يعدم المهين بأيدى الحكام ، وينتحر المهان ، لأنهم يرون أن الحياة عاراً مع الاهانة ، ولذلك كثيراً ما يصادف الأجانب صعوبات فى هذا الشأن .

وهم يربون أطفالهم من الصغر على هذه الأخلاق وعلى الشجاعة ، ويغرسون فى أدمغتهم أن الجندية هى أشرف عمل ، وأن الموت فى سبيلها نعم الموت ، وهم بتربيتهم هذه أشبه بهم بالاسبارطيين ، حيث إنهم يعلمونهم قبل كل شىء ألا يخافوا من أحد ، ويأخذونهم إلى المقابر وإلى الأماكن المخيفة ، وحيث حصل قتل أو أريق دم إلى غير ذلك ، حتى يصبح الطفل لا يهاب شيئا حتى الموت ، وكثيراً ما يجربون الأطفال ويحملونهم على الانتحار ، فينتحرون حالا وهم ضاحكون .

أما مذهب اليابانيين فهو مذهب مدنى ، تغييره وتحريره بأيديهم ، وهم لا يرون حياة بعد الموت ، ولا نشوراً ، ولا بعثاً ، ولا قيامة ، ويقولون إنه إذا مات الميت لا تذهب روحه إلى النعيم ولا إلى الجحيم ، بل تبقى حائمة فوق قبره ؛ ولذلك يرون — من قبيل احترام الآباء والأجداد — أن احترام القبور واجب من الواجبات الدينية ، ويسعون دوماً لارضاء أسلافهم بالسير على آثارهم ، لأنهم يعتقدون أن مخالفتهم توجب غضبهم عليهم ، ولذلك لما قصدهم المبشرون المسيحيون ودعوهم إلى النصرانية لبى كثير منهم الدعوة ، وذلك لما كانوا يزينونه لهم من الأمور التى خدعوهم بظاهرها ، فظن هؤلاء المساكين أولئك المبشرين رسل رحمة إليهم ، ففتحوا لهم صدورهم ، وأقبلوا على اعتناق النصرانية أفواجاً ، إذ أنهم يحسبون أن النصرانية هى أيضاً كجمعية مدنية تدعو إلى الأخاء والمحبة ، فلا بأس من معاضدتها ومناصرتها ، فدخل فيهم هؤلاء المبشرون كما يدخل السوس فى الخشب ، وكما هو الحال فى البلاد ، إذ أنهم يأتون بالكتاب للتبليغ والسيف من ورائه ، ثم لم يلبثوا أن استولوا على تجارة البلاد بأجمعها ، وجعلوا يبذرون بذور التفرقة بين الأب وابنه ، والأخ وأخيه ، فاستفحل أمرهم وكادوا يبتلعون اليابان لقمة سائغة ، لولا أن استيقظ اليابانيون وضربوا على أيدى هؤلاء الجواسيس ضربة قاضية ، وذلك أنهم قبضوا على كتب من هؤلاء القسس إلى حكوماتهم يبشرونهم بما فازوا من التفرقة بين الأقوام اليابانية .

وقبل أن أخوض فى هذا البحث أرجع إلى ذكر أصل المذهب اليابانى :

قلت أولا أن ليس لليابانيين مذهب كما لباقى الأقوام من مذاهب ، بل إن ما يرونه من الأمور متفقاً مع طباعهم يقبلونه ؛ وأول مذهب يقال إن اليابانيين كانوا يعتقدونه هو مذهب (شنتو) أى الآلهة ، وليس هذا المذهب — كما يفهم من معنى المذاهب — مجموعة عقائد مسلمة ، أو كتاباً موحى به من الله ، أو نظاماً أخلاقياً ، بل هو عبادة الأسلاف والكائنات واحترامهم ، وخلاصته هو : « أن الانسان فى العالم الظاهر والباطن يسر الحى منه الميت بأفعاله ، كما وأنه يستطيع أن يؤذيه بأفعاله » ، ومما يقال : إن اليابانيين — حتى القرن السادس المسيحى — لم يعلموا معنى للمذهب ، ولكن لما حدث العصيان أخيراً ضد الوزارة الموروثة — التى تسمى بلغتهم (شوكن) ، والتى كانت هى المسيطرة على البلاد طولها وعرضها ، وليس للسلطان من الحكم إلا الاسم — كانت نتيجة هذا العصيان أن رغب الناس فى ترويج مذهب (شنتو) القديم مخالفة لمذهب (بدا) الذى كان مذهب أولئك الوزراء ، ولم يرغبوا فى إحياء مذهبهم القديم لأغراض دينية — لأنهم بعيدون عنها كل البعد — بل لأغراض سياسية ، وكل ما كان فى هذا المذهب هو أصلان : (١) احترام الجذبات الفطرية ومتابعتها ، (٢) إطاعة السلطان فرض لازم.

ولكن لما تسنم كرسى الوزارة (أبى پاسو) مؤسس وزارة (توكوكاوا) أحد مناصرى

مذهب (كونفوشيوس) — الذى بدأ ينتشر فى البلاد الصينية فى القرن الأول المسيحى — طبع لأول مرة كتب المذكور وأشاعها ، فلم يمض على إشاعتها إلا مدة قليلة حتى أصبح هذا المذهب مذهب اليابان كلها . ثم دخل مذهب (بدا) فى القرن السادس المسيحى اليابان، وانتشر بسرعة البرق ، وذلك لأن دعاته كانوا يقولون : « إن إله مذهب شنتو هو نبى بدا » ؛ ولذلك استطاعوا أن ينزلوا مذهبهم من صدورهم ويحلوه محل المذهب الأول بكل سهولة ؛ وخلاصة مذهب (بدا) هو : أن النجاة لا تكون إلا بالعلم أو نور القلب ، وإيصال الانسان نفسه إلى منتهى الكمال هو عين النجاة ، وأن الخضوع والخشوع أمام الآلهة هو الغاية الحقيقية للحياة ، وأن الفناء — حال الحاضر — هو آخر المنازل الروحانية ، ويقولون : إن المجىء من العدم إلى الوجود أمر قبيح جداً ، وسببه يرجع إلى أصلين : الجهل، والشهوات النفسانية.

ثم فى القرن السادس عشر دخلت المسيحية إليهم فاعتنقوها أو اعتنقوا بعض أصولها ، فأصبحت ديانة أهل اليابان إذن مجموعة مركبة من الأديان الأربعة تركيباً مزجياً ، وهى : مذهب (شنتو) ، ومذهب (كونفوشيوس) ، ومذهب (بدا) ، والنصرانية ؛ ولما كانت الأديان الثلاثة الأولى ليس فيها إيمان بإله قادر مطلق قاهر ، والنصرانية هى فى كل مكان خلافها فى غيرها ، أى أنها تسير سيراً سياسياً ؛ لأن غرض المبشرين هو احتلال البلاد لا نجاة العالم فى الآخرة - كما يقولون - ، ولذلك فانهم أينما ذهبوا وكيفما اتجهوا ، يظهرون بدينهم مظهراً غير الذى يظهرون فيه فى البلاد الأخرى - لذلك إذا ما ذهب أحد السياح إلى اليابان ، وجعل يدعو الله ويصلى يسخرون منه ويعجبون من هذه الأفعال .

وأما كتب اليابان التاريخية فهى كتابان ، يرجع إليهما أصل التاريخ اليابانى القديم بأجمعه : الأول كتاب (كوجيكى) ، وهو عبارة عن مجموعة وقائع ، وقد ألف سنة ٧١١ م . والثانى كتاب (نيهون شوكى) ، وهو تاريخ اليابان ، وقد ألف سنة ٧٢٠ م . وأرى من المناسب ترويحا للنفس أن أنقل ما جاء فى (كوجيكى) عن خلق العالم ، حتى تعلم - من هذا - الحالات المذهبية الأولى فى اليابان قبل أن يختلطوا بغيرهم ، وهو : إن فى ابتداء خلق السموات والأرض ظهر إلى عالم الوجود من أعلى السموات كامى [معنى كامى : هو الاله أو السلطان أو ما أشبه] اسمه [أمينو مينا كانوشى نوكامى]، ثم ظهر بعده كاميان: الأول [تا كاميمو سو بينو كامى] ، والثانى [ميمو سوبى نوكامى] خلقوا أنفسهم ، وهم جميعاً واحد وهو غائب [هذا هو مذهب النصرانية الممثل فى الأب والابن وروح القدس ، فالثلاثة واحد والواحد ثلاثة]، ويقولون : إن الأرض كانت كنقطة زيت سابحة فوق الماء ، وكانت الأشياء تتولد عليها وتتفرع منها كما تتفرع عيدان القصب من جذع القصبة ، ومن هؤلاء الثلاثة وجد [كامى] آخر اسمه [أوماشى اشى كابى هيكوجى نوكامى] ، وبعده وجد [أمينو توكوجى نوكامى]

أو [كونينو توكوجى نوكامى] ، وكلهم خلقوا بأنفسهم . ثم ذكر فى نفس الكتاب ـ أى كوجيكى ـ أن من [أمينو مينا كانو شينو كامى] ولد السلطان والعائلة السلطانية ، ومن [تاكاميمو سوبى] و [كامى ميمو سوبى] شرفاء اليابان ووجهاؤهم ، وكذلك منهم ولد (كامى السماء) أى الوجهاء أصحاب الدم الخالص ، و (كامى الأرض) أى الوجهاء أصحاب الدم المزيج .

ومن غريب ما فى مذهب (شنتو) أن اتباعه بخلاف أتباع كل المذاهب ، لا يلتجئون إلى آلهتهم عند الحاجة ، ويجب على كل من يريد اتباع هذا المذهب أن يكون تابعاً للقوانين الفطرية ، وأن يتمتع من محاسن الفطرة ؛ وعقائدهم هى : أن الطهارة تحصل إما بالهواء أو بالماء ، وأن الدم هو شىء نجس منجس ، وحيث إن (كامى) يستطيع أن يرى كل شىء،لذلك من الواجب على كل شخص أن ينظف جسمه وروحه وقلبه من كل الكدورات ، ومن جملة آيات مذهب (شنتو) هو : كونوا طاهرين فى السماء ، كونوا طاهرين فى الأرض ، كونوا طاهرى الباطن والظاهر ، كونوا طاهرى الأصول الستة (وهى الحواس الخمسة والقلب) .

بناء على هذه القواعد ما زال اليابانيون يعتنون بنظافة أجسامهم وثيابهم وطعامهم وشرابهم وملابسهم ، إلى غير ذلك .

والخلاصة أن اليابانيين ـ منذ القديم وحتى الآن ـ لا يعرفون من المذهب شيئاً قط ، وكل ما عندهم أن السلطان هو إلههم الحى ، وأنه كفيل بأرزاقهم ، وأن إطاعته فرض عليهم ، ولذلك فكل ما فى صلاتهم هو دعاؤهم قائلين : « ليحى السلطان » ، والسلطان يدعو لهم بالسلامة والخير ؛ ولكن مع كل هذا فان عقلاء اليابانيين لا يرون بداً من المذهب ، ومن أشهر أقوال عقلائهم قول المستر (فوكو زاوا) ـ بانى جامعة (كى) ومحيى العلوم الجديدة فى اليابان ـ حيث يقول : « لا جدال ولا نزاع فى أنه لا بد من مذهب تعتقد به العامة لقيام الأمن فى هذه الحياة ، ولا فرق عندى فى المذاهب ، فان أى مذهب اعتنق يقوم بايفاء هذه الغاية ، وعلى أننى لست من الميالين إلى العقائد الدينية ، ولا أومن بمذهب أو دين من الأديان فلا أؤاخذ فى الحث على اعتناق المذاهب ، لأن إيمانى لا يساعدنى أن ألبس لباساً لا يعتقد بصحته أو فائدته قلبى ... المذاهب كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ولكنى مع ذلك لا أرى من فرق بينها قط إلا كما أرى من الفرق بين الشاى الأخضر والشاى الأسود ، فاشربوا هذا أو فاشربوا ذاك فالاثنان سواء ، وكل ما فى الأمر أنه يجب أن يجرع ـ من لم يذق الشاى حتى الان ـ شيئاً منه ليعلم مذاقه ، وأرى أن دعاة المذاهب لا يزيدون عن تجار الشاى شيئاً ، وكلهم منصرف فى ترويج سلعته ، وليس من طريقة لترويج هذه السلعة إلا أن يمتدح كل واحد ما لديه من المال ويذم مال الغير ، فيجب على الانسان إذن أن ينتخب المال الجيد الرخيص » .

يعتقد اليابانيون أن الاله (إيزاناكى) وزوجه (إيزانامى) خلقا جزر اليابان ، وأن

ابنتهم (أماتيراسو) أرسلت حفيدها من أعالي السموات إلى الأرض قائلة : « اذهب إلى تلك الروضة الفيحاء ، والحديقة الغناء ، وأقم نسلا يحكم حتى الأبد » ، ففعل ذلك ، وها إن السلالة السلطانية هى من نسله ، وهذه العقيدة رائجة جداً . قال الدكتور سيدراس : سألت مرة أحدهم : لم هذه الخرافات التى تروجونها فى أسواق الجهل ، وأنتم لا تعتقدون بصحتها ؟ فأجاب بكل هدوء : إن هذه العقيدة ليست بأعجب من العقيدة النصرانيـة التى تدرس فى مدارس أوربا المتمدنة وجامعاتها ، وهى : أن المسيح ابن الله الوحيد ! .

بقيت اليابان منذ الخليقة حتى منتصف القرن الخامس عشر بعيدة كل البعد عن العالم — خيره وشره — راضية فى بلادها ، مطمئنة إلى حالها ، لا يعلم أحد بما فيها ، ولا هم يعلمون بما عند غيرهم ؛ إلى أن عصفت العواصف مرة باحدى السفن البرتكيزية ، التى كانت ذاهبة إلى مرفأ (مكاو) فى الصين ، وألقتها على ساحل جزيرة من الجزر اليابانية ، وهناك اضطر المسافرون جميعاً للنزول فيها ؛ كانت هذه الصدفة هى الفاتحة لسبيل الأوربيين إلى اليابان ، وهى المرة الأولى التى رأى فيها اليابانيون أناساً غيرهم فى بلادهم .

وما كاد الأوربيون يسمعون هذا الخبر ، ويعلمون أن فى تلك البلاد متسعاً للتجارة ، حتى قصدوها من كل حدب وصوب ، ومن هذا وجد القسس أيضاً متسعاً لهم فى هذا العالم يبذرون فيه بذور الشقاق بين أهله ، فقصدوه بخيلهم ورجلهم ، وأتوا إليـه أفواجاً ؛ وأول فرقة منهم قصدت هذه البلاد هى الفرقة الفدائية ، التى ترى أن الموت فى سبيل الدين هو المنية المطلوبة . ولما كان اليـابانيون — كما ذكرت آنفاً — لا يعبأون بالدين ، ولا يظنونه إلا جمعية مدنية ، وسمعوا ما سمعوا من أقوال القسس الخلابة ، ظنوا أن السعادة كل السعادة فى اتباعهم ، حيث إنهم جاءوهم بخبر جديد لم يكونوا يعلمون به من قبل ، وهو : الحياة بعد البعث ، وما هنالك من النعيم والرفاهية والسعادة التى لا تنال إلا بهذا الاعتقاد ؛ فأقبلوا عليهم بكل شوق ، واندمجوا فيهم ، وأصبحوا أحرص على النصرانية من النصارى أنفسهم ؛ ولكنهم عجبوا جد العجب حينما رأوا سياسة القسوس قد تغيرت فجأة ، وأصبح أولئك الملائكة الأبرار رسل المحبة والسلام ، شياطين خبث وخداع ، ورسل عذاب وتفرقة ، فخالجتهم من أمرهم الريب ، ولا سيما ما ظهر لهم بعد ذلك من أن المسيحيين أنفسهم تكفر كل فرقة منهم الأخرى ، وتحكم بالعذاب الدائم .

وجد القسوس فى البلاد اليابانية صدوراً رحبة ، وسهولة كبيرة للتبليغ بمذهبهم ، حيث إن الحكومة سمحت لهم بالقاء المحاضرات حتى فى الشوارع وفى بناء البيع وغير ذلك ، ولم يمض عليهم إلا ٣٣ سنة ، حتى كتب رئيس المبلغين فى اليابان إلى روما يخبر أنه قد بلغ عدد المعتنقين للديانة المسيحية ١٥٠٠٠٠ نسمة ؛ ولو ثابر المسيحيون على التبليغ بصورة سلمية ، لكانت اليابان اليوم بلاداً مسيحية لا يوجد فيها إلا التثليث ، ولا يسمع فيها إلا صوت النـاقوس ؛

ولكن اليابانيين — حيث إنهم يابانيون قبل كل شيء — لم ترقهم هذه التفرقة التى أحدثها القسوس ، واستغنوا عن تلك الفوائد الدنيوية الجمة التى كانت حاصلة لهم وعافوها ؛ حيث علموا أن هؤلاء المبشرين لم يقصدوهم لينجوا أرواحهم من العذاب ـ كما يقولون ـ بل ليسلبوا أوطانهم من أيديهم ، ويستبيحوا ديارهم ؛ ورغم ما اتخذه القسوس من الأسباب والوسائل لنجاح دعوتهم ، كارسال وفدمثلا من المتنصرين من أمراء البلاد إلى أوربا ليروا ما لها من عظمة وشأن ، وكالتضييق على من لم يكن نصرانياً بأمر التجارة ،وعدم إرساء السفن بساحلهم وغير ذلك،بالرغم مما تقدم فانهم لم يستفيدوا من كل هذه الأمور شيئاً ، حيث علم الناس أن لفظ النصرانية لا يزيد عن احتلال البلاد ؛ وهناك بعد أن كان كثير من ملوك (١) اليابان قد اعتنقوا النصرانية ، وأصبحوا يدافعون عنها دفاع المستميت ، لم يجدوا بداً من ترك هذا المعتقد ، وإجبار كل من اعتقد به على تركه ، لأن البلاد أصبحت محوطة بالأخطار السياسية، وصدر أمر باخراج القسوس جميعاً من اليابان فى مدة لا تزيد عن عشرين يوماً أو أن يكونوا عرضة للموت والعذاب ، فخشى منهم البعض وارتحل حالا إلى الصين ، ولكن البعض منهم لم ير بداً من المقام ولو أدى الأمر إلى الموت ؛ وبعد أن كان ملوك اليابان يجبرون رعاياهم على اعتناق النصرانية أصبحوا يجبرونهم على تركها ، والحكم بالاعدام على من نصر عليها .

صدر الحكم باخراج القسوس ، ولكن الحكومة لم تتعرض لمن لم يتخذ التبليغ مهنة له كالتجار وغيرهم من الأجانب،بل أبقت لهم مالهم،وسلكت معهم مسلكها القديم ، ولكن لما رأت الحكومة أن بعض القسوس لم يعبأ بأمرها وبقى مصراً على المقام ، لم تر من الانصاف إهراق دمائهم ، بل أصدرت حكما بهدم جميع البيع فى اليابان — طولها وعرضها — فهدمت ، ولكن مع ذلك لم تتخذ الشدة فى التضييق على عمال النصرانية ؛ فعاد من القسوس بعض من كان قد رحل مرة ثانية بحيلة احتالها لهم حاكم جزائر فيليبين ، وجعلوا يقومون بأعمالهم ، وبنوا الكنائس؛ولكن لما كان قد آن وقت أفول سعدهم لم تعد تنفعهم الحيل. ولم يطل أمرهم، وذلك: أنه كان قد قبض مرة على ربان سفينة اسبانية تحطمت على سواحل اليابان؛فلما سئل: كيف يطمع ملككم فى احتلال بلاد هى أكبر من بلاده بمرات ؟ أجابهم على الفور : إن الأوربيين إذا ما أرادوا احتلال بلاد ما يرسلون أولاً جيوش قسوسهم فيمهدون لهم السبل، ثم بعد ذلك التجار ، ومن ورائهم الجيوش والمدافع ؛ فما كاد ملك اليابان يسمع هذا القول حتى بلغ منه الغضب منتهاه ، وأمر حالا بالقبض على القسوس جميعاً ،وجدع أنوفهم ، وقطع آذانهم ، وتطويفهم فى أسواق المدينة ، ثم صلبهم ؛ وهذه الواقعة هى أول نازلة نزلت على هؤلاء القسوس . وجعل اليابانيون يحاربون النصرانية بكل نشاط ، وهدموا أكثر بيعهم

(١) أقول الملوك ، لأن اليابان لم تكن تحت ملك واحد بل ملوك عديدين يرجعون جميعاً الى سلطان واحد ، كما كان الحال فى آخر أيام العباسيين .

للمرة الثانية ، ولكن أخيراً بعد أن كانت البلاد قد ارتقت نوعاً ما عن ذى قبل،ولم ير أهلها بداً من ربط تجارتها مع الدول الأوربية عادوا إلى الاتفاق معهم – بعد أن كانوا منعوا نزول أى أجنبى فى بلادهم مدة تزيد عن ١٠٠ سنة – وعقدوا اتفاقات ومعاهدات تجارية مع أمريكا ثم مع الانكليز ثم الفرنسيين وغيرهم؛ ومن ذلك العهد علموا أنه لم تطمع فيهم أوربا إلا لجهلهم، فقاموا لمقاومة الجهل ، واتجهوا نحو العلم وتوحيد صفوفهم أمام هذا العدو القوى ،والتفتوا لاصلاح البلاد من الجهة العلمية . وحيث إن الهولانديين كانوا أكثر الناس تجارة فى اليابان ، وكانت معاملاتهم متسعة مع اليابانيين ، لذلك اضطر اليابانيون لتعلم لغتهم للاستفادة منهم ، فقدموا عريضة إلى الحكومة يطلبون فيها السماح لهم بتعلم هذه اللغة،فسمحت لهم الحكومة بذلك ، بعد أن كان جزاء من يتعلمها الموت .

فما كاد هذا الخبر يشاع فى البلاد وينتشر ، حتى أقبل اليابانيون بشوق لا مزيد عليه لتعلم هذه اللغة ، وأظهروا من الاجتهاد الاعجاز ؛ وكانت باكورة أعمالهم فى هذا الأمر أن أخذوا المعاجم الموضوعة فى اللغة الهولاندية ونقلوها إلى لغتهم ، ثم إن أحدهم برع فى هذه اللغة ، حتى قرأ كتاباً فى علم التشريع وعلمه نحو ٦٠٠ تلميذ يابانى،وبرع آخر حتى إنه ترجم كتاباً فى علم النباتات إلى اليابانية ، وهو أول كتاب ترجم من العلوم الأوربية،وانهمك الجميع فى تحصيل العلوم بصفة عجيبة وغريبة جداً ، وأقدموا عليها كما يرد العطاش الماء ، حتى إن التعليم لم يكن محصوراً فى صغار السن ، بل قام الكبار منهم–حتى من لم يكن يملك قوت يومه– وأخذوا بقسط وافر من العلوم.ويعرف ما كانت عليه اليابان من الجهل من هذه الواقعة التى حصلت لبعض الأطباء ، وهى : أنهم أخذوا كتابا فى فن التشريح وقرأوه،ثم أرادوا تطبيق ما قرأوه ، فذهبوا وشرحوا جثمان مجرم كان قد أعدم ، فكانت دهشتهم وحيرتهم لا تقدر حينما وجدوا أن الصورة هى طبق الحقيقة ، وقرروا أن تركيب أهل الصين الداخلى غير تركيب العالم ، لأن كتبهم يختلف تشريحها عن هذه الصورة المطابقة للحقيقة ، فانهم نسبوا خطأ التشريح الصينى إلى أن تركيب أهل الصين مختلف لا إلى أنهم مخطئون فى ذلك ،لأنهم كانوا يعتقدون صحة تلك الكتب ، فكانت حالهم كما جاء فى الانجيل : « حينما رأى اليسوع لصا فقال له : أتسرق؟فقال له : لست أسرق ، فقال يسوع : صدقت وكذبت عينى » . هكذا كان حال هؤلاء الأطباء قبل مدة قليلة ، وقد ظهروا الآن أمام العالم باكتشافات طبية عجيبة بفضل اجتهادهم ، وكذلك فى علم الكيمياء والعلوم الطبيعية وغير ذلك ؛ أما ما لاقاه اليابانيون من المشقة فى أمر الترجمة، فهو مما يفوق التصور ، ولكنهم باجتهادهم ذللوا كل عقبة ، وامتطوا كل صهوة ، وخلقوا من لغتهم ألفاظا لكل المصطلحات الحديثة ، وأسسوا فى بلادهم أول مدرسة للطب فى مدينة (بيدوا) ، وقام بعد ذلك دعاة العلم فى البلاد يحثون على تحصيل العلوم،وفى مقدمتهم الأستاذ (فوكوزاو) الذى أسس فى اليابان أول جامعة .

وسنذكر بعض أعمال هذا الأستاذ والمربى الأعظم مع شذرة من تاريخ حياته فى عدد آخر إن شاء الله ؟

إحسان سامى حقى

الزوج والزوجة

وواجبات كل منهما

بقلم الأستاذ مصطفى جاد أبو العلا

تكلمنا فى العدد الماضى عما يجب عمله لأعداد الفتاة للزواج ، وأردفنا ذلك بالكلام على المهر والجهاز ، ونتكلم الان عما يجب على كل من الزوجين نحو الاخر :

إذا ما تم إعداد الفتاة إعداداً صحيحا وحصلنا على تلك التى قبضت باليمين على العفاف وبالشمال على الاستقامة والشهامة ، تلك الفتاة التى تجملت بأبهى زينة ، وتحلت بأجمل الحلى ، وهما العفة والآداب ، فعلى الزوج ألا ينصرف عنها ويتلهى عما يحيط به من ملاذ وشهوات ،فيقضى لياليه الطويلة خارج بيته ، ويعود إليه فلا يبصر امرأته إلا وهى نائمة ، وإذا ما التقى بها فى ساعة من النهار اكفهر وجهاً وعبس وتولى ، وإذا كلمها كان كالمتكلف ينتزع الألفاظ من حلقه يود أن لم يكن يراها ، يبصر أمامه مخلوقة تهش إليه وتبش وتتقرب منه فيبتعد عنها وينفر منها ، ويظن أنها خادم جاء بها لتترأس خدمه وحشمه . تلك حال الكثيرات من الزوجات لا يجلب إليهن ما هن فيه من نعيم سروراً قلبياً ، ويتساءل الناس عن سبب حزنهن فما يصلون إلى حقيقة ، إنما يلحقونهن بالبطرات بالنعمة ، المنكرات فضل أزواجهن الجاحدات ، ولكنهم وايم الحق مخطئون .

إن النساء لا تنعم بالا ولا تطمئن خاطراً حتى يكون نصيبهن من أزواجهن نصيباً عادلا ، وإن الكلمة الحلوة تخرج من فم الزوج فيتردد صداها فى أذن الزوجة فتصل إلى الوتر الحساس من قلبها لتنعش فيه أملا كاد أن يموت ؛ إنما المرأة تحتاج إلى ما ينعش حبها ويتعهده بالحياة والبقاء ، وما تبلغ المرأة ذلك حتى يكون لها من زوجها قلب حنون شفيق ، ولسان معسول ، وضمير نقى ، فهى زوجه وهو زوجها ، وإنها لتسعد حياة فى ظل هذا الحب والاخلاص حين تلتقى بزوجها فرحاً مسروراً يبتسم لها « ابتسامة الزوج » فتقابلها « بابتسامة الزوجة » .

وما أتعس المرأة التى تستيقظ من غفلة الشبيبة ، فتجد نفسها فى منزل رجل يغرها بأمواله وعطاياه ، ويسربلها بالتكريم ، ولكنه لا يقدر أن يشعل قلبها بشعلة الحب المقدس ، وإنها لتتنازل عن كل ما يحيط بها من الخدم والحشم والملذات فى سبيل البشر والايناس المنبعث

من خلال قلب زوجها على صفحة وجهها ، وتراها فتبصر روحاً تطل من عينيها وفرحاً تكاد تطير به .

فجدير بالرجل أن يتقي الله في تلك المخلوقة التي قدر القضاء لها أن تكون له زوجة ، لا ليهينها ويحتقرها، بل ليعزها ويحترمها، فهو سياجها وسندها ، فيجب أن يعمل لتوفير سعادتها ، وينظر إليها بالعين التي ينظر بها إلى أحب الناس إليه ، وأعزهم عليه، وأن يتجنب ما يوقع النفرة بينهما ، وينصحها إن خالفت إرادته ، ويؤاخذها على فعلها باللطف واللين ، لا بالخشونة والشدة والتشهير ، يأخذها بالمعروف، لا بالجبروت ، ويشفق عليها، ولا يميل إلى غيرها أبداً ، ولا يضن عليها بالمال لاصلاح حاليهما ، ولا يقصر يده عما تطلب منه ملتزماً الحد الوسط ، فلا إسراف ولا تقتير ، لا يستبد بها ، بل يكون باشاً في كمال، مسروراً في وقار ، وإن غضب ففي هدوء واعتدال ، يكون لها أباً صالحاً وأخاً كريماً ، فانه بذلك يصير عضواً نافعاً في الهيئة الاجتماعية ، يعتبرها شريكته في الحياة حتى تشعر بسرور لم تكن تشعر به من قبل في بيت والديها فتضحي نفسها في سبيل راحته وخدمته وسعادته

واجبات الزوجة لزوجها :

ويجب عليها حينئذ أن تخلص لزوجها ، إن تعبت ففي قضاء لوازمه . وإن تجملت بالملابس فلكي تلفت إليها نظره، تسره بابتساماتها الطاهرة وتسعى جهدها في مواساته وتفريج كربه كلما نزل به حادث ، ويكون ديدنها اليقظة المصحوبة بالعمل والاشراف على دقائق الأمور بغير إهمال، فلا تدع العمل للخادمين، فانهم ليسوا من المخلصين مهما عظم توددهم وظهورهم بالاخلاص في العمل ، ولا تكل أمراً للخادمات وهن في عملهن المتكلفات ، تدفعهن إلى العمل فان فقدنها يوماً ما فقدن وراءها النشاط .

يجب أن تكون راغبة في أن يرفرف الهناء والسرور بجناحيه فوق بيت زوجها فتكون عاملة على النظام والنظافة والاقتصاد :

قد يقول قائل : إن الشئون المنزلية هي من واجبات الخدم ، ولذلك فان ربة البيت يكفي أن تطلب الشيء فيحضر لها كما تريد .

إن مثل هذا القول يستند إلى ما هو أوهى من خيط العنكبوت، لأن المركب الذي يجهل ربانه دقائق حركاته وتسييره يغرق ولو كان غاصاً بالبحارة والنوتيين ، كما أن القائد الذي ليس له خبرة كافية يدبر بها جنده يخسر المعركة ، ولو كانت جنوده تفوق جند العدو أضعافاً مضاعفة ، وكذلك المنزل فان كانت ربته غير ملمة بكل شيء فيه يتهدم وتتداعى أركانه ويسقط سقوطا مروعا مرهبا .

وقد جاء في الأمثال « المرأة الحكيمة تبني بيتها والسفيهة تهدمه بيدها »، يريد بالحكيمة تلك المرأة التي تعرف كيف تدير سكان منزلها وكيف تقوم بواجباتها العائلية نحو زوجها وبنيها

فتسعدهم وتسعد هى أيضا معهم ، فالاعتناء بادارة المنزل له أهميته .

« المنزل » هو ذاك الركن المقدس الذى ترفرف على جوانبه ملائكة الهناءة والسرور، هو الجنة الأرضية التى لا تسمع فيها إلا رنات سرور ، وابتسامات حبور، ونغمات ملائكة، المنزل هو مقصد الزوجين، ومأوى البنين والبنات ، المنزل مهبط الحب بكل أنواعه : الحب الأبوى الحب البنوى، الحب الزوجى، حب الأقربين ، حب مساعدة الضعفاء، حب مواساة المساكين؛ المنزل هو مدرسة الطفل الأولى ، مدرسة الأخلاق الكريمة ، هو المدرسة التى تقوم الزوجة فيها بدور الأستاذ الأول ، المنزل هو المكان الذى يهرع إليه الطفل إن كان خائفا مذعوراً ، والزوج إن كان حينا كئيبا ، حيث يجد كلاهما الملاك الذى يسرى عن نفسه ؛ المنزل مهبط أيام الصبا الجميلة ، أيام السعادة المتتابعة ، أيام الأمانى والأحلام، أيام الاسترسال فى المسرات ، أيام النزاع الطفيف الذى لا يلبث أن يزول .

يجب أن تخلص لزوجها الحب وتحترمه ، مقدرة له ، راغبة فى شخصه ، همها معه أن تعيش له ليعيش لها ، ثم لا يتخلل حبها وإخلاصها رهبة تتفرع عن سىء الظن ، فما تلتقى السعادة بسوء الظن والريبة فى العشرة ، وما يلتقى الحب بالحب الزوجى على بساط الغيرة .

وما أتعس الرجل الذى يحب فتاة من بين الفتيات ويتخذها رفيقة لحياته ويهرق على قدميها عرق جبينه ؛ ودم قلبه ، ويضع بين كفيها ثمار أتعابه ، وغلة اجتهاده ، ثم ينتبه فجأة فيجد قلبها ـ الذى حاول ابتياعه بمجاهدة الأيام وسهر الليالى ـ قد أعطى مجانا لرجل آخر يتمتع بمكنوناته، ويسعد بسرائر محبته .

هذا، أما واجبها نحو أولادها ـ الذين هم الغرض الأسمى من الزواج ـ فتربية جسمية وتربية نفسية يشترك معها فى الأخيرة الأب ؛ أما الأولى فمرتعها الذى تنمو فيه وترتقى فى أحضانه ، وما قدر لغير الأم أن تقوم بهذه المهنة إلا إن كانت الأم ضعيفة البنية والتركيب .

يجب ألا تترك طفلها هدفا لسهام الأيام ، وعرضة لمخالب الدهر ، يجب أن تدبر مصيره وتفكر فى عاقبة أمره ، فلا تتركه لأيدى مرضع مهما قويت بنيتها واعتدلت صحتها ، فيتطبع بطباعها ، ويتخلق بأخلاقها ، وفوق ذلك فانها ـ وإن سهرت عليه ـ مأجورة ، ومرضعة بثمن فلا تقوم مقام أمه، ولا تلقنه دروس الحنان البنوى، وبذا تفقد عاطفة الحب لأمه ، حيث ألف صدر الأجنبية فيشب مضطرب الاحساس ، فلا يدرى : أهذه أمه ـ وقد تناول ثدييها، ورضع لبانها ـ أم تلك التى حملته تسعة أشهر وقاست آلام الحمل والوضع ؟ ولكنى أعذره فى ذلك فقد جفته أمه بجفاها ، وأطعمته ظئر فمال إليها .

يجب ألا تلقى به بين يدى الخادم فتقدمه فريسة لها بيدها تنشب مخالبها فى مداركه ، وتدس دسائسها فى معتقداته لأن الخادم لم تتطوع لخدمته حباً فيه ، ولا شغفاً باصلاحه ، بل رغبة فى كثير من المال تتقاضاه ، وقلما تستطيع أن تدرك معنى التربية ، أو تذوق طعم

الاداب ، فتسترضيه إذا غضب ولو لغير الحق ، وتنهره إذا شاءت ولو بغير سبب ، ولا تدرى معنى الذوق، ولا وضع الشىء فى محله، ولا الحنو الصحيح، ولا الشفقة الخالصة، إنما هذه الشفقة وهذا الحنو ثمنهما دراهم معدودة تتقاضاها فى كل شهر، وللطفل عندها حنو وإشفاق بقدر هذه الدراهم ، فاذا ما حرمت منهـا شهراً أو بعض شهر ذهب الحنو والاشفاق ، إنما الطفل ينقصه حب الأم وشفقتها وحنوها ، وحب الأب وشفقته وحنوه لكى يعيش ويبقى ، فاذا ما فقدهما عاش نكد العيش منقبض الصدر ، فلا يسعد إلا بحبهما وإخلاصهما ، وقيامهما بما فرض عليهما من الواجبات، فليفكر كل منهما فى ذلك .

ولتفكر الأم فى أن تحنو عليه وتشفق به ، فلا يشغلها عنه شاغل ، بل ليكن قبلتها التى تحج إليها وتعنى بها ، وأنشودتها التى تتغنى بها ، فتكون بذلك قد أدت ما يجب عليها نحو العالم بعملها ، بجدها واجتهادها فى إنبات ذريتها نباتاً صالحاً حسناً يجيد العمل النافع ، ويكون سببا لرقيه وإعلاء شأنه ، وتلك روحها التى تنبعث فى خلال جوف طفلها فتصل إلى روحه فتعمل وتعلو ، وهذا فى مقدورها ، فلا تجعله عرضة للأمراض فتتهاون فى أمره معتمدة فى علاجه على الخرافات العامة ، والوصفات الأهلية ، منتظرة فائدة هذه أو نتيجة تلك ، فليس من أسباب التوكل على الله استعمال شىء فى غير محله لا سيما وقد منحنا الله سبحانه وتعالى نعمة الطب.

يجب ألا تتركه هدفا لسهام الاهمال فتجعله يلعب فى الأزقة والشوارع فيختلط بالسفلة والرعاع ، يتخلق بأخلاقهم ويتطبع بطباعهم ، وتنتقل عدواهم إليه فضلا عن تعرضه لحرارة الشمس وقذارة الغبار .

يجب أن تكون مثالا حسنا له يقتدى بها فى كل حركة وسكون، فانه كآلة التصوير الشمسية تنطبع فى مخيلته كل المرئيات ، وترتسم فى ذاكرته كل الحركات .

فلا تعتاد الكسل أمامه بترك عملها ، ولا تتلفظ أمامه بالبذاءة وفحش القول ، ولا الغطرسة فتتعالى على أقرانها وتجافى زميلاتها ، ولا الكذب فتستعمل الأيمان فى غير الحق، ولا الشدة فتستضعف الصغير ، ولا الذل فتخشى الجبار الكبير ، ولا الاغتيال فتغتصب شيئا بغير حق ، ولا الدناءة فتمتد عيناها إلى ما يتمتع به غيرها ، ولا السفالة فتسعى إلى غير مباح حتى تخرج عن دائرة الشرف والمبدأ .

ولهذه المناسبة أقول : إن كثيراً من الجاهلات يظنن أن الشرف والمبدأ هما فى عدم استسلام المرأة للفحشاء فقط ، لأنهن لا يعلمن ما هو الشرف بمجمل معناه وفروعه .

«الشرف» هو اختيار الحسن واتباع المشكور ، الشرف هو معرفة الواجبات والقيام بها نحو الأفراد ، نحو العائلة ، نحو المجتمع ، ونحو كل ما يحيط بالشريف ، الشرف هو الشعور ، هو الاحساس ، هو الوجدان ، هو الضمير ، هو اللطف، هو التضحية، هو الاخلاص، هو الأمانة، هو الصدق ، هو الطاعة لمن تجب له الطاعة ، هو مشاركة المتألم فى آلامه ، ومواساة الحزين

فى أحزانه : هذا هو الشرف ، وكم من فتاة عفيفة نراها بعد زفافها تتكبر على زوجها وعند كل سانحة تلبط الأرض برجليها قائلة لزوجها : يكفى أنى شريفة ، يجب أن تقدسنى لأنى شريفة !! وكم من عفيفات يقلن للرجل ، كان يجب أن يكون لك امرأة كفلانة تعرف كيف تحصل على ما تريد عند ما لا ترى من زوجها اهتماما بما تطلبه إليه !.

فليعلمن هؤلاء الجاهلات أن بين المومسات من لم يزلن شريفات فى المبادىء صادقات وفيات ، حتى أن بينهن من لا تجد من تضاهيها مبدأ ووفاء بين السيدات الشريفات المصونات(١).

يجب على الزوجة أن تعود الطفل الفضيلة فتعترف بالحق وترضخ له ، والتأنى فتتدبر فى الأمر قبل الرأى فيه ، والصبر فتتحمل المصيبة بالسكون ، والشجاعة الأدبية فتعلن ما تخفى ، وعزة النفس فلا تتحمل الضيم ، والسكينة فتبتعد عن الاشهار ، يجب عليها مراقبته مراقبة محسوسة له حتى لا يتفرغ إلى مداراتها ، ويتفرد برسم خطط التمويه عليها ، فاذا رأت منه اعوجاجا قاومته بالحسنى ، وسلكت الطرق القويمة فى إصلاحه ، ولا تغفل عنه حتى يرضيها بما تقر به عينها ، وتبتعد بقدر استطاعتها عن الشدة التى لا تستخدمها إلا إذا أعيتها الحيل ، ومن أحسن طرق المراقبة المجربة : البحث عن أقرانه بانتخابهم ممن حسنت أخلاقهم وابتعدت عن الرذائل صفاتهم

واجبات الزوجين :

ولا ننس أن الزوج ملقى على عاتقه شطر تلك المسئولية نحو الطفل ، فيجب أن يتعاون مع زوجته بالسهر الدائم على راحه أولادها حتى يصلوا إلى سن الرجولة ، فاذا ما وضع الزوجان نصب أعينهما رقيهما ورقى أولادها فانهما لا يسأمان المعاشرة ، ولا يزداد رباطهما على مدى الأيام إلا توثقا ، فهما يعملان ويجدان لزيادة نفسيهما وأولادها صحة وذكاء ومالا وتربية ، ففى الشعور بأن هذه الأشياء تزداد يشعر القلب بالسعادة « التى هى نور ينبع من الحس لنشر السرور ، التى هى جوهر يسهل الحصول عليه ، ويصعب الاحتفاظ به ، التى هى طير ينشأ فى ركن المحبة مفتون بالحرية ، فلا يلبث كثيراً فى عشه ، التى هى منبع فياض يهبه الله للانسان ، التى هى زهر لطيف سريع الذبول ، التى هى حكم العقل على الهوى ، التى هى ظل الوجدان الأبدى » .

وليست السعادة فى شىء يقتنى أو شخص يمتلك بالزواج ، بل هى جهد متواصل للرقى والتطور حتى نكون فى كهولتنا خيراً مما كنا فى شبابنا ، ويكون أولادنا خيراً منا ، فنشعر بأننا حلقة فى سلسلة التطور الشريفة ، وأننا عشنا غير راكدين كماء البركة الاسن ، بل كنا حركة دائمة للرقى المطرد ؟

مصطفى جاد أبو العلا

دبلوم دار العلوم

---

(١) أسرف الكاتب فى هذه العبارة وله رأيه ، ننشره على علاته عملا بحرية الرأى

أدب الامل والقوة والجمال

لا يزال قادة الأمم يعملون بكل ما أوتوا من حزم وعزم على إنهاض النفوس وملئها بحب الجهاد المثمر والاقدام والمثابرة ، عالمين أن كل تقدم أو رقى لا يستمد وسائله وأسبابه من روح الأمة سوف ينهار لدى أول عاصفة تلقاه ، وأن كل نهوض لا تغذيه همم قوية وعزمات ماضية متمكنة من الأفئدة سوف يبيد ويمحوه مر الأيام ، وهم لذلك يبذلون جهدهم فى غرس الامال والمثل العليا فى النفوس لتسير قدماً إلى الأمام ، ولا يزال الأديب يملك تلك القوة الكبرى التى يستطيع بها أن يوجه الأهواء إلى مايريد ويسير بالرغبات إلى حيث يشاء ، فللأدب تأثير بالغ ، وسلطان قوى على القلوب والأفئدة ، يملك عنانها ويهديها ، وقد تحدثنا فى كلمة سالفة عن تأثير شعر الزهد والتشاؤم(١) ، وأهبنا بالمربين والنشء أن يعرضوا عنهما الاعراض كله ، فلهما يعود جل ما نشاهده فى الشرق من تلك النظرة السوداوية ، وهذا الخمول والكسل يغمر الجو ويحول دون الاقدام ؛ واليوم نتقدم بحديث آخر عن هذا اللون الجديد من الأدب ، هذا اللون الذى نحن فى حاجة قصوى إليه ، نستمد منه وسائل النهضة ونستلهمه روح الجد والمثابرة ونستهديه فى الحياة ونعمل بهديه ، وذاك اللون هو المفعم بالقوة الملىء بالامال ، وكفانا ما أضعناه من أيام غالية عزيزة فى دراسة تلك الاداب الميتة البالية التى تقتلنا يأسا وتملأ ناخوراً وضعفاً ، إذ يرى الناشىء أول ما يرى ويسمع أول ما يسمع سخطاً على الوجود وذماً للدنيا ، فينشأ هو الاخر متأثراً بذلك كله ، ناقماً على الحياة والأحياء ، فلا يلبث أن يؤثر هذا الأثر فى قلبه وينتج أسوأ النتائج ، ولا يلبث أن يلقى بسلاحه فى ميدان الجهاد الملىء بالصراع والزحام ، فاذا رمنا الرقى والنهوض فعلى قادة النهضة من كتاب ومربين أن ينزعوا تلك الروح من نفوسهم ، ويضعوا عوضاً منها تربية جديدة وأدباً جديداً .

حدثوهم عن الناهضين فى كل أمة وعن النابغين الذين حفظ التاريخ ذكراهم وأبقى عليها ، واذكروا لهم أن أولئك الخالدين على مر الزمان لم ينالوا الخلود وهم كسالى نائمون ، أو ضعاف يائسون ، بل رسموا لأنفسهم مثلا علياً وجدوا فى السير إليها من غير أن يلحقهم توان أو فتور ، حدثوهم عن الامال الواسعة وكيف يمكن نيلها إن قويت همتنا ولم نيأس لدى الصعاب والعقبات ، وضعوا نصب أعينهم أن سعادة المرء فى الحياة منوطة بمقدار ما يبذله من جهد ، وما يقوم به من عمل وجهاد ، ذاكرين لهم أن الحظ لا يأتى عفواً ، ولا يصيب إلا كل مثابر صبور ،

---

(١) راجع « المعرفة » عدد يوليو سنة ١٩٣٢ .

وما دمنا نبث فى أذهانهم ونلقى فى أفئدتهم أن المجد لا ينال من طرق الخيال أو لمجرد الامال ، بل بالتمنى المصحوب بالعمل والأمل المقرون بالمثابرة ، فانهم سوف يواجهون الحياة بثغور باسمة وآمال شهية وقلوب قوية وهمة متحفزة .

إن أدب الآمال هو هذا الأدب المشرق بالنور الضاحك أمام الصعاب الهازىء بكل عقبة، ولعل الأمل طبيعة فى النفس الانسانية ، فهى تأمل ولكنها قل أن تعمل ، ولذا فان بعض الناس يفضل بعضاً بمقدار ما يبذله أحدهما من عمل فى سبيل نيل أمله ، فليضع المفكرون نصب أعينهم أنا نقصد إلى الأدب الملىء بالتحفز والنشاط ولا نرمى إلى أدب خيالى وهمى يحلق بالنشء فى سماء الأحلام ، ويتخطى سياج الحقائق والواقع ، إلى حيث نعيش فى جو سحرى خلاب ، ولكننا ندعو إلى خلق أدب تتضافر فيه كل وسائل الحياة من آمال بعيدة وأمان كبيرة تجد لذتها فى تحدى الصعاب حين تعترضها ، وتخطى العقبات التى فى طريقها .

ويتصل بأدب الآمال اتصالا وثيقاً أدب القوة،ونقصد بالقوة هنا ألا يستسلم المرء لحكم الواقع إلا بعد أن تنفد كل وسيلة لاصلاحه وتحسينه ، فان كثيراً مما نشاهده فى حياتنا المصرية من تأخر وحبوط يرجع إلى رضى المرء بما هو فيه، واستسلامه إلى الحالة التى رأى نفسه عليها غير مكلف نفسه مؤونة الجهاد والكفاح، وبذل قواه فى نيل ذرى السعادة والرقى؛ وذلك ناشىء من غير ريب نتيجة روح الزهد التى غمرت الشرقى وأرضته بالقليل ، فأدب القوة نقصد به إبادة تلك الروح التى ما أنتجت إلا شراً ، ولا أفادت إلا أذى وضراً ، كما أنا نعنى بحب القوة هنا احتقار الضعف بكل معانيه ، وكفانا ما مضى من ركون تام إلى ظلام الضعف ودجاه ، فالعصر يضج بالقوة ولا يستطيع أن يسمع لغير لسانها ، أو يطيع إلا ما توحى به وتشير ، بل إن الطبيعة ذاتها تتبع هذا القانون فلا تبقى إلا على الأصلح الأقوى، وتبيد كل من لم يؤت حظاً من قوة تحفظه وسط تيارها المتدفق العجاج ، فعلينا أن ننهج نهجها فى آدابنا وتربيتنا، ولنثق دائماً بأن كل أدب خال من روح القوة فهو أدب فان لا يستحق البقاء ، فلنردد دائماً قول المتنبى شاعر القوة والامال الكبيرة :

ذرينى أنل ما لا ينال من العلا   فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين إدراك المعالى رخيصة   ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وقوله :

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت فى مرادها الأجسام

وقوله :

يهون على مثلى إذا رام حاجة   وقوع العوالى دونها والقواضب

وقوله :

إذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

ولندع كل أدب يحقر تلك الروح أو يغمطها داعيا إلى الكسل والخمول .

ولنتحدث قليلا عن أدب الجمال ، ويكاد يكون هذا الأدب مفقوداً فى آدابنا المصرية ، إذا استثنينا بعضا من شعر الغزل واستثنينا شاعراً أو اثنين تحدثا إلينا عن جمال الطبيعة ، فانا لن نعثر بعد ذلك إلا على القليل ... والأديب حين يحدثنا عن الجمال نامس فيه لباب الحياة وسر الوجود ، فالجمال هو المثل الأعلى لما أبدعته الطبيعة فى صفحة الكون ،فاذا حدثنا الأدب عنه جعلنا ننصت إلى تغريد الطيور ، وهدير الحمام ، وسجع البلابل ، وغناء الكروان ، ونرى بهجة الرياض الناضرة ، وفيها الأغصان معتنقة متشابكة ، والزهور تتوجها ، والورد بهيج نضير فى كمائمه ، ونبصر الشمس فى موكب جلالها مشرقة على الكون تهبه الحياة والنشاط ، وجمال منظرها فى الشروق والغروب ، وعمق أثرها فى النفس الرقيقة الحساسة ؛ ويصور لك الليل بنجومه السافرة ، وقمره الهادىء الوديع ، يبعث فى النفس الرضى والاطمئنان.

بيد أنا لا نريد أن نسمع من الأديب وصفا حسيا تلذه الاذان والعيون من غير أن يكون للعاطفة فيه حظ جزيل ، ولكننا نريد أن يتبع الأديب الطبيعة والواقع ؛ فنطلب إليه أن يصف ما يراه بعينه ويحسه بقلبه ، فالمرء حين يرى شروق الشمس مثلا يلذ لعينيه هذا المنظر ، كما يبعث فيه إحساسات شتى تختلط بقلبه ووجدانه ؛ ومن الغريب أن بيئتنا وطبيعة أرضنا كفيلة بأن توحى إلينا أسمى معانى الجمال وأدق آياته ،ولكنك تجد قصوراً واضحا فى أدبنا نحو تصوير تلك الناحية الخصبة ، ولا أدرى لذلك سببا إلا أنه جمود العاطفة التى لم تعتد فى طفولتها حب هذا النوع من الجمال ، ولكم تعجب حين تسمع شعر الغزل الذى يعتبر ـ بحق ـ روحياً أكثر منه حسياً ، فترى الشاعر لا يحدثك عن عواطفه وإحساسه ، ولكنه يمضى فيحدثنا عن محسوساته فحسب ، من غير أن يعرض للعاطفة أو يتكلم عنها ، ولسنا نلومه على أوصافه الحسية ، ولكننا نلومه على توجيه كل عنايته لهذا الضرب من الوصف .

إن الأدب المملوء بالجمال يبعث فى النفس قوة وحباً للحياة وابتساماً لكل ما فيها من سمو وكمال ، ولا يزال النجاح موقوفاً على تلك الذخيرة من السرور بالعمل والابتهاج للكفاح ؛ ولن تجد نبوغا إلا وهو ثمرة شهية لحب الجهاد والانتاج ، ولو أضفنا إلى ذلك ما يسديه أدب الجمال إلى النفوس اليائسة من سكون وطمأنينة وشغف جديد بما فى الوجود من بهجة وجلال ـــ علمنا مقدار الأثر الكبير الذى يخلقه فى النفوس هذا النوع من الأدب وما يملأ به القلب من سرور واطمئنان،وعلمنا أنه سمير البائس الحزين يطيح ببؤسه وحزنه ، وخدين المتبرم بما فى الكون ، الساخط على القدر يزيل عنه تبرمه وسخطه ، وهو فوق ذلك أكبر باعث على نيل النجح والفلاح .

ألا يستجيب الشعراء والكتاب لتلك الدعوة ، فيقبلون على نسج منوال جديد، هو فى الحق خير ذخيرة يقدمونها لأمتهم المتطلعة إلى العلى المتحفزة للوثوب ؟ ولكن قادة الحركة الفكرية فى شغل عن تلك الألوان المشرقة النضرة، لأنهم يظلون باحثين دائما عن أدب الزهد والتشاؤم يملأون به آذان شبابنا حتى قعدت بهم الهمم دون بلوغ الغايات ونيل المآرب ؛ فكل أديب همه أن يسمعنا ما فى الحياة من شقاء وخيبة آمال، حتى ليخيل إليك أن كل ما فى الوجود خيبة وشقاء . وإن أنس فلن أنسى حديثاً كتبه المرحوم الأستاذ «السباعى» فى صفحات «المساء» يقول فيه : « ما افترق صديقان ثم اجتمعا بعد الافتراق إلا تحدثا عما لاقياه فى الحياة من صدمات وعقبات ، وحبوط وإخفاق »، فعجبت لهذا اللون الباهت من الأدب ينشره ناشر على الجمهور ، ليغرس فيهم روح اليأس والخمول ، وكم أجد من المرارة والغضاضة لدى ذكرى تلك الكلمة الأليمة التى كان أولى بصاحبها وأجدر أن يجعلها فى صدره ، لا أن يلوكها بلسانه وقلمه، ومن الخير له ولمثله أن يترك الحديث عن النجاح والحبوط لأولئك الذين لهم من الهمم ما يترفعون به عن التحدث بمثل هذا .

فرحمة بالشباب ، لا تقوموا سداً بينه وبين آماله وجهوده ، بما تبثونه فى صدره من كسل وخمول ، ورحمة بالنشء حين تجعلونه لا يرى الحياة إلا بعين مغيظة محنقة ، وأولى بمن ينصب نفسه داعياً إلى المثل العليا أن يخاطبنا دائما بلسان القوة والعمل ، فاذا نلنا ذلك فلنهنأ بما سنبلغه من رفعة ورقى ، وبما سيصيبه الوطن من تقدم وظفر ، فهيا يا دعاة المثل العليا إلى الطرق السديدة الناجحة، فالتربية الصحيحة المستمدة من الأدب الحى خير غذاء لنشئنا وشبابنا، وحسبنا ما قضيناه من أيام طويلة فى الزهد والتشاؤم !

أحمد أحمد بدوى

قصة مصرية

أزمـــــــــة

بقلم لطفى عثمان

أحس إبراهيم بضيق شديد عند ما استيقظ من النوم فى صباح أحد أيام الصيف ، ونظر حوله فى الغرفة فألفى كل شيء فى مكانه لم يتغير « يالله كيف قضيت ليلة أمس ؟ ! » خاطب نفسه وهو ينزع رباط عنقه، ثم نظر إلى قدميه قائلا: « لقد نمت بالحذاء أيضاً ؟!» وضحك ضحكة عصبية ، وبعد أن أتم خلع ملابسه وحذائه بدرت منه التفاتة إلى النافذة فرأى أشعة الشمس قد تخللتها وسقطت على الحائط المقابل لها ، فعلم أن النهار قد طلع وإن كان لم يعرف الوقت بالضبط ، إذ لم يكن يملك ساعة ، « هذا غير مهم بالنسبة لى ، فليس هناك ما يضطرنى لشراء ساعة » ؛ ثم فرك عينيه وقفز من فراشه فأحس دواراً شديداً وصداعاً مؤلماً، فتمطى فى فتور وكسل ، ونصب قامته المديدة وأشعل سيجارة ؛ ثم خرج إلى سطح المنزل يستنشق هواء الصباح ، وأخذ ينظر إلى الفضاء الواسع بعينيه السوداوين الجميلتين .

سكن إبراهيم هذه الغرفة منذ بضعة شهور ، وهى غرفة صغيرة واطئة السقف ، ليس بها سوى نافذة واحدة صغيرة مستطيلة لا يزيد عرضها عن متر ، مرتفعة قليلا عن الأرض بقضبان من الحديد بعضها غير مستقيم ، وطليت حوائط الغرفة بطلاء أحمر باهت ، جعل منظرها كريهاً يبعث على التقزز والاشمئزاز ، ولا توجد فى هذه الحجرة أمتعة ذات قيمة ، ففى الركن الأيمن — بجوار الباب — الفراش، وهو بلا غطاء ولا ستائر ، وأمامه « كنبة » ممزقة قذرة اشتراها حديثاً وأحد أرجلها مكسور ، وبجوار الفراش خوان عادى غير مدهون « ببوية » يستعمله للكتابة ويأكل عليه ، وفوقه مصباح صغير يستضيء به ، وتلقاء السرير من الناحية الأخرى دولاب قديم قبيح الشكل يضع فيه ملابسه، وعدا هذا وذاك يوجد كرسيان مصنوعان من الخيزران: أحدهما لا يصلح بالمرة ، والثانى قديم لا لون له ... هذه كل محتويات الغرفة وهى تدل على التعس والفاقة .

انزوى إبراهيم فى هذه الغرفة — أو بالأحرى هذا الكهف — منذ شهرين ، وانقبض عن المجتمعات ، وتجنب مقابلة أصدقائه ، وأحس بغضا للناس واشمئزازاً من كل شيء يحيط به ، وحتى صاحبة المنزل لم يرها منذ يومين فقد هددها بأنه سيبحث عن منزل آخر ، ولم يكن

فى حالة تسمح له بتنفيذ تهديده إذ انقطع عن عمله، ولم يكن معه إلا بضع قروش تبلغ الثلاثين أو الأربعين قرشاً .

«ما فائدة كل هذا ، ولماذا أعيش ؟» ، ونفخ دخان السيجارة فى الهواء وقال: «إن الحياة مملة فاترة ، ذلك لأن حياتى كلها لم تكن سعيدة هادئة ، بل حياة شقاء وشر وانحطاط ، ولم أعش على النحو الذى يروقنى ، وهذا لأنى لم أعرف كيف أعيش، ولا لماذا ، أو لمن أعيش؟ آه ! إن السآمة مضنية ، وإذا سئم المرء حياته فلماذا يحتملها ويتشبث بها ؟ إن من الحماقة أن يسأل الانسان لماذا يعيش أو لماذا يموت ؟ إذ ما هى الحياة وما هو الموت ؟ هل فى مقدور أحد أن يعللهما ، أو يدرك كنههما ؟ ! من العبث أن يتعب المرء نفسه فى معرفة سر الحياة والموت ، على أنه مهما يكن من شىء فالحياة لا تستحق كل هذا الجدل ، وهى لا تساوى جناح ذبابة ، وما قيمة أن يعظم الشخص ويضخم فى عين نفسه ويجل شأنه ، ثم يصبح لا شىء ! . . . ذرات فى التراب . . جيفة نتنة ! . . . إذن فكل شىء باطل وعبث، المال ، والمجد ، والشهرة ، والبطولة ، كل هذا كلام فارغ ، ما دامت نهايته الموت ، وخمود الحركة ، وفناء الجسم، لعمرى كيف غالى الناس فى تقدير الحياة وفرحوا بها وبما فيها من مباهج ومسرات ومتع ، ثم إذا دهمهم الموت تأسوا وأسفوا لخروجهم من الحياة صفر الأيدى، وراحوا يمنون النفس بما ينتظرهم من نعيم خالد، وسعادة أبدية فيما بعد الموت، فى الحياة الثانية ! ها ها ، الحياة الثانية ! . . أليس من الخرف أن يفكر المرء فى الحياة الثانية ؟ ! لا لا . . يجب أن ينتهى كل شىء ، لماذا ؟ لست أدرى ، ولكن الذى أدريه هو هذا ، وهذه المرأة — صاحبة المنزل — يجب أن أتخلص منها ، فقد أصبحت أمقتها ، أواه كيف يأتينى الصبر على احتمال سخافتها ومضايقتها ، إنها تهددنى وتصر على امتلاكى إلى النهاية، ولكنى مللتها، أما ابنتها فانى أرثى لها . لعمرى كيف يمنح الله مثل هذه الأم تلك الفتاة ؟ ! . . نعم بالتأكيد سأترك لها المنزل » ، ثم دار بجسمه فوجد نفسه أمام صاحبة المنزل وجهاً لوجه ، فأزاحها بيده عن طريقه ، ودخل غرفته واستلقى على السرير ، وحدق ببصره فى سقف الغرفة ، ودخلت المرأة وراءه — وقد قطبت ما بين عينيها وبدا الغضب على وجهها — قائلة: «هل تريد مفارقتى؟» فأجابها إبراهيم بفتور : «ولم لا ؟» ثم استوى جالساً وقال : « اصغى إلى ، إنى لا أحب أن أعيد على مسمعك ما قد قلت ، يجب أن أترك المنزل ، لم أعد أحتمل مضايقتك، وإنى أقول لك بصراحة إنى مللتك ، سأخرج الآن لأبحث عن غرفة » .

فجلست المرأة على السرير عند قدميه ووضعت يديها فى خاصرتها فوق ردفيها ونظرت إلى الفتى شزراً ، وزمت شفتيها وقالت — وقد جف ريقها من شدة الغضب — : « أنت تعلم يا إبراهيم مبلغ حبى لك ، وأنى لا أقوى على مفارقتك، لماذا تهددنى ؟ كيف ضايقتك ؟ ! » فلازم الفتى

الصمت واستمر يحدق فى السقف وأحس ميلا إلى تقطيب وجهه ، فغاظ صمته المرأة وصاحت « حسنا! أتحسبنى قطة تلهو بها ! إنى لن أتركك تفلت من يدى هـذه — وهزت قبضة يدها فى وجهه — أيدور بخلدك أن خروجك من المنزل سهل ؟ » فهز إبراهيم كتفيه بهيئة مخصوصة وارتسم الغضب على وجهه ، ثم قام إلى المرآة الباهتة ووقف يصلح شعره ، وواصلت المرأة الكلام ، ولمح الشاب شعرة بيضاء فى رأسه فقال : « يالله ! كيف نبتت هذه الشعرة الممقوتة ، هل كبرت ؟ » ، ثم نزعها بقسوة وألقاها على الأرض بحركة عصبية ، وذهب إلى النافذة ففتحها وأطل منها فشاهد المروج الخضراء المحيطة بالمنزل ، ورأى البنات الفلاحات يسرن وهن يغنين أغانى جميلة راقته وطرب لها ، ولكنه صاح متضايقاً : « وهكذا تنتهى الحياة » ، ثم سمع المرأة تقول : « نعم إنك تعبث بى وتخدعنى ، ولم تحبنى لحظة واحدة » فولاها ظهره وعاد إلى النافذة ، وهو يقول : « ما أسخفها وأغباها ! » ، ثم لمح فتاة قروية تسير وحدها ، وكانت جميلة ، ونهداها يهتزان فوق صدرها أثناء سيرها « أى لذة يجدها المرء فى احتضان هذه الفتاة ! » تمتم إبراهيم وقد دهش من نفسه ، وعادت به الذكرى إلى الريف حيث كان يقيم هناك منذ سبع سنوات خلت ، أحب فيها فتاة ريفية جميلة هى مثال الأنوثة الكاملة ، كانت تذهب لمقابلته فى الغيط ، وهناك بين أعواد القصب يضطجعان على الأرض ويحتضنها فينتابه إحساس غريب حينما يلاصق صدره ثدييها البارزين فيحس الدماء تجرى حارة فى عروقه .

وأنبأته يوما أنها حملت ، وأن الوليد لا شك سيأتى مثله جميلا أبيض ، فضحك الفتى من قولها وأشاح بوجهه ، وحدث مرة أن زوجها كاد يفاجؤها وهى فى أحضان الفتى إبراهيم فى بناء فى نهاية الغيط من الناحية الشرقية أقيم فيه وابور للمياه لرى الغيط حين تقل مياه النهر ، وأحسا — وهما فى نشوة الحب — حركة ، ولم يعرف على وجه التحقيق — هل كانت حاسة السمع فيهما قوية للظروف التى كانا فيها ، أم أن الصوت كان محسوساً ؟ — وكان زوجها هو القادم ، فقام الشاب وعدا إلى آخر البناء وقفز من الحائط إلى الخلاء ، ودخل الزوج فى تلك اللحظة يحمل بندقيته — فتصنعت الفتاة النوم ، ولما هزها بطرف البندقية فتحت عينيها ببطء وبدأ الرعب فيهما « من هذا ؟ » ، ثم ابتسمت حين رأته زوجها « أهو أنت ؟ لقد أفزعتنى » وضحكت ضحكة سمعها إبراهيم وهو واقف يراقب ، وهكذا لم تقع المأساة ، وظن زوجها أنها أتت لتستريح فى هذا المكان الهادىء ، ثم اضطجع بجانبها وجذبته إلى صدرها ، وسمع إبراهيم صوت قبلة فابتسم وهز رأسه ومشى ، وشرع يغنى بصوت خافت ، وقد بدت عضلاته القوية فى وهج الشمس .

عادت إلى إبراهيم هذه الذكرى عند ما مرت الفتاة الفلاحة أمام منزله ذاهبة إلى الغيط ، ثم طافت برأسه ذكرى علاقته بابنة صاحبة المنزل ، فقد أحبته مذ سكن هذه الغرفة ، ولكنها لم تبح له بهذا الحب وبذلت جهدها فى إخفائه عنه ، ولم يكن إبراهيم يجهل ذلك ، وإنما لم

يشأ أن توجد بينهما علاقة حب ، لا لسبب ، بل لأنه لم يرد أن يشغل نفسه بحب فتاة، ولم يكن يميل إلى الزواج ، وكانت الفتاة تجيء إليه فى غرفته كل يوم ، ثم تجلس على مقربة من السرير ، وتظل تحدثه وهى تحدق فى وجهه بعينيها النجلاوين ؛ ومن الغريب أن إبراهيم استطاع أن يكبح جماح نفسه ، على حين أنه كان يود لو يضم إلى صدره هذا الجسم الممتلىء صحة وشباباً .. « لا لا . يجب أن أترفع عن هذا » ، كان يردع نفسه كما خطرت برأسه فكرة تقبيلها ، والحقيقة أنه بذل مجهوداً كبيراً ـ دهش له هو نفسه ـ فى ضبط عواطفه؛ ولكن الفتاة ضايقها بروده وجمود قلبه ، وأحست الخجل من نفسها ، وكانت ثمة فكرة تعذبها «هل هو يحبنى ؟» وآلمتها هذه ، حتى إنها بكت فى غرفتها ، ولم تعد تدرى أتغضب أم تفرح ؟ وأخيراً ضعفت أمام قوته ، ولم تعد تحتمل الكتمان ، فاعترفت له بحبها وألقت بجسمها بين أحضانه ، ولاصق صدره صدرها المكتنز ، وأخذت تجهش بالبكاء ، وقد أخفت وجهها بين كفيها ، فلم يعد إبراهيم قادراً على ضبط عواطفه وأحس حرارة جسمها فاحتضنها ورفع رأسها وحدق فى عينيها الدعجاوين وهمس فى أذنها « ما أحلاك ! » ، ثم قبلها قبلة تنبىء عن أجمح عاطفة وأحرها.

وفى الحق أن إبراهيم كان يشتهى الفتاة مذ رآها ، وكان يخدع نفسه حين تظاهر بعدم المبالاة ، وأخذ يلتمس المعاذير لنفسه مردداً « وهل كنت أستطيع أن أرفض حبها ؟ ماذا كان يجب أن أفعل ؟ أأردعها أم أشتمها ؟ أيليق هذا ؟ إنها فتاة بديعة فاتنة . . وماذا يكون لو قبلتها حتى ولو أحببتها ؟ » .

إن الفتاة ظلت تجيء اليه فى غرفته كلما سنحت لها الفرصة ، وكانت تعجب به وترى فى شخصيته شيئاً جديداً بارزاً لم تكن تعهده من قبل ، وهى فتاة هادئة الأخلاق ، وقد نضجت نضوجاً تاماً، وكان يعييك أن ترى فى وجهها الأسمر الهادىء ، وعينيها الصافيتين البراقتين ما يكنه قلبها من الأحساسات المختلفة ؛ وفوق هذا فهى فتاة متصفة بصفات حسنة ، وهى ككل الفتيات ـ أو جلهن ـ اللائى يعشن فى جو من الخيال ... وقد أعارها ابراهيم بعض الكتب الحديثة فشغفت بقراءتها ؛ وكانت تشاركه فى بعض آرائه وأفكاره وتعارضه فى بعضها فيتناقشان ويحتدم الجدل بينهما فتجيء أمها وتجلس قبالة ابنتها وتقول : « إنكما دائما فى شجار ، فيم الجدل والمناقشة ؟ » ، فيضحك الفتى ويقول : إنها تقول إن ثوبها حديث وأنا أصر على أنه قديم.

أما أمها فهى ضخمة الجسم تجاوزت سن الشباب ، ومع ذلك فهى لا تزال تعد نفسها فتية تتدفق صحة وشبابا .. وإن الناظر اليها لأول وهلة ليلاحظ أنها غير جميلة ، ولكن إذا أنعم المرء النظر إليها يجد فى وجهها بعض ميزات تجعلها جميلة ، أو لعل هذه الميزات أثر من آثار جمالها الغابر. وكان يضايقها أحيانا بعض شعرات بيضاء فى رأسها فيفرى الحزن والألم قلبها لشبابها الضائع ، وتروح فى لهجة الأسيف تحدثك عن الذين افتتنوا بها فى أيام صباها ، وكيف أثرت منهم .

ويجب الاعتراف بأنها امرأة ذكية الفؤاد ، وهى من أولئك السيدات اللائى يحرصن على الظهور فى المجتمعات بمظهر المرأة المحتفظة بكرامتها وعزتها .. وعلى العموم فهى امرأة عاقلة تحب أولادها وتحرص على سعادتهم وتحب زوجها ـ وهو قانع منها بهذا الحب ـ ويخضع لها خضوعا غريبا، ولا يجرؤ على مجادلتها فى أمر، فهى الكل فى الكل بالنسبة للجميع.

كان إبراهيم فى حيرة من أمر هذه المرأة «هى تعلم بلا شك أن بينى وبين ابنتها علاقة، فهل هى راضية عن هذه العلاقة ؟ ! » ، لم يكن عنده أقل شك فى ذلك، وإلا فما كان أحراها بأن تمنع ابنتها الذهاب إليه فى غرفته، « ولكن ما النتيجة ؟! هل تبغى أن أتزوج الفتاة ؟! » يكاد إبراهيم يجزم بهذا التعليل ولكنه يذكر حديثا عن الزواج، فقد قالت له يوما « لو أنك موظف فى الحكومة لزوجتك سعاد » ، فينفى عن خاطره هذه الفكرة ..

وإنا لنلاحظ أن صاحبة المنزل كانت تهتم بإبراهيم اهتماما فائقا ، وتعنى بشئونه الخاصة ، وقد مرض مرة فقضت أسبوعا كاملا ساهرة على خدمته والعناية به حتى شفى تماما، ولشد ما كان يضايقه منها هذا الاهتمام ، إنه ليس طفلا وليس فى حاجة إلى عطف أحد ، أو لم يقاطع أمه فراراً من حنانها وشفقتها به ؟ فلماذا إذن يحتمل الآن صاحبة المنزل ؟ ولماذا تتعب نفسها لأجله ؟ ! . . .

فخطر برأسه بغتة خاطر غريب وسأل نفسه « هل هى تحبنى ؟ » ، ولكنه لم يلبث أن طرد هذا الخاطر من رأسه وقال « لو كانت تحبنى فلماذا تظهر بهيئة المرأة الشريفة ؟ »

حار إبراهيم فى فهم كنه هذه المرأة وأغضبه أنه لم يستطع تحليل نفسها وتساءل ـ وقد ضايقه ذلك ـ « ما كنه هذه المرأة ومن أى نوع هى ؟ ! .. »

وعاد إلى المنزل ليلة فرآها واقفة على رأس السلم فابتسمت محيية فرد تحيتها وهم بالذهاب إلى غرفته فنادته « تعال أكمل سهرتك معنا » فأجابها « حسنا ! ماذا أعددت ؟ » ودخل وراءها مبتسما وأخذته إلى « الفراندة » فألفاها قد نصبت خوانا كبيرا ووجد أطباق الحلوى والفاكهة واللحم وزجاجات الخمر وجلس حولها أولادها الثلاثة فبدرت منه آهة دهشة، وقال « ماهذا ؟ أوليمة عرس ؟ ! » ثم خاطب نفسه متحيرا « ترى ما معنى هذا ، ولماذا لم تدع الأولاد ينامون ؟ » وأخذ مجلسه بالقرب من المرأة فابتسمت وقالت « إنك ضيف عزيز ».

وشرب الاثنان زجاجتين من النبيذ ، وأكل الأولاد بعض الحلوى والفاكهة، ثم لم يلبث أن نام أصغرهم وقفا أثره أخوه الأكبر ، وبقيت سعاد فأخذوا يسمرون حتى انتصف الليل ، وكان الليل رائع الجمال والهواء مبترداً قليلا ، والقمر مرسلا نوره الفضى الجميل ، فبدا منظر الأشجار يعلوها ضوء القمر والحديقة والفضاء الواسع فاتناً بديعاً ، وكان السكون مخيما إلا من أصوات الليل الغريبة المبهمة وصوت كروان يغرد من حين لحين ؛ وأتت فراشة كبيرة من

الحديقة وظلت تحوم حول النور المضاء فى «الفراندة» ويصطدم رأسها بالحائط فلا تلبث أن تعود إلى النور، فحدق إبراهيم بعينيه إلى الفراشة وقال بحزن: «وهكذا نحن كالفراشة نحوم حول الحياة فاذا رغبنا فى الابتعاد عنها تجذبنا إليها قوة خفية ..»، واقترحت سعاد «إطفاء النور» فقال إبراهيم «لو أطفانا النور لاختفت الفراشة وغاصت فى أعماق الظلام ولن تعود ثانيا، وكذلك الحياة إذا انطفأت اختفينا فى أعماق العدم ثم لا نعود ثانيا». فقالت الفتاة متحدية ابراهيم: «ولكن لماذا نطفىء حياتنا بأيدينا؟ أليس هذا ظلما شنيعا؟!»، فاكتأب إبراهيم وقال: «لماذا يكون ظلماً؟ إذا مل المرء النور فماذا يفعل من فضلك؟!»، فأجابت «ليس ثم شيء يدعو إلى الملل»، فنظر إبراهيم إلى عينيها ولاحظ لأول مرة أن فى عينيها سحراً فاتنا وأحس قوة تجذبه إليها وأيقن أن هذه الفتاة ليست شقية وأن القدر لا يسعه إلا أن يمنحها السعادة، ثم قام وأطفأ النور واختفى القمر وراء سحابة كثيفة، فبدا الليل أشد ما يكون جهامة ووحشة، وبرزت النجوم وكان بعضها خابيا وبعضها يتوهج نوراً وتألقا، وأخذت المرأة تمزح مع إبراهيم بكيفية أثارت شكوكه نحوها مرة أخرى، وكانت سكرى بحسب الظاهر، وقال إبراهيم لنفسه «يجب أن أحتاط لنفسى، لن أترك لها أقل فرصة، وسأحتفظ بقواى العقلية وبعزيمتى ..»، وكانت المرأة تتكلم كثيراً فى أشياء تافهة وتأتى بحركات سخيفة وتحرك يديها بهيئة مخصوصة فأحس إبراهيم الغيظ واعترته السآمة والضجر، ولم يدر لذلك سبباً، وعزم على القيام فسألته المرأة «أتريد أن تنام هنا؟» فأجابها وهو يتظاهر بالسكر «لا! يجب أن أنام فى غرفتى» وانجابت السحابة فى تلك اللحظة فسطع القمر مرة أخرى أشد ما يكون وضاءة وجمالا، فقام إبراهيم يتمايل فى مشيته، والحقيقة أنه شرب كثيراً، وشعر بتراخ فى مفاصله، وخور فى عضلاته، ولكنه بذل مجهوداً كبيراً لكى يحفظ توازنه.

ودخل ابراهيم غرفته وألقى بجسمه على السرير، وتبعته المرأة بعد قليل، وجلست على «الكنبة»، فقام ابراهيم وجلس بجانبها، وأسندت رأسها إلى الوراء، وأغمضت عينيها فبدت جميلة فاتنة، واحمرت وجنتاها من تأثير الخمر فلم يتمالك الشاب نفسه ومال نحوها قليلا وقبل شفتيها، فأتت بحركة كأنها لا تدرك ما يحدث، وحدقت فى عينيه البراقتين، ثم احتضنته وقبلته وتمتمت «ما أبهاك!» فضمها إلى صدره وأطال التصاقه بها وأظهرت أنها تريد التخلص من بين ذراعيه، وأخيراً سقطت على «الكنبة»، وزاد الفتى الضغط على جسمها فتراخت أعضاؤها وهمست تقول: «اتركنى بربك! ماذا؟ ماذا تريد؟» وأحست حرارة جسمه فأسلمت نفسها لرغبته . . .

كان السكون حولها عميقا والجو معتدلا، وقد اضطجعا على «الكنبة»، وهى نصف عارية، ومضت فترة طويلة، ثم بزغ الفجر وارتفعت أغاريد العصافير، وعلا صوت الديكة، فقامت المرأة وأصلحت ثيابها وشعرها وقبلته، ثم غادرت الغرفة مسرعة . .

***

أدرك إبراهيم أن المرأة كانت تشتهيه وتريده لنفسها ، وهى تعلم أنه شخص ملول ضجر ، فخافت أن يتضايق ويفلت من يدها ، ولذا تركته يلهو بالفتاة ، ولم تترفع عن اللعب بعواطف ابنتها فى سبيل تحقيق غرضها ، وهى امرأة ماكرة،لم تشأ أن ينالها بمحض رغبتها ، وفضلت أن يعتقد أنه نالها اغتصاباً وهى سكرى لا تعى شيئاً مما يحدث ، وصيرته كطفل لا يفهم كيف يحل اللغز ، وقال لنفسه « ما أشد دهاء هذه المرأة ! إنها شخصية عجيبة مضحكة ، لم أر أمتع منها » ولكنه مع ذلك لم يسعه إلا الغضب والاشمئزاز .

وفكر فى سعاد «ماذا أصنع بها؟هل أتزوجها ؟!» إنه يرى أن الزواج أمر مبتذل شنيع ، وكيف يستطيع من كان مثله معكر المزاج أن يحتمل الحياة الزوجية وكل ما فيها من أنواع المضايقات ، « كلا ! إن هذا مستحيل ، أأتزوج وأكون رب أسرة ؟ هذا جنون ، ولماذا أقضى على نفسى ؟ ! » قال ذلك متشنجاً وساوره حزن ممض ، ومن الغريب أنه فى هذه اللحظة أحس مقتاً شديداً نحو صاحبة المنزل،وود لو يصفعها ويبصق فى وجهها إظهاراً لاحتقاره لها، واستحسن هذه الفكرة ، حتى إنه صمم على تنفيذها بيد أنه لم يرتكب هذه الحماقة . .

لم يكن التغيير الذى طرأ على أطوار ابراهيم وأخلاقه، نتيجة مصيبة أو نكبة نزلت به ، ولكنه ـ لأن آراءه تغيرت فى الحياة،وفى الناس ، وفى المرأة،وفى كل شىء فى الأعوام الثلاثة الأخيرة ـ كره الحياة ، وأصبح يراها تافهة ضئيلة لا تستحق مجرد التفكير فيها ، ونشأت فى رأسه فى المدة الأخيرة فكرة .. وصمم على تنفيذها وإن كان لا يجرؤ على تصورها ويراها كأنها مستحيلة التنفيذ ، ومن الغريب فى أمره أنه — برغم بغضه للحياة وآلامه النفسية— كان يحاول أن يبعد هذه الفكرة عن رأسه ، وأن يخدع نفسه بأنه سعيد مغتبط بحياته .

ولم تكن حياته تسير على وتيرة واحدة ، فأحياناً يكون حزيناً منقبض الصدر ، ويدور فى وهمه ان الناس أعداؤه وأنهم يتآمرون عليه ، ويخالجه خوف مبهم ويزيده ثقل إحساسه بمستقبله والطريقة التى يعيش بها اكتئاباً وهماً ، ويشعر بملل الحياة وخلوها من بواعث السلوى والسرور،فيأخذه القلق أيما مأخذ ويثور غضبه لأقل شىء،ويصبح لا يطيق النظر أو التحدث إلى أحد ، ويجنح إلى العزلة والانفراد بنفسه فى غرفته ، وأحياناً يكون فرحاً جذلا متفائلا بالمستقبل مغتبطاً بحياته وبكل ما يحيط به ، وتخطر فى رأسه عدة مشروعات جليلة سوف تدر عليه ربحاً كبيراً ، وأحياناً يصبح شخصاً هادئاً يتقبل الحياة كما هى غير مكترث لشىء،لا يفرح لخير ، ولا يألم لشر ، ولا يغضب ، ولا يثور،وينظر إلى الحياة نظرة المستهتر الهازىء المقتنع بأن كل شىء فى الدنيا باطل ،مآله الفناء والعدم ، وما دام المرء له عمر محدود فلم لا يستمتع بلذات الحياة ومناعمها بقدر ما يستطيع ؟ ومن الغريب أنه لم يكن يتصور لحظة — بالرغم

من كل هذه الحالات النفسية المختلفة والاحساسات المتناقضة التى تنتابه وشعوره بحرج مركزه — أنه مريض ، أو مصاب بعلة ، بل كان يعزو هذه الحالات إلى شدة بؤسه وفاقته .

لهذا آثر ابراهيم الوحدة وانزوى فى هذه الغرفة الحقيرة فى ذلك المنزل ذى الطابقين والحديقة الموحشة الجهمة الممتدة إلى آخر المنزل، وليس فيها سوى بضع شجيرات من الورد وزهر القرنفل وكرمة عنب لا تثمر إلا الحصرم تأكله العصافير . . ولم يعد يقابل أحداً من أصدقائه حتى صديقه القديم فؤاداً الذى أخلص له الحب وأصدقه الوفاء، وكان يفهمه ويألم لحالته النفسية، ولما رآه يتحاشاه ويتجنب مقابلته تركه ولم يشأ مضايقته .

وبلغ الملل والضجر بابراهيم مبلغاً كبيراً ، وبدت له الحياة أحقر وأظلم ، وعجب كيف أمكنه احتمالها وساءت نظرته للناس ، وأساء الظن بكل شىء ، وطغت عليه أفكار سوداء شوشت فكره وزادت نفسه اسوداداً ، وامحت من قلبه العاطفة الانسانية وتجرد من كل حنان وحب وضعف إيمانه بالله ؛ وكان يعيش بكامل حريته الفكرية ، ويعتقد أنه شخص غير عادى، شخص كامل لا يتقيد بما يتقيد به الناس، ويسخر من المعتقدات العتيقة والمثل العليا التى يراها الناس فى الأديان ، وخاطب نفسه :

« ما أحقر كل هذا ، هل فى الدنيا خير وشر ، وفضيلة ورذيلة ؟ ! . . إن مقياس الخير والشر والفضيلة والرذيلة كمقياس القبيح والجمال بالضبط، فما يعتبره بعض الناس قبيحاً يراه غيرهم المثل الأعلى للجمال ؛ إن هذا واضح ، ومن البداهة بحيث لا يحتاج إلى تفسير ، فأنا مقتنع بوجود الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، ولكن لماذا أتقيد بالناس وبآرائهم وأسير على منوالهم ؟ وهل من الضرورى أن ما يعتبره الناس خيراً أعتبره أنا خيراً كذلك ؟ ! . إن لى رأياً خاصاً فى الخير والشر ، وأفعل ما أحبه بغض النظر عن كونه خيراً أو شراً ، أليس هذا مضحكاً ، لماذا أتكلم هكذا ؟! » ، وخطر له بغتة خاطر أزعجه « هل أنا مجنون ؟! » لم يهتد ابراهيم إلى جواب يريح نفسه المعذبة وآلمه هذا فقال: « لماذا أفكر فى هذه الأشياء التافهة؟ يجب أن أضع حداً لكل هذا » وعذبته فكرة الجنون عذاباً مراً وداخله فزع وهم ، ثم صاح فجأة :

« يجب ألا أعتمد إلا على نفسى ، إن الحياة جهاد وكفاح ، والويل لمن يفشل فسيسقط فى الميدان خائر القوى ، ومن ثم يداس بالأقدام ، وهكذا تنتهى حياته المرة ويغوص فى هاوية العدم ؛ وهب أن هناك حياة أخرى ، وهناك قصاصاً فأية قيمة لهذا ، وما الذى تجنيه الالهة من تعذيب أناس ارتكبوا جرائم وإمتاع غيرهم عاشوا أعفة فضلاء ؟ ! هب كذلك أن العالم قد فنى ودكت الجبال دكا ، وانطبقت السماء على الأرض ، وأتت الساعة التى لا ريب فيها ، فهل تبقى الالهة بلا عمل ؟ أم تنوى أن تخلق دنيا جديدة فى شكل آخر وبطريقة مبتكرة ، فتطلع الشمس مثلا من الغرب وتغرب فى الشرق ، وتبسط السماء وترفع

الأرض ؟ ويمشى الانسان على أربع والحيوان على اثنتين ، ويكون له أربع عيون وأنف كأنف سيرانودي برجراك ؟ ! لعمرى لست أرى كل هذا إلا سخفا وهراء ، إما أن الدنيا ستبقى كما هى الآن ، يموت أناس وغيرهم يجيئون ، وإما أنها تفنى وحينئذ يفنى كل شىء ولا تقوم لها قائمة . . » .

عاد ابراهيم إلى وجومه وتفكيره ، وغرق فى بحار من التأملات ، وجعل يسير فى الغرفة جيئة وذهوبا ويداه مشبكتان وراء ظهره « إذا أمكننى أن أعد نجوم السماء عرفت سر الحياة » خاطب نفسه وفتح فاه الكبير وابتسم ابتسامة مرة لو رأتها سعاد لفزعت وهربت ، ووقع نظره مرة أو مرتين على المرآة — صاحبة المنزل — فلاحظ أنها تتبع حركاته بنظراتها ، فلم يكترث لها ، وعاد يطل من النافذة .

لم يستطع ابراهيم إدراك علة آلامه وهمومه ، ولم يكن لها فى الحقيقة سبب ظاهر ، وأحس مرارة الألم لمجرد تصوره أنه شخص تافه لا خير فى وجوده بالمرة ، وشعر — لأول مرة — بالحنين إلى أمه التى قاطعها منذ عام ، وتاق إلى رؤيتها والارتماء بين أحضانها ، كما كان يفعل وهو صبى ، وملأه هذا الاحساس الرقيق شعوراً بالرضى والارتياح ، وبدا فى عينيه الساكنتين بريق لطيف أكسب وجهه الأبيض وضاءة ، وارتعشت شفته السفلى قليلا ، وارتسمت على فمه ابتسامة هادئة صادقة ، وتخيل أمه فاتحة ذراعيها كأنها تقول : تعال يا بنى ! فليس لك فى هذه الدنيا صدر ترتمى عليه فى ساعة محنتك وآلامك غير صدرى ، فتعال نعش معاً ودع الوفاق يسود بيننا وكن شفيقا بى كما كنت وأنت طفل ساذج .

أشرق وجه ابراهيم لمرور أمه فى خاطره وفكر فى الذهاب إليها ، وكان بطبيعته رقيق القلب ، دقيق الحس ، نبيل العواطف ، وكانت أمه ترى فيه — منذ طفولته — شخصا غريبا ، فلما أن قاطعها وذهب يعيش وحده آلمها ذلك فى بادىء الأمر ، ولكنها لم تشأ أن تضايقه ، وداخلها إحساس غريب بأن ابنها جدير بالاشفاق عليه بالنظر إلى حالته وخصاله التى تعدها — بحكم البيئة التى نشأت فيها — نقائص لا يجمل بالرجل المهذب أن يتصف بها ، وكان أشد ما يكربها وينغص عيشها ضعف إيمانه بالله ، ولما كان طفلا صغيراً كانت تبذل جهدها فى حمله على الصلاة والصوم وقراءة القرآن ، فكان يتظاهر — خوفا منها — بالصوم بينما هو يأكل فى حجرته ، أما الصلاة فكانت من أشق الأمور عليه ، وكان يتكلفها ، وأحيانا يصلى دون أن يتوضأ ، أو يقرأ شيئاً ، ويهمهم بصوت خافت كأنه يقرأ ، ويرفع صوته « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم لا تسمع والدته شيئاً بعد ذلك ؛ أما القرآن فكان — لسبب ما — يلذ له قراءته ، وأحيانا يستيقظ فى الفجر ويجلس ليقرأ سورة « الكهف » ويفعل ذلك دون غرض ، فتصحو أمه وتتيه بابنها ويداخلها الفرح ، ثم تقوم وتقبله وتدعو الله أن يجعل ابنها من الصالحين —

فيغتبط ابراهيم ، لا لأنها دعت له ، ولكن لأنه فعل شيئاً راقها وأعجبها .

ولما كبر ترك الصلاة والصوم واستكان إلى التصنع والتظاهر بالايمان ، ورأى أن كل هذا محض هراء لا طائل تحته .

ذكر ابراهيم كل هذا فضحك ساخراً من أعماق قلبه واستحسن فكرة الذهاب إلى أمه وعاوده الاكتئاب فقال : « لماذا أنا حزين مكروب ؟ إننى لا أزال فى بداءة العمر وميعة الشباب ، وأمامى الحياة قوية زاخرة ، وضوء الشمس ونجوم الليل الوضاءة، وكل ما فى الحياة من مباهج ومسرات تثير فى النفس اللذة والحب ، وعدا هذا فهنا أم وابنتها تحبانى فضلا عن بضع فتيات حقيرات عرفتهن فى الطريق ، فماذا طرأ على وغير حياتى وجعلها قاتمة سوداء ؟! » .

مرت كل هذه الأفكار بخاطر ابراهيم فى سرعة، وأخيراً مل التطلع من النافذة وأخذ منه التعب مأخذاً كبيراً وأحس كرباً شديداً فعاد إلى حيث كانت المرأة جالسة فهالها شحوب وجهه وسألته « ما بك ؟ » فلم يجب واستلقى على فراشه وأدار وجهه إلى الحائط فاستقر نظره على ورقة حمراء بها بعض رسوم فأخذ يتأملها ، وساد فى الغرفة سكون ممل ، ولم تجد المرأة موضوعاً تتكلم فيه فعولت على الانصراف وقالت وهى تغادر الغرفة « سأعود بعد قليل » .

ومضت فترة قصيرة ، ثم سمع نقراً على الباب ، وفتح الباب بهدوء ودخلت فريدة الخادم قائلة : « ألا تزال نائماً ؟ قم فان الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، ما هذا ؟ أليس لك عمل ؟ لقد أحضرت لك الشاى وقطعة من الجبن ورغيفاً ، هل تأكل ؟ ! »

فدفع ابراهيم الطعام بيده ولم يحس ميلا للأكل مع أنه لم يأكل منذ البارحة وعاف النظر حتى إلى الطعام .

« ضعيه على المائدة » قال ذلك بصوت هادىء ، وهو يحدق فى عينى الخادمة بطريقة أرعبتها، وقد علم عنها أنها ابنة ضابط كبير أحبت فتى وعدها بالزواج، وقد حملت منه ووضعت طفلا وخشيت الفضيحة فألقته فى مرحاض ، ولكن الجريمة اكتشفت وقبض عليها وزج بها فى السجن ، ولما خرجت أنكرها أهلها وهجرها الفتى فاشتغلت فى هذا المنزل ، وهى فتاة طيبة بلهاء يخالها المرء أنها أصغر من سنها إذ لم تكن قد بلغت التاسعة عشرة ، ولكنها كانت تبدو طفلة صغيرة ، دقيقة الأنف مستطيلة الذقن منفرجة الأسنان قليلا ، فى خدها الأيمن أثر جرح قديم ، نحيفة جداً ، وفى عينيها الصافيتين بريق ينبىء عن سذاجتها ونقاء سريرتها ، وعلى العموم فلا يقال عنها جميلة .

« هذه الفتاة ليست أسعد منى ، وقد خدعها رجل نذل وغدر بها ، ثم تركها ولم يبال بالدموع التى سكبتها حين فقدت طهارتها ، إن هؤلاء الرجال من أحط أنواع الأنذال فى الدنيا ،

وحدج الفتاة بنظره متألماً ، وقد أدركه هم شديد لم يدر سببه،وقال لنفسه « إن هذه الفتاة ليس لهـا فن للدعارة ، فماذا تنتظر ؟ ! » وسألها فجأة « لماذا تعيشين ؟ إنك لم تنالى من الحياة إلا العار ، ولم يمنحك الله شيئاً ؟ »

فدهشت الفتاة وارتبكت وأجابته وهى ترتجف من فرعها إلى قدمها .

« ولـكن الله موجود وعادل » .

« وهل تعتقدين بالله ؟ »

«أعتقد» ، وتجهم وجهها الصغير الأبيض ، وشاع الألم والحزن فى نفسها وسمعت ابراهيم يقول « إذن خير لك أن تنتظرى ألف عام حتى ينالك عدل الله! » ، ثم قفز من فراشه ووقف أمام الفتاة بحيث لامس جسمه جسمها فارتعدت وتراجعت قليلا فأمسك بذراعيها وقبل عينيها .

فسألته الفتاة وهى دهشة « ما هذا ! ماذا تصنع ؟ ! » .

« إنك بائسة مثلى » ثم تركها واضطجع ثانيا وغرق فى بحار من التفـكير .

فقالت الفتاة وهى مرتبكة: «إنك شخص مخيف غريب الأطوار» فنظر إلى عينيها الحزينتين فغادرت الغرفة وهى وجلة دهشة .

وحالما خرجت فريدة قام ابراهيم وطفق يأكل فشرب فنجانا من الشاى وأكل قطعة من الخبز دون أية شهية وكأنه يأكل بطريقة ميكانيكية ، وشعر بتحسن فى حالته ، ولما فرغ من هذه الأكلة البسيطة اضطجع على السرير وأخفى وجهه فى الوسادة وبقى كـذلك صامتا شارد الفكر يحاول أن يجمع أفكاره ويحصرها فى شىء واحد ، ثم سمع وقع أقدام فتحقق أن القادم صاحبة المنزل إذ سمع صوتها .

سألته المرأة وهى داخلة الغرفة بصوت خيل إليه أنه كصوت الساقيـة التى تدور دون أن تخرج ماء: « ألا تزال سابحا فى أفكارك ؟ » .

« ماذا تريدين ياسيدتى ؟ » وجلس على السرير وواصل كلامه « إننى قلت لك ألف مرة يجب أن أترك المنزل ، إن ظروفى الخاصـة تضطرنى إلى ذلك ، وسنـكون أصدقاء بلا شك ، سأرحل حالا، إن كلينا لم يخسر شيئا ، ففيم الالحاح ؟ إنى أعلم أنك تحبيننى ، ولـكنى أصرح لك أن حبك يضايقنى ، هل تظنين أنى أقضى حياتى فى منزلك ؟ هذا محال ، هذا محال ، أفاهمة أنت ؟ هذا محال » نطق ابراهيم الـكلمة الأخيرة « هذا محال » بصوت عال ، وبلغ به الهياج مبلغا كبيراً ، واشتد به الغضب شيئا فشيئا ، واستمر يتكلم باذلا جهده فى تفريج كربه « إنى ياسيدتى شاب فقير ومريض ، وعدا هذا فأنا أفـكر فى أمور أخرى أجل من التفـكير فيك ، لماذا تنظرين إلى هكذا ؟ لا تعتبرينى سىء الخلق ، إنى لا أخشاك ولا أريد أن يهتم بى أحد ،

لقد بلغت السابعة والعشرين سنة، ولم أنل من الحياة شيئاً، فماذا أرجو بعد ذلك وماذا آمل ؟!. دعيني ياسيدتي، ماذا تبغين مني ؟ إن نفسي ثائرة متمردة تريد حرية أوسع من حرية نفوسكم وتريد أن تكسر قيودها التي كانت ترسف في أغلالها مع نفوسكم ».

سكت إبراهيم وقد جف ريقه من شدة الغضب، وأخذ صدره يعلو ويهبط وهو يلهث كأنه عدا مسافة عشرة أميال، واتسعت عيناه وخيل إلى المرأة أنهما كبرتا عما كانتا عليه، وخرج الزبد من فمه وكان يرتجف كالمحموم، فآلمتها حالته وحنت عليه وسألته: «أمريض أنت يا ابراهيم !؟ إنك تهذى ».

وسأل الشاب نفسه «هل نجحت في تمثيل الدور ؟ أواه ما أشد مقتي لهذه المرأة! ».

وأغمض عينيه، وبعد هنيهة أحست المرأة أنه نام فقامت وهي ترمقه بعطف وحب وحنان، واغرورقت عيناها بالدموع وهزت كتفيها « يجب أن أتركه الان، لا فائدة من الكلام، إنه غاضب وربما كان مريضاً »، ثم أدارت ظهرها وخرجت من الغرفة.

* * *

لم يعرف ابراهيم — على وجه التحقيق — مقدار الوقت الذي قضاه نائماً، واستيقظ متوعكا مصدع الرأس فألفى كل شيء حوله هادئاً ساكناً « ماذا حدث لي ؟ »، ثم قام وأطل من النافذة فرأى الظلام حالكا وأمكنه أن يرى — على الرغم من شدة الظلام — أشباحا سوداء بعيدة فعلم أنها أطراف أشجار الصفصاف القائمة على شاطىء نهر صغير على مقربة من المنزل، وسمع فجأة نعيق بوم يعكر صفو الهدوء الشامل، وشاهد ضوء مصابيح خابية.

لم يعلم الوقت بالضبط، ولكن ما حوله من سكون وظلام ينبئانه أن الليل انتصف أو أوشك على الانتهاء « لا يهمني هذا وسأخرج، نعم بالتأكيد سأخرج، ولكن أين أذهب؟ » الحقيقة أنه لم يكن مصمما على شيء، ولكنه لبس ملابسه ووقف على رأس السلم وأخذ يستمع فلم يسمع صوتا ولا حركة فأيقن أنهم نائمون، ثم مشى على أطراف قدميه وفتح الباب بهدوء فلفح وجهه هواء الليل، وكان كله حرارة وسجواً، وسار على غير هدى، ومن المحقق أنه لم يكن في حالته الطبيعية، فلم يساوره الخوف أثناء سيره في مكان موحش يكتنفه الظلام، ووصل إلى ساقية مهجورة تبعد عن المنزل بثلاثمائة أو أربعمائة خطوة فجلس على حافتها منهوك القوى وأخفى وجهه بيديه.

« هل يجب أن أحيا؟ هل الانتحار جبن ؟ كلا، إن حب الحياة غريزة في كل إنسان، والشجاع من تمكنه التغلب على هذه الغريزة؛ ما أفظع هذا ! أأعيش للتساؤل عن مستقبلي، وما ينبغي لي أن اصنعه ! ؟ آه ! إن المسألة ليست مسألة موت أو حياة، بل هي مسألة مبدأ، أو فكرة، أو غاية أعيش لأجلها وأتخطى كل شيء في سبيلها، ولكن ما هذه الغاية التي أسعى إليها؟ !.

لا لا ! إن هذا سخافة مطبقة ، إننى شخص حقير ضئيل وسوف لا يخسر العالم بموتى، وهبى عشت ونلت الشهرة وبلغ احترام الناس لى مبلغا كبيراً فماذا يجدى على كل هذا ؟! . إننى مائت لا محالة ، إن لم يكن اليوم فغداً ، وسأدفن فى الأرض الباردة ويتعفن جسدى ويبقى كل شىء فى العالم كما هو، ويمر الناس على القبر الذى يضم جسدى البشع وعظامى التى سينخرها الدود».

ثم ذكر فريدة فجأة فسرت فى جسمه رعدة باردة وقال: «أواه... إنها فتاة بائسة محرومة فقدت كل شىء ، ومع ذلك فهى تعيش وتأمل ، ولعلها تنتظر معجزة من السماء تعيد إليها طهارتها ، إن هناك مئات بل آلافا مثلها يملأ الايمان بالعدالة السماوية جوانحهن ، أما أنا . . ماذا ؟ كلام فارغ . . . » .

أخذ ابراهيم يخاطب نفسه ويرد على هواجسه دون أن يجرؤ على رفع بصره « لخير لى أن أموت » قال ذلك كأنه يجاوب عن سؤال شخص ثان يسأله « ماذا تنوى أن تفعل ؟ » ، ثم حانت منه التفاتة إلى الساقية وحدق فى أعماقها فلم ير شيئاً لشدة الظلام .

***

صحا ابراهيم فى اليوم التالى متأخراً ، ولما فتح عينيه وجد صاحبة المنزل واقفة تنظر إليه وقد اجتهدت ألا تحدث حركة خوفاً من إقلاقه ، فأغمض عينيه ثانيا وتظاهر بالنوم، وظلت المرأة واقفة تنظر إليه ، ولم يضايقه فى هذه المرة وقوفها ، وكان متعباً من الأفكار التى ساورته فى الليلة السابقة ، وشعر أنه قاسى مجهودا ذهنيا كبيرا ، ولكن أعصابه هدأت تماما وأحس راحة نفسية .

وضرب السكون أطنابه فى الغرفة ولم يسمع سوى طنين نحلة تطير واصطدام رأسها وقتئذاك بزجاج النافذة ، ففتح عينيه وقال :« وماذا بعد ؟ » فضحكت المرأة وقالت : « هل كنت تتصنع النوم ؟ إنك عدت متأخراً أمس ، فأين كنت ؟ ! » فأجابها الفتى مبتسما « ذهبت إلى الساقية » فريعت المرأة لدى سماعها كلمة «الساقية» ودار برأسها ـ فى سرعة البرق ـ خاطر أزعجها وأمضها ، فخفق قلبها وغاضت الابتسامة من شفتيها وسألته «وماذا صنعت هناك ؟» فلم تفارق الابتسامة شفتيه ، وقال بصوت هادىء متزن « كنت أفكر» فقالت: « وماذا أجدى عليك التفكير ؟ » فصمت وساد السكون مرة أخرى وظل طنين النحلة يدوى فى الغرفة ، فانحنت عليه وقبلت شفتيه فأمسك يدها وجذبها إليه ثم قبلها ، وقد فعل ذلك بلا شعور ولا إدراك وكأنه يؤدى عملا طلب إليه إنجازه ، ثم هوى بذراعيه إلى جانبيه ونظر إلى السقف بتحديق وأصبح كشخص حكم عليه بالموت ، ثم صدر أمر العفو عنه ، وقال كمن يحلم .

« ما أشقى الانسان ! ! ! » .

لطفى عثمان

طرق التناســـــــــــاسل المختلفة

بقلم الاستاذ محمد محمد السيد
مدرس العلوم بالمدارس الأميرية

التناسل اللاجنسى ـ التناسل الجنسى ـ حيوانات تتناسل جنسياً ولاجنسياً

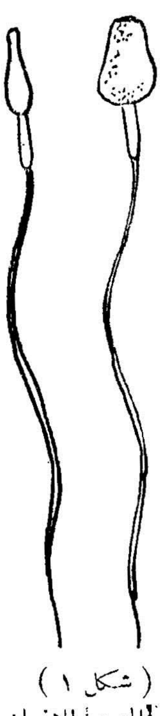
صار من الأشياء العادية التى لا تستلفت انتباهنا أن نرى الأرنب الأنثى ـ مثلا ـ تضع خمسة صغار أو ستة ، وما استهوتنا غريزة حب الاستطلاع للبحث عن كيف تم ذلك ؟

تبدأ مقدمات هذه العملية قبل الوضع بأسابيع عند ما يلقح ذكر الأرنب الأنثى ، فتتحد بويضة صغيرة فى الأنثى بخلية صغيرة جداً من الذكر تصل إليها من سائل التلقيح ، ويتكون من اتحادهما معاً خلية واحدة كاملة ملقحة ، تتغذى وتنقسم ، وتنمو مكونة الجنين .

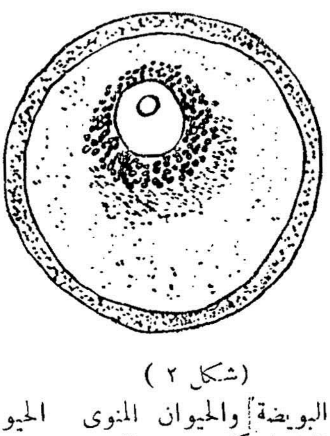
فهنا يتم التناسل بواسطة اتحاد خليتين مختلفتين شكلا وحجماً : واحدة من الذكر ، وتعرف بالحيوان المنوى (شكل ١) تتكون فى الخصية ؛ والثانية من الأنثى ، وتعرف بالبويضة (شكل ٢) ، تنفصل من أنسجة خاصة فى الأنثى تعرف بالمبيض ، وباندماج هاتين الخليتين معاً ، وبالغـذاء والوسط الملائمين يكونان حيواناً شبيهاً بالوالدين،وتعرف هذه الطريقةفى التناسل بـ « التناسل الجنسى » تمييزاً لها عن طريقة أخرى تختلف عنها ، تعرف بـ « التناسل اللاجنسى » .

التناسل اللاجنسى : يتم بانفصال أجزاء من الحيوان نفسه ، تنمو وتصير حيوانا كاملا بدون أن تتحد بأجزاء أخرى (بخلاف ما يحدث فى التناسل الجنسى) ، ويمكننا أن نقسم التناسل اللاجنسى إلى قسمين : (١) تناسل بالانقسام ، (٢) تناسل بالأزرار .

(١) التناسل بالانقسام : يحدث ذلك فى الـكائنات الدنيئة كالحيوانات الوحيدة الخلية ، وسنأخذ الأميبا مثالا لذلك :



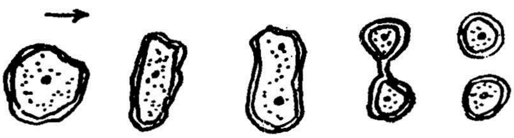
(شكل ١)
الحيوان المنوى للانسان فى وضعين مختلفين مكبراً جداً



(شكل ٢)
البويضة والحيوان المنوى للانسان مكبرين بنفس النسبة

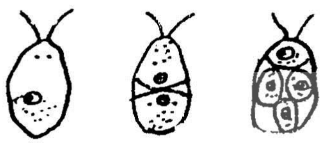
الأميبا كائن صغير يوجد فى البرك العذبة ، وهو صغير ، ولا يكاد يرى بالعين المجردة ، ويمكن رؤيته تحت الميكرسكوب .

يتغذى هذا الحيوان بجزئيات الغـذاء الصغيرة فى الماء وينمو ، فاذا ما وصل إلى حد معين من النمو ، نرى النواة تنقسم إلى قسمين ، ثم تنقسم البروتوبلاسم إلى نصفين ، ينفصل كل منهما بنواة ، وتتصل الخليتان بجزء قليل من البروتوبلاسم يضيق شيئا فشيئا حتى ينقطع ،وتنفصل الخليتان كحيوانين كاملين (شكل ٣) ، وتعرف هذه الطريقة فى التناسل بـ « الانقسام الثنائى » .



(شكل ٣) شكل تمثيلى لانقسام الاميبا

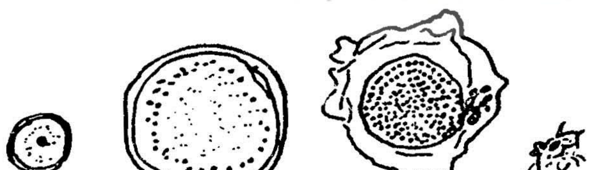
وفى بعض الحيوانات لا ينفصل الجزءان إلا عند ما يتكرر الانقسام ، ويسمى ذلك بـ « الانقسام المتكرر » ،كما يحدث فى الحيوان المعروف باسم « البوليتوما » (شكل ٤)، وهو حيوان ميكرسكوبى سوطى ، له سوطان .



(شكل ٤)
بوليتوما أوفلا (بروتوزوى سوطى)
ثلاثة أدوار فى الانقسام العادى

يتم التوالد فى هذا الحيوان بانقسام النواة إلى قسمين ، ثم يتكرر الانقسام فتصير أربع نوى مكونة أربعة حيوانات داخل الحيوان الأصلى ، تنفصل عن بعضها ، وتصير أربعة حيوانات مستقلة .

وقد يؤدى الانقسام المتكرر فى بعض الحيوانات إلى تكون ما يعرف بالبـذور داخل الحيوان الأصلى ، كما يحدث فى بعض أنواع الأميبا (شكل ٥) ، فيتكون حول الحيوان غلاف ، ثم تنقسم النواة إلى عدد عظيم من النوى (٦٠٠ تقريبا) ، وهـذه تمر إلى السطح الخارجى للسيتوبلاسما ،



بذيرة مكبرة : تكون بذيرات وانفصالها : النواة مقسمة : اميبا مغلفة
(شكل ٥)
الاميبا تتناسل بالانقسام المتكرر مكونة بذيرات

حيث يتجمع حول كل نواة مقدار منه ، ثم يذوب الغلاف الخارجى وتخرج كائنات صغيرة تعرف بـ « البذيرات » ، لها أرجل كاذبة صغيرة كأرجل الأميبا الكاملة ، ويبقى جزء من السيتوبلاسما غير مستعمل ، وتنمو البذيرات حتى تصير كل منها أميبا كاملة .

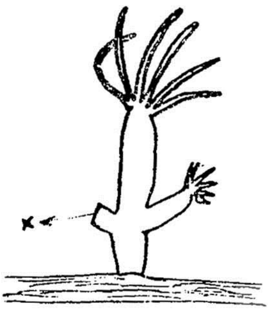
وفى بعض أنواع الأميبا تتكون البذيرات بدون تغلف الحيوان الأصلى .

يمكننا إذن أن نميز التناسل بالانقسام الثنائى عن التناسل بالانقسام المتكرر عن التناسل بتكوين البذيرات .

(ب) التناسل بالأزرار : إن بعض الحيوانات ـ كالدودة الأرضية، ونجم البحر ـ إذا قطعت

إلى أجزاء ، نما كل جزء منها، فى الظروف الملائمة، إلى أن يصير حيوانا كاملا يشبه الأصل الذى انفصل منه، ولكن ذلك قاصر فقط على الحيوانات التى نجد خلاياها المكونة لها غير متخصصة تماما.

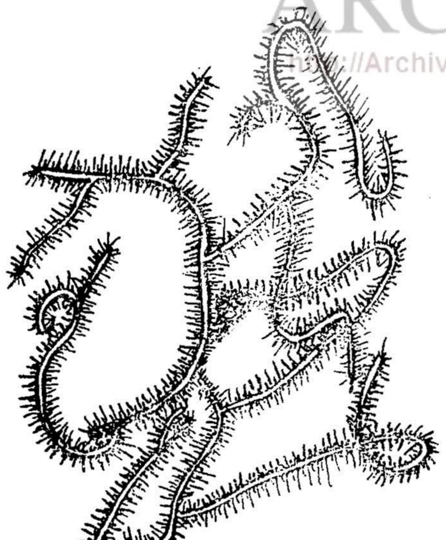
والتناسل بالأزرار يتم بانتفاخ فى أجزاء من الحيوان الأصلى ، ويظل هذا الانتفاخ ينمو حتى يصير حيوانا كاملا كالأم ، وقد يظل لاصقاً بها أو ينفصل عنها ليعيش مستقلا، ويحدث هذا فى حيوانات دنيئة : كالهدرا والدجان ، وفى بعض الديدان ؛ وقد نجده فى حيوانات أرقى من قبيل ذوات النخاع الشوكى .



(شكل ٦)
الهدرا عالقة بالحشائش المائية
* زر يتكون ليكون هدرا كاملة

ففى الهدرا (شكل ٦) - مثلا - يبدأ التناسل اللاجنسى بتكون أزرار كثيرة فى وقت واحد ، حادثة عن انتفاخ فى الطبقة الخارجية من خلايا الجسم، ثم تنمو أذرع لتلك الأزرار، فتصير كل منها حيوانا كاملا يشبه أمه ، وقد ينفصل عنها ليعيش فى مكان آخر مستقلا ، وقد يتوالد الابن مكونا زراً آخر أو أكثر قبل أن ينفصل عن أمه .

ومن أمثلة الديدان التى تتوالد بالأزرار الدودة البحرية المعروفة باسم « سيلس راموزا » (شكل ٧) ، فإن الأزرار النامية تظل متشعبة ، وتنبت أفراداً جديدة ، وقد تنفصل أو تظل عالقة بالحيوان الأصلى حتى يصير الشكل العام معقداً شبيها بالشبكة .



(شكل ٧) سيلس راموزا (دودة بحرية)

التناسل الجنسى : فى التناسل الجنسى لا يقتصر الأمر على انفصال جزء من الحيوان ليصير بنموه حيوانا كاملا ، بل لا بد من اتحاد هذا الجزء المنفصل بجزء آخر ، يكون غالباً من حيوان آخر ، حتى ينتج اتحادهما حيواناً جديداً .

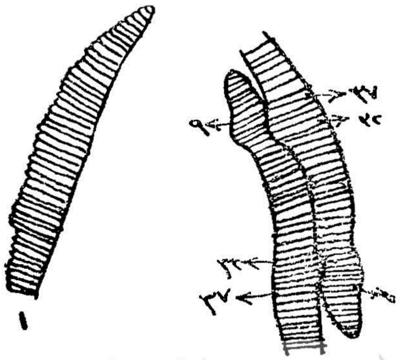
فهنا نجد عنصرين مختلفين ، ينفصل أحدهما من مبيض الأنثى ، وهو البويض ، وينفصل الآخر من خصية الذكر ، وهو الحيوان المنوى . ويتحدان معاً ، ويكونان بويضة ملقحة تسمى « الزيجوت » ، وهذه تنمو فى الوسط المناسب حتى تكون حيوانا كاملا .

١ - إن التناسل الجنسى يستلزم وجود حيوانين مختلفين يفرز أحدهما البويضات، ويفرز الثانى الحيوانات المنوية، وهذا ما نجده فى كل الحيوانات الراقية كالأرانب . فالفرد الواحد

لا ينتج إلا نوعا واحداً من جراثيم التلقيح

٢ ـ ولكن فى بعض الحيوانات الدنيا نجد ظاهرة تعرف بالتخنث، وهى إفراز البويضات والحيوانات المنوية بواسطة نفس الحيوان . فالدودة الأرضية تفرز بويضات وحيوانات منوية أى إن بها أنسجة ذكرية لافراز جراثيم التلقيح الذكرية ، وأنسجة أنثية لافراز جراثيم التلقيح الأنثية .

لو فحصنا جسم الدودة الأرضية (انظر شكل ٨) المذكورة ، لوجدناه مكونا من نحو ١٥٠ حلقة ، وتوجد أعضاء التناسل الذكرية والأنثية منفصلة عن بعضها فى حلقات قريبة من الرأس ، والحيوان لا يلقح نفسه ، بل لا بد من أن يلقح بواسطة حيوان آخر ، وعند التلقيح ـ عادة عند ما يكون الجو رطبا حاراً ـ يتم التزاوج بين دودتين أرضيتين ، فيمدان نفسيهما من مخابئهما ، ويتلاصقان بأسطحهما البطنية : رأس الواحدة فى اتجاه مخالف لرأس الأخرى ، والجسمان متلاصقان بمادة لزجة تفرز لهذا الغرض ، ويمر السائل المنوى من كل من الدودتين ـ خلال شق ـ إلى الأخرى حيث يلقح بويضاتها .



(شكل ٨)
(١) الدودة الارضية ـ بعض حلقاتها الكثيرة
(٢) دودتان أرضيتان في حالة تزاوج

ومثل هذا يوجد أيضا فى بعض القواقع والأصداف وفى الاسفنج ، فيفرز الحيوان فى وقت ما ـ من أنسجة خاصة ـ بويضات ، ثم يفرز فى وقت آخر ـ ومن أنسجة أخرى ـ حيوانات منوية تمر إلى الماء فتحملها التيارات البحرية ، فاذا التقت ببويضات حيوان آخر ـ من نفس النوع طبعاً ـ لقحتها .

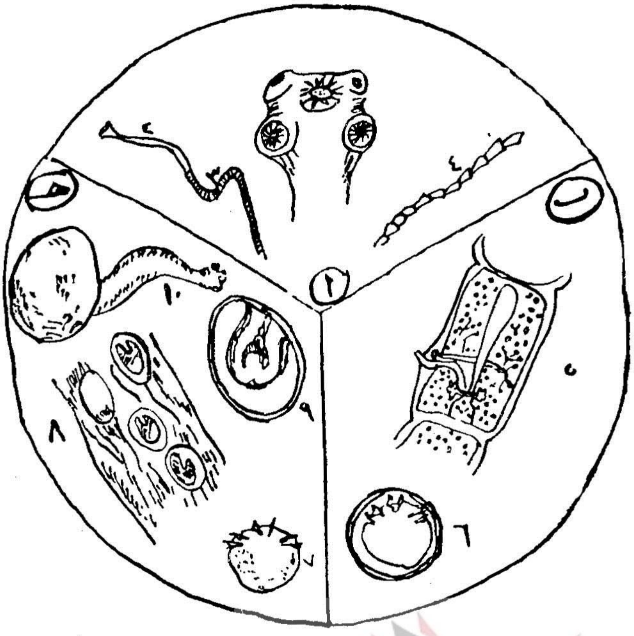
ويقرر داروين فى كتابه « أصل الأنواع » بأنه: لم يعثر على حيوان يلقح نفسه باستمرار ، فدائما يوجد تلقيح متبادل ، وفى حالة الحيوانات البحرية كالمحار وغيرها ، نجد التيارات المائية من أهم العوامل الوسيطة فى حمل جراثيم التلقيح من حيوان لآخر .

وليس معنى ذلك أن التلقيح الذاتى لا يتم بتاتا ، بل بالعكس نجد حيوانات يرجح حدوث التلقيح الذاتى فيها ، فجسم الدودة الوحيدة (شكل ٩) يتكون من عدد كبير من الحلقات ، ورأس ذى خطاطيف تثبت بها نفسها فى أمعاء مضيفها ـ إذ هى من الديدان الطفيلية ـ وفى هذه الدودة لا نجد جنسا منفصلا ، فلا توجد دودة ذكراً وأخرى أنثى ، بل نجد فى كل من الحلقات التامة النمو ـ وهى البعيدة عن الرأس ـ أعضاء تذكير وأعضاء تأنيث كاملة ، وكل حلقة تنتج بويضاتها وتلقحها بنفسها .

والدودة الكبدية أيضا (شكل ١٠) من الديدان الخنثى، فهي تحتوى على أعضاء تذكير وتأنيث معا، ومن المحتمل جداً أن يكون التلقيح في هذه الدودة ذاتياً داخل جسم المضيف.

٣- في بعض الحيوانات الراقية - وخاصة في الحشرات - نجد نوعا فريداً من التناسل يعرف بالتناسل البكرى، فيه يتم الانتاج بدون اتحاد البويضات بحيوانات منوية.

مثل ذلك يحدث في النحل، فأنثى النحل تطير في موسم معين، ويلقحها الذكر، وهي تخزن السائل المنوى في كيس داخلى تلقح منه البيض الذى تضعه حسب إرادتها، وقد تضع بيضا غير ملقح ينمو ويصير ذكوراً، فاذا فرغ السائل المنوى أو أزيل الكيس المخزون فيه - بطريقة ما - فان البيض الذى تضعه الأنثى يكون غير ملقح، وهو رغم ذلك ينمو ويقفس عن ذكور أيضا، ولا يصير غير ذلك.

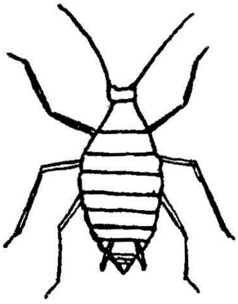


شكل ٩ الدودة الوحيدة (أ) في امعاء الإنسان (ب) والدودة (ج) في الخنزير
١) الرأس (٢، ٣) الرأس والحلقات القريبة منه ٤) الحلقات البعيدة عن الرأس
٥) حلقة ناضجة ويرى بها الفتحة التناسلية ٦) الجنين مغلفا ٧) الجنين السداسي الخطاطيف
٨) الفقاقيع في عضلات الخنزير ٩) الرأس داخل الفقاعة ١٠) الدودة تخرج من الغلاف



شكل ١٠ الدودة الكبدية للغنم ١) الجنين مغلفا ٢) يرقة ميكروسكوبية ذات أهداب تبحث عن القواقع (٣، ٤، ٥، ٦، ٧) أدوار في انقسام اليرقة داخل القوقعة
٨) سركاريا تخرج من القوقعة ٩) القوقعة التي تحتوى فيها يرقات الدودة
١٠) الدودة الكاملة

وقد وجد بعض الطبيعيين أن إناث بعض الفراش إذا أبعدت ـ من ساعة خروجها من الشرنقة ـ عن الذكور ولم تلقح، تضع أحيانا بيضا (غير ملقح طبعا)، وهذا البيض عند الفقس تخرج منه يرقات تتم دورتها وتصير لا ذكوراً فقط — كالنحل — بل البعض ذكوراً والبعض إناثا حتى يتم التلقيح ، فاذا حيل بين الأناث والذكور ، وضعت الأناث أيضا ـ بدون تلقيح ـ بيضا ، وهذا البيض يفقس عن يرقات تتم دورتها وتصير ذكوراً وإناثا أيضا، وهكذا . ويلاحظ هنا فى هذه التجارب ، أن التناسل البكرى ليس هو الطريقة الطبيعية للتناسل ، ولكنه وسيلة لانتاج الجنس المفقود . وذلك لاتمام عملية التلقيح ، إذا حال عامل خارجى دون ذلك .



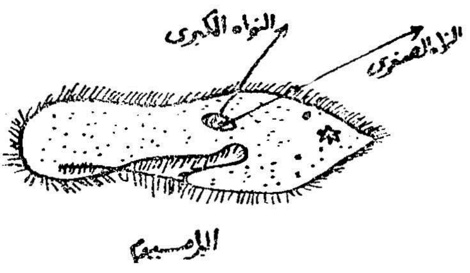
(شكل ١١)
حشرة المن (قمل النبات)

فى حشرة المن (شكل ١١) نجد مثلا ثالثا للتناسل البكرى . فهذه الحشرة التى تعيش على شجرة القطن ، وعلى أشجار الفواكه وغيرها ، تتوالد فى الصيف بسرعة هائلة ، فتنتج الأنثى الواحدة ـ وكلها فى هذا الفصل إناث ـ نحو ٤٠ صغيراً فى بضع ساعات إذا كان الجو ملائما والغذاء متوافراً ، وكل نسلها إناث ، وهذه الاناث تلد بدورها، إذ أنها تضع صغارها أحياء بمثل هذه السرعة والكثرة بدون تلقيح أو وجود أى عنصر ذكرى ، ولكن عند ما يحل الشتاء تنتج الأنثى نوعين من الصغار : ذكوراً وإناثا ، وهذه الذكور والأناث تختلف عن أمها بوجود أجنحة لها ، إذ أن الأمهات تكون عديمة الأجنحة فى الغالب .

ويتم تلقيح الأناث الجديدة بواسطة الذكور ؛ وبعد إتمام عملية التلقيح تضع الأنثى بيضة ملقحة واحدة ذات قشرة صلبة فى مكان أمين تتخيره ، خصوصاً فى شق فى إحدى الأشجار، وهذه البيضة تفقس فى أوائل الربيع عن أنثى صغيرة عديمة الأجنحة ، تظل تتغذى حتى تكبر حجماً ، ثم تضع بطريق التناسل البكرى صغاراً بكثرة هائلة ، وتعيد الدورة السابقة، وتسمى هذه الأم الجديدة بـ « الأم البكرية » .

والتناسل البكرى يوجد فى بعض الحيوانات القشرية ، فأحد أنواع جمبرى الماء العذب يتكاثر ـ ربما لعدة سنين ـ مكوناً إناثاً باستمرار بدون تلقيح ، ولكن قد نجد فى أحد الأيام أنثى من هذه الأناث تضع ذكراً واحداً .

ومن المؤكد أن هذه الحيوانات كانت ـ فى وقت ما ـ تتناسل تناسلا جنسيا بانتظام بالطرق العادية ؛ وكانت فيها الذكور والأناث ، ولكن بعض الظروف ألجأتها إلى طريق التناسل البكرى ؛ ولو أن التلقيح لا ينعدم بذلك بتاتا ، فالجنس المفقود يظهر من وقت لآخر حيوانات تتوالد جنسيا ولاجنسيا .



(شكل ١٢)

البارامسيوم (شكل ١٢) حيوان هدبى يمكن رؤيته بالعين المجردة كنقطة بيضاء صغيرة جداً ، تتحرك بسرعة فى الماء الموجودة به بقايا عضوية متعفنة ، وله أهداب كثيرة تغطى الجسم .

ولو أن جسم هذا الحيوان عبارة عن خلية واحدة ، إلا أن له نواتين : واحدة تسمى « النواة الكبرى »، والثانية تسمى « النواة الصغرى »، وهى موجودة فى شق من النواة الكبيرة.

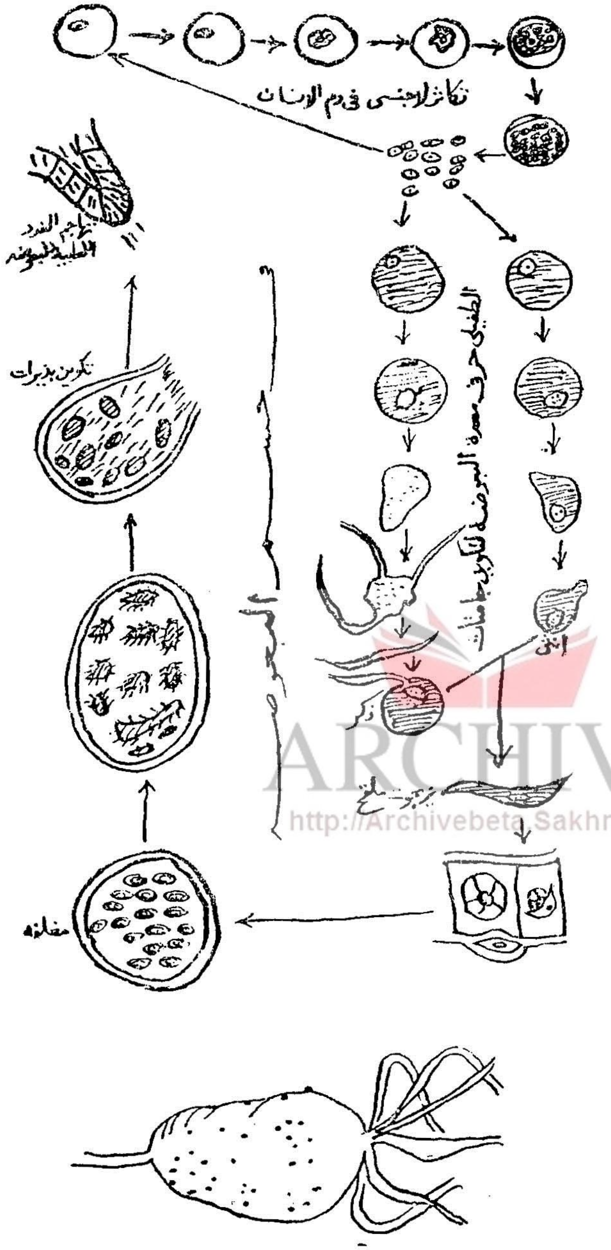
يتناسل هذا الحيوان لاجنسيا بالانقسام الثنائى ، ويتم الانقسام مرتين أو ثلاثاً يوميا فى المحلول الكثير الغذاء ، وتقل عدد مرات الانقسام بقلة الغذاء .

فاذا قل الغذاء بعد كثرة غير عادية ، ابتدأ هذا الحيوان يتناسل جنسياً ، فنجد فردين من البرامسيوم يلتصقان معا ، وبواسطة انقسام النواة الصغرى فى كل منهما تتكون جرثومتان من جراثيم التلقيح ، فى كل حيوان منهما جرثومة ذكرية ، والأخرى أنثية ؛ وتنتقل الجرثومة الذكرية من كل من الحيوانين إلى الحيوان الثانى وتلقح الجرثومة الأنثى ، ويتكون من التلقيح فى كل منهما (زيجوت) ، ثم ينفصل الحيوانان ، وتحدث انقسامات أخرى فى كل منهما مكونة أفراداً جديدة .

فى بلاسموديوم الملاريا : بلاسموديوم الملاريا (شكل ١٣) يعطينا مثلا آخر ؛ فهذا الحيوان الطفيلى الذى يسبب فى الانسان حمى الملاريا ينتمى إلى قسم البذرية فى البروتوزوا ، وهو ينتقل للانسان بواسطة عضة بعوض خاص يزور السليم بعد زيارته لمصاب بالملاريا .

هذه الطفيليات توجد فى دم المصاب بالملاريا ، وهى تهاجم كريات الدم الحمراء بواسطة طرف مدبب ، فاذا صارت داخل الكرية الحمراء تغذت من مادتها ، وانقسمت نواتها إلى نواتين ، ثم إلى أربع ، ثم إلى ثمان ، ثم إلى ١٦ نواة ، وتتجمع البروتوبلاسما حول كل منهما ، ثم تنفجر قشرة الكرية الحمراء ، تاركة الأنسجة تسبح فى سائل الدم ، حيث تهاجم كل واحدة منها كرية حمراء جديدة ، وتعيد هذه الدورة اللاجنسية ، وهى تستغرق من الزمن نحو يومين أو ثلاثة أو أكثر حسب نوع الطفيلى ؛ ولذا نجد الحمى تنتاب المصاب فى فترات منتظمة ، وربما كان ذلك نتيجة خروج مواد سامة تفرزها الطفيليات مع الأنسجة عند انفجار الكريات الحمراء .

تستمر الطفيليات تتكاثر لاجنسياً لمدة عشرة أيام ، ويسمى هذا الدور بـ « دور التفريخ » ، وبعد مرور هذا الدور ، إذا زار البعوض المصاب وامتص من الدم ، فانه يمتص معه



كريات حمراء مصابة بالطفيليات تنتقل إلى معدة البعوضة ، وهناك تبدأ فى تكوين نوعين من جراثيم اللقاح (الجاميتات) ذكرية وأنثية ، وبالتلقيح يتكون زيجوت ذى طرف مدبب يخترق الجدار الداخلى لمعدة البعوضة ، ويظل فى الجدار الخارجى لها مكوناً قشرة رفيعة ، ويستمر فى الانقسام داخل هذه القشرة ، وينمو حجماً ، وتبرز الأكياس المحتوية على الطفيليات فى شكل فقاقيع من جدران المعدة ، ثم تنفجر تلك الفقاقيع ، فتنتشر الطفيليات فى جسم البعوضة ، وتصل إلى الغدد اللعابية وتخرج مع اللعاب الذى تفرزه تلك الغدد عند عض شخص ما ، وتمر إلى دم الفريسة ، وتشق طريقها إلى كريات الدم الحمراء فيه ، وتبدأ عدوى جديدة .

فالطفيلى المذكور يتوالد لاجنسياً فى جسم الانسان ، ويتوالد جنسياً فى جسم البعوضة التى تنقل العدوى من المريض للسليم

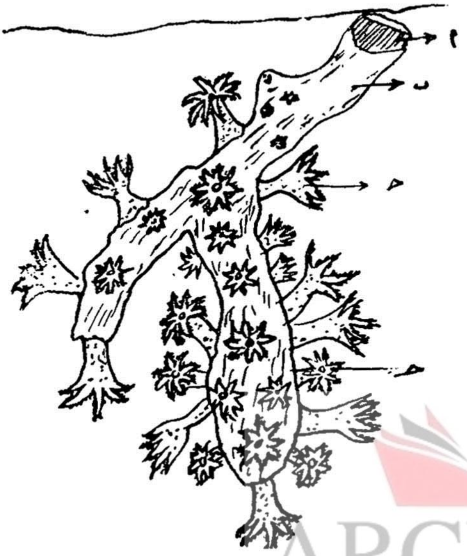
جزء من القناة الهضمية لبعوضة مهاجمة بالبلاسموديوم
ويرى بها فقاقيع تحتوى على الطفيلى
(شكل ١٣) تاريخ حياة بلاسموديوم الملاريا

فى الهدرا : أشرنا سابقاً إلى أن الهدرا (شكل ٥) تتوالد بالأزرار ، فهى تتوالد لاجنسياً ، ولكنها أحياناً تتناسل جنسيا ، فتتكون خصية واحدة و أكثر فى الجزء العلوى من الجسم . وهذه تفرز حيوانات منوية تسقط فى الماء ، ويتكون

مبيض واحد فى الجزء الأسفل ، فيه تتكون بويضة واحدة تنمو وتنتفخ ، وتتلقح بواسطة أحد الحيوانات المنوية الموجودة فى المياه المحيطة بالهدرا ، ثم تنمو بعد التلقيح ، وتنفصل عن جسم الأم ، وتتكون لها أذرع وفم ، وقد يحملها التيار حتى تتخلص من القشرة الخارجية ، وتثبت نفسها — كأمها — فى الحشائش حيث تبدأ حياة مستقلة .

فى المرجان : تتكون شجيرة المرجان (شكل ١٤) من ساق صلبة محاطة بطبقة لحمية حمراء تبرز من سطحها افراد صغيرة بيضاء اللون تشبه الأزهار ، لها ثمان زوائد ، وتتكون الأفراد لاجنسيا من المادة اللحمية ، كما تتناسل الهدرا بالأزرار .

وتتكون أيضاً فى الشجيرة بويضات وحيوانات منوية داخل الأفراد نفسها ، وتلقح الثانية الأولى ، ثم تذهب البويضات الملقحة إلى قنوات داخلية موجودة فى المادة اللحمية ، وتنقسم مرات مكونة حيوانات تشبه الديدان ، وتخرج عن طريق القناة الهضمية المسترسلة للشجيرة إلى الماء وتلتصق بالصخور ، وينمو كل منها مكوناً مستعمرة جديدة .



(شكل ١٤)
جزء من شجيرة المرجان وترى الحيوانات ذات الثمان زوائد ، وهى بيضاء اللون بارزة (حـ) من طبقة لحمية خارجية (ب) وفى الداخل نجد المادة الصلبة الحمراء (ا) المعروفة بالمرجان

ويلاحظ أن الانتاج الجنسى يتم غالباً فى أمثال هذه الحيوانات لنشر النوع فى أماكن لا يتيسر نشره فيها بواسطة الإنتاج اللاجنسى .

فى الأسفديا : (شكل ١٥) هذه حيوانات نخاعية ، وهى أقرب الحيوانات شبهاً بالحيوانات الفقرية إلا أنها ينقصها العمود الفقرى ، وبعضها يقضى حياته لاصقاً بصخرة ، ويتناسل بالأزرار كأبسط الحيوانات الدنيئة ، مكوناً مستعمرات أو أفراداً جديدة فى المستعمرة ، وأحياناً يتناسل جنسيا بواسطة البيض . م؟



(شكل ١٥) الاسفديا

محمد محمد السيد

بلاد المجر كما عرفتها

للدكتور فيليب شدقاق

وترجمها من الألمانية إلى العربية الدكتور طه دنانة

خريج جامعتي ليبزج وبرلين

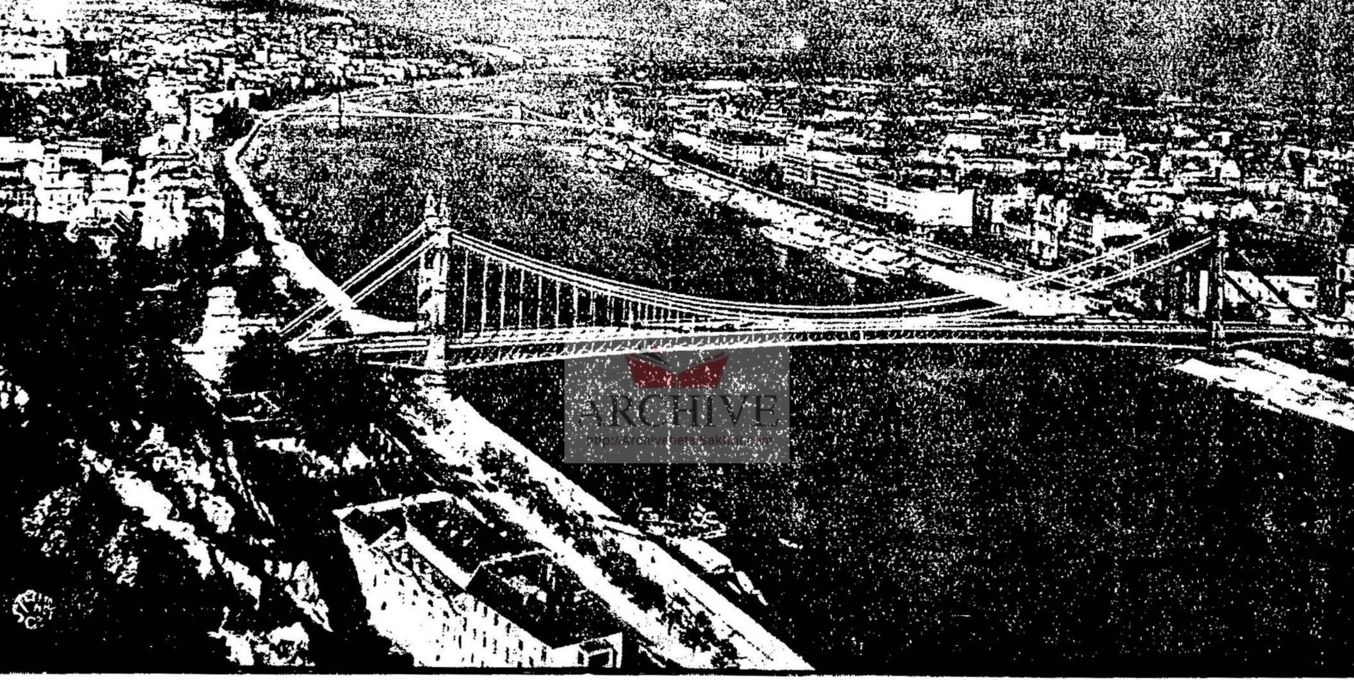
إذا كان الشاعر الانجليزي كبلنج قد قال كلمته المشهورة : « الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا » ، فانى على يقين أنه لم يكن قد زار بلاد المجر حينما قالها .

إننى فى رحلتى إلى برلين لم أسافر عن طريق غرب أوربا ، بل عن طريق اليونان ، حيث زرت أثينا وآثارها ، وأمتعت النظر بسلانيك ومآذنها البيضاء ، واخترقت يوجوسلافيا ، وأخذت بخصب تربتها ، وعرجت على « أسكوب وبلغراد » ، ودلفت إلى « المجر » ، وقضيت حقبة طويلة فى عاصمتها الرائعة « بودابست » ، ورأيت – وأنا أعجب من تصرف الحدثان – من خمود الحركة بـ « فينا » ما يقرب إلى الشلل التام ، وزرت « براج » . وشاهدت جنوب ألمانيا وما فيه من دور الصناعة الكبرى الساكنة الحركة فى الآونة الحاضرة من الكساد العام ، ورأيت الشىء الكثير من الفاقة والشقاء .

على أنى لم يسترع نظرى ، ولم يدهشنى فى رحلتى الطويلة – فى الممالك والقرى – أكثر من المجر وعاصمتها بودابست ، فهذه المملكة وأهلها قد غيرت رأيى كل التغيير فى كلمة « كبلنج » .

إن رحلة بودابست قد ساعدنى فيها الجد الصاعد ، فقد أوصى بى صديق بالقاهرة أصدقاء له فيها ، فاستقبلنى فى المحطة الكاتب المجرى المشهور الدكتور كورنيليوس تابورى ، وزارنى كثير من الأفاضل بفندق سانت أولرث المشهور بحماماته المعدنيـة ، وقد قدموا لى كل مساعدة ممكنة لدراسة بلادهم وشعبهم فى ماضيه وحاضره ، وكم كانت دهشتى وإعجابى بهذا الشعب يتزايدان كلما استغرقت فى تعرف أحواله ، ذلك الشعب الذى يفخر – حتى اليوم – بأنسابه المنغولية ، وبالرغم من ذلك لا تجد بينه وبين شعوب غرب أوربا فرقاً ما فى أى ناحيـة من نواحى الحياة فى الحضارة والمدنية والعلم .

وقد تكره شعوب أوربا الأخرى أن تسمع أو تقرأ أنها ترجع بأصولها إلى أنساب آسيوية ، وأن سكان أوربا الأصليين ليسوا سوى الكلت فى إرلندا وباسكن لنـد ، وأن شعوب غرب أوربا لم تصل إلى درجة رقيها فى الحضارة والثروة إلا بعد تأثرها بالبيئة ، وأنها كانت من قبل شعوباً آسيوية ، مواردها الزراعة ورعى الماشية ؛ ولكن الشعب المجرى لا يستنكف من ذلك ، بل يحرص كل الحرص فى المحافظة على ذكراه .



(منظر عام لمدينة بودابست عاصمة بلاد المجر)

فى سنة ٨٦٩ م. ـ بعد مضى ٣٠٠ سنة على موقعة أتيلا الشهيرة ـ هاجر ارياد شعب المجريين الوطن المنغولى إلى بلاد المجر الحالية التى لم تكن — حتى ذلك العهد — سوى مستعمرة رومانية ، ففتح هذا الشعب البلاد ، وتغلب على أهلها الذين كانوا يرجعون إلى أصل سلافى ، واستأصل ـ بحد السيف ـ من لم يخضع له ويندمج فيه، وقد احتفل المجريون سنة ١٨٩٦ بصورة زيتية كبيرة تغطى داخل قنة سعتها مائة متر، تمثل دخولهم البلاد وهجرتهم إليها، فترى الرجال فى ثياب من الفراء ، ووراءهم عربات تقل النساء والأطفال تجرها الثيران ، وترى من ذلك كيف كانوا يعنون بذويهم ويوفرون وسائل الراحة لهم فى الرحيل ؛ وقد قام المجريون بغزوات كثيرة فى ألمانيا وفرنسا ، ولكنهم ارتدوا أخيراً وقبعوا فى المجر ، وقد قاد ارياد شعبه تحت حماية (إله الحرب) هودأر ، وكانوا يقدمون له الضحايا فى ذلك العهد من الخيول المطهمة خوفاً من غضبه ، ورجاء لمعونته .

ودخلت المسيحية فى عهد القديس ستيفانوس الذى حكم من سنة ٩٩٥ إلى سنة ١٠٣٥ ، وقد حببت إليه المسيحية وهو صغير ، وضمه إليها القديس جيراردس ؛ ونستطيع أن نرى كيف قوبلت المسيحية بالعنف ، إذا عرفنا أن عباد الخيل — وقد عبدت فى الفترة السابقة — قد قبضوا على القديس جيراردس خفية وقذفوا به فى « الدانوب » .

وهنجاريا : بلد زراعى أكثر منه صناعى ، وفى وسعنا أن نقدر ثروتها الزراعية من غلال وفاكهة وغيرهما إذا زرنا المعرض الزراعى ، ورأينا ما فيه من شتى المحاصيل .

وأما علم الطب فأريد أن أحدث إليك عنه برهة ، فانه ليس فى تلك البلاد أقل شأناً ولا أحط مستوى منه فى جاراتها ، وقد زرت كثيراً من مستشفياتها ومصحاتها فى بودابست وضواحيها ، فوجدتها فى نظامها واستكمال أدواتها مثلها فى بقية عواصم أوربا الغربية، وأشير على الخصوص إلى معهد الأستاذ بارون كورانى فى كلية الطب ، فلست ترى فيه وسائل التشخيص والعلاج فحسب ، بل فيه قسم خاص بالأبحاث العلمية الكيماوية وفحص كل جديد ، وقد صدر عنه كثير من الطرق المستحدثة للعلاج ، وكان له فضل المشاركة فى كفاح السل .

وطالما اشتد عجبى حينما رأيت كثرة المصابين بالسل فى بلاد المجر ، فانها ـ وإن كان جوها جميلا ، وهواؤها طيباً ، وماؤها سائغاً لذيذاً مما يجعلها بمثابة مصيف لجاراتها ـ فان السل ناشب أظفاره فيها إلى مدى بعيد، وكل مصحاتها ومستشفياتها ملأى بصرعاه ؛ وقد زرت فى ما زرت مصحة (إليزابت) فى بوداكسى — ضاحية لبودابست — واستقبلتنى الدكتورة الآنسة إربت بارات التى تشغل وظيفة مدير ثان للمصحة ، وهى فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وعلى مستوى عال من التربية ، وجد ماهرة فى مهنتها ؛ وقد قادتنى إلى كل (عنابر) المرضى ، ورأيت كيف يعنى بهؤلاء المساكين ، وكيف توفر لهم أسباب التسلية ، حتى إنه لا ينقصهم الاستمتاع بالراديوم فى مراقدهم

وقد لفت نظرى قلة العناية بالأصحاء ، ولكن هناك العناية بصحة المرضى والوقاية من شر المرض المستطير على أتمها ؛ ولهذا يدخلون المصحات أولئك الذين هم فى حالات متأخرة حتى لا تنتشر بهم العدوى ، تاركين غيرهم من الأخف مرضاً لعناية الأطباء الخصوصيين .

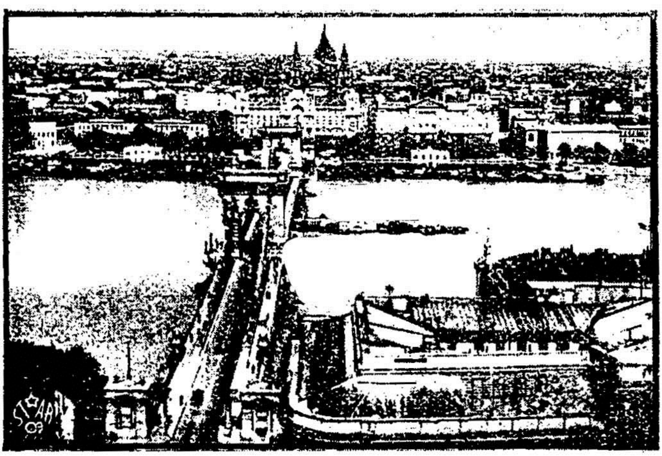


(دار برلمان بلاد المجر ، ومنظر جبل سانت جلرت فى المساء)

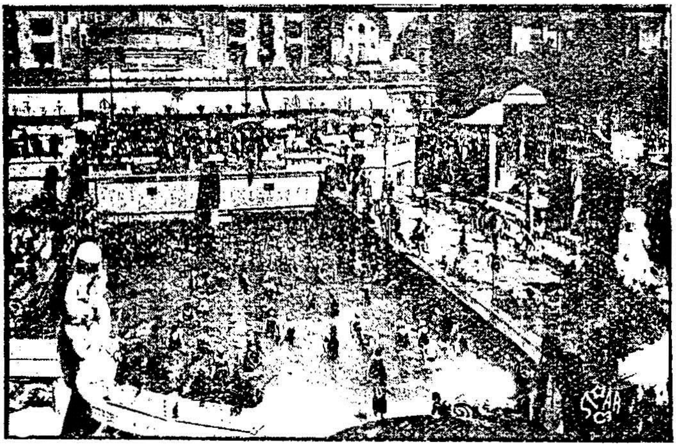
وفى سنة ١٨٩٦ أقام المجريون بناء دار برلمانهم وهى تقع على « الدانوب » وتشبه فى عظمتها وفن بنائها دار البرلمان الانجليزى على « التيمس » وقد زرتها فى صحبة المستشار سلطان سفيز بى ، وقد تفضل بالافضاء إلى بكل ما أردت من معلومات ؛ وهو رجل وجيه فاضل ، واسمه يدل على تغلغل الشرقية فى هذا الشعب .

وقد رأيت فى الصالات (المتاحف) كثيراً من الآثار والعاديات الثمينة والصور الزيتية الفاخرة ، وقد سحرت مما رأيت من النقوش العربية النحاسية والذهبية والبلاط المجرى البديع .

أما بودابشت فهى مدينة رائعة ممتدة على جانبى الدانوب ، والجزيرة الواقعة بين الشاطئين تكون جزءاً من البلد ، ويصل بين شطرى البلد عدة جسور جميلة ، وفى الجزيرة كثير من الينابيع المعدنية الطبيعية الصالحة لأمراض الروماتيزم والمعدة وفقر الدم ، وقد تنبه الأتراك بين سنتى ١٥٢٦ — ١٦٧٦ إلى الانتفاع بهذه الينابيع فبنوا عليها الحمامات وعنوا بتنظيمها ، وبقى كثير منها قائماً حتى اليوم ، وأجملها حمام الحاكم سليمان .



(جسر (كوبرى) بودابست المعلق)


(حمام سانت جلرت فى أحد فنادق بودابست)

ومما يستحق الذكر المسرح المسمى مسرح فستنج الذى عزف فيه بتهوفن سنة ١٨٠٠ ؛ ويرى فيه تمثال للموسيقار العظيم ؛ والمسرح يقع بالقرب من القلعة .

والقلعة تقع على قمة جبل ، وإليها قصر الملك ، وإلى جانبه كنيسة على النمط الغوطى ، بنيت سنة ١٢٢٧ ، وقد حولها الأتراك سنة ١٥٤١ إلى مسجد ؛ ويحكى: أن درويشاً يدعى بلبابا خر صريعاً فى حفلة ذكر ، فبنى له ضريح جميل لا يزال حتى اليوم فى بودابست .

وكان المجريون ـ قبل هجرتهم إلى بلاد المجر ـ يكتبون ويتكلمون بلغة تشبه الصينية ، فلما استقروا فى المجر استبدلوا الحروف اللاتينية بحروفهم .

وبودابست مكونة من بلدين كانتا منفصلتين : إحداهما تسمى بودا ، والأخرى بست ، واندمجتا سنة ١٨٨٣ ، وبودا يرجع اسمها إلى الاله الهندى المعروف .

وقد أسهبت فى وصف بلاد المجر الجميلة وعاصمتها حتى أقوم بتصويرها ـ على قدر الامكان ـ لشعوب الشرق الأوسط ، وإذا زاروها رأوا أكثر مما سمعوا عنها ، وأكثر مما يسعنى أن أصور لهم .

والمجريون ظلوا تحت حكم الأتراك نحو قرن ونصف قرن ، وتحت آل هابسبرج نحو ثلاثة قرون ، ولكنهم طيلة هذه المدة وما بعدها لم ينسوا أصولهم ، ولم يغفلوا أنسابهم ، ولم يتركوا دراسة تاريخهم ؛ ومع هذا فقد ساهموا فى تقدم الحضارة والفن والعلم والصناعة .

وأخيراً : أقول إنه لو كان « كبلنج » زار بلاد المجر ، ودرس حال هذا الشعب دراسة استقصاء واستكناه ، بدلا من تقلبه بين انجلترا والهند ، والهند وانجلترا ، لغير رأيه ، ولقال معى :

« الشرق شرق ، والغرب غرب ، وسيلتقيان »

طه دنانة

بين الناظرين

في قصيدة الاستاذ الزهاوى

ورد فى ص ١٥٩ من سنة ١٩٣٢ لمجلتكم المباركة قول الأستاذ الزهاوى :

كوكب يرسل الأشعة بيضا ء من الشرق فى الليالى الطوال

بجعله « بيضاء » حالا من الأشعة وهو مفرد، وهذا غير جائز فى أساليب العرب، فالقاعدة تقتضى جمع « بيضاء » لأنه على وزن « فعلاء »، ولكونه حالا من الجمع وهو الأشعة؛ وتحرير هذه القاعدة العربية - التى خفيت على الأستاذ الكريم واستبهمت على قريحته الفياضة - « أن أفعل ومؤنثه فعلاء، يجب جمعهما إذا كانا حالا من جمع أو نعتا له » سواء فى ذلك العاقل وغيره، وجمع التكسير وجمع التصحيح؛ وليس هذا من باب « أيام معدودات ومعدودة » الذى أجاز العلماء فيه وجهين اعتماداً على ما ورد فى التنزيل، وكلام العرب من نوعه؛ وليس من النقد النزيه، ولا من توفية أساليب العرب حقها، أن تقول هذا القول خلواً من الشواهد، فشاهد الحال من جمع العاقل قوله تعالى « يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين زرقا »، وشاهد الحال من جمع غير العاقل قول الشاعر :

بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمراً قد روينا

وشاهد النعت قوله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » بجمع بيضاء وسوداء؛ أما « سود » فى الآية، فيدل على اطراد القاعدة اطراداً تاما، سواء أعد بدلا أم عد نعتا لغرابيب، وقوله تعالى « ثياب سندس خضر » و « يلبسون ثيابا خضراً » و « زيتونا ونخلا وحدائق غلبا ».

فعسى أن يرضى الأستاذ الكريم بهذا التنبيه المبنى على المعرفة بأساليب العرب ويجنب قصائده الخروج على تلك القاعدة.

[بغداد] مصطفى جواد

حول أول مؤتمر فى الاسلام

ذكر أحد كتاب « المعرفة » (١) الغراء أن اتفاقا ثلاثيا حصل بين الصديق والفاروق وأبى عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهم فى اجتماع عقدوه على ولاية الخلافة بالترتيب دون المسلمين،

(١) راجع عدد أغسطس سنة ١٩٣٢ .

ظناً منهم أنهم أولى الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع أن هذا الرأى لم ينطق به التاريخ فانه قادح فى قدر هؤلاء الجلة الأعلام .

ذلك أن المروى فى هذا المقام ، أنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دهش الصحابة رضوان الله عليهم وهالهم موته ، وتفرقت آراؤهم فيه ، فمن قائل إنه حى وسيرفع كما رفع عيسى عليه السلام ، ومن قائل : إنه مات وموته قادح فى نبوته ، ومن حيران لا يدرى ماذا يقول ، حتى أدركهم أبو بكر رضى الله عنه ، ففى الصحيحين : بلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج ، فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما كان الله ليذيقك الموت مرتين ، فقد والله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى الناس فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لا يموت ، قال الله تعالى : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» الآية ، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الاية إلا يومئذ . ومن المأثور أيضاً أنه عند ما تحقق الأنصار وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعوا فى الحال إلى سقيفتهم يتشاورون فى أمر الخلافة ، فترك الصديق الصحابة ومضى هو وصاحباه تواً إلى هذا الاجتماع والرسول لم يغسل بعد ولم يدفن .

هنا يحسن بنا أن نورد أن أكابر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى المدة الأخيرة من حياة الرسول ، كانوا قد فطنوا لوفاته مما كان يطالعهم به الوحى من حين لاخر من تمام النعمة ، وكمال المنة ، وقرب اللقاء ، ودنو الجلاء ، وأن المعانى كانت تتداعى عليهم بالقيام على سياسة البشر والاستخلاف على منصب النبوة ، فلا يخفى أن فكرة الخلافة كانت قد نبتت فى رءوسهم وملكت موضعها من نفوسهم ، حتى إنك حين تقرأ إشارة العباس عم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ابن أخيه على كرم الله وجهه ، بسؤال النبى الخلافة فى مرض موته عليه الصلاة والسلام : تعلم أن هذا أمر خالج الضمائر ، ومشى فى السرائر قبل انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى .

ولكن إذا سلمنا بهذا ، فان من العسير جداً أن نسلم بأن مصابا جللا كموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كاد يذهب بعقول أصحابه شعاعا ومفاجأة تبغتهم — وهم ينعونه إلى أنفسهم — يعرفون خطرها هى اجتماع الأنصار لتولية إمام منهم ، ثم يجتمع هؤلاء الحيارى المبغوتون لتزكية أنفسهم بأنفسهم والاتفاق على تولية الخلافة فى ما بينهم ، ولا يقال إن الاتفاق كان مبرماً قبل ذلك ، فان منصب الخلافة العظمى ليس نهباً يقتسمه الأفراد ويتوارثه الأنداد ، وإنما هو حق الأمة ، والأمة وحدها هى صاحبة الرأى والتصويت ، وبأى سلطان كان يؤمر هؤلاء أنفسهم فيما بينهم على الأحمر والأسود ، ويفرضون التملك على العامرة

والغامرة ، والرئاسة لا تنال إلا بأعمال السيف وإرهاق الجنود ؟ وبأى وجه كانوا يخرجون على رأى المسلمين وما خولهم الله من حق المشورة وانتخاب الصالحين ؟ وبأى قلب كان يزكى أبو بكر نفسه ، وهو الذى كان يشم من فمه رائحة الكبد المشوى من الخوف ، وعمر الذى كان يشك فى نفسه أهو من المنافقين ، أم من المؤمنين ؟ وأبو عبيدة القائل: وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويحسون مرقى ؟ أم بأى كفالة ضمنوا حياتهم وبقاءهم وشعارهم :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله ...؟

أما تولية أبى بكر – رضى الله عنه – عمر الخلافة تنفيذاً للخطة الموهومة فهو غير الواقع ، والمأثور فى هذا الصدد أن الصديق لما حضرته الوفاة طلب إليه المسلمون أن يستخلف عليهم فاستخلف عمر رضى الله عنه نزولا على إرادتهم ، لا تحكما فيهم واستبداداً بأمرهم .

وأما تولية عمر – رضى الله عنه – أبا عبيدة قيادة الجيوش تمهيداً لتنفيذ البند الثالث المزعوم ، فهو غير صحيح أيضاً ، لأن فكرة الفاروق – رضى الله عنه – فى تنحية خالد بن الوليد – رضى الله عنه – عن القيادة ، فلأن خالداً لم يحضر موقعة إلا انتصر فيها ، فتخوف الفاروق من اتكال الناس على تلك الشهرة وقعودهم عن الأخذ بأسباب الانتصار ، ولم يرو أن عمر – رضى الله عنه – ذكر فى وفاته أبا عبيدة ، حتى يقال إنه تذكر البند الثالث عند حلول أوانه .

تلك صفحة للتاريخ ناصعة تخبرنا بأن ما حدث فى أمر الخليفتين الأولين لم يكن مدبراً بينهما ، وإنما خلقته ظروفه وهيأته أسبابه

متولى أحمد كيوان

الأدب تصوير الحياة

بين يدى الآن العدد الرابع عشر من « المعرفة » (١) ، وفيه مقال تحت عنوان « الأدب الميت » ، ذهب فيه صاحبه الأديب إلى ان الأدب يجب أن يكون باعثاً على حب الحياة والتشبث بها وألا يعرض لنا منها إلا جانبها المزدهر ، أما الأدب الذى يذهب غير هذا المذهب فيجب أن يطوى ويرمى به فى زوايا النسيان ، والذى قرأ ما كتبه الأديب الناشىء تحت عنوان : أدب الضعف والاستسلام تارة ، وأدب الكهول طوراً ، وأدب التشاؤم تارة أخرى ، مما لا يكاد يخرج فى معناه عما كتبه أخيراً تحت هذا العنوان ، يخيل إليه أن صاحبنا يحمل رسالة إلى الأدباء وجماعة المشتغلين بالأدب يدعوهم إلى الأخذ بها والعمل بمقتضاها ، ولكن محاولته هذه – على نبل مقصدها وتوفر سلامة نية كاتبها – لن تغير من حقيقة الواقع الملموس

(١) يونيو سنة ١٩٣٢.

شيئاً ، وليس هو بقادر على أن يجعل الكاتب أو الشاعر يعبر عن غير ما يجيش به صدره من أحلام ، وما تطمح إليه نفسه من مثل عليا ، أو ما تضيق به من التبرم بالحياة والسخط عليها .

فما الأدب إلا تصوير للحياة عامة ، والنفس الانسانية خاصة ، فأنت لا ترى شاعراً أو كاتباً يقبل على الحياة بكل ما فيه من قوة كي يستمتع بلذائذها وينعم بخيراتها ، إلا لأن العوامل التى أحاطت به ومظاهر النعمة التى اكتنفته لم تطبع نفسه بغير طابع السرور ، فهو لذلك إذا كتب أو نظم فانما يصور ما هو فيه من رخاء ونعيم ، ولا ينظر إلى الحياة إلا بعين الجذل والغبطة ، فالمثل الأعلى عنده اللهو واللعب ، إن كان لاهيا لعوبا ، أو الجد والعمل إن كان مثقفا مهذبا .

بينا ترى ذلك كذلك ، إذ ترى الكاتب أو الشاعر الذى نشأ فقيراً معدماً أو يتيما لا يجد من يعطف عليه ويبسم له ، أو من أصابته مصيبة ولم يجد من يحنو عليه ويرحم ـ قد برم بالحياة وسخط عليها ، ولا ينظر إليها إلا بمنظار أسود ؛ وليت الأمر يقف به عند هذا الحد ، بل يريد أن يثأر لنفسه من القدر ومن البيئة التى يعيش فيها ، تراه وقد عزف عن الحياة متسائلا ، ما السر فى وجودى ، وما لذة العيش ، ومالى أرى الناس يكدحون ويعملون ؟ !

وهذا لا يرى المثل الأعلى إلا فى التقشف والزهد ، و القناعة والرضا ، وهذه الحال لن تزول ما دام البؤس والشقاء يمشى إلى جانب أفراح الحياة ، وقد يغير الشاعر و الكاتب رأيه فى الحياة ، إذا ما زال المؤثر ، وأصبح ينظر إليها بعين غير العين التى كان ينظر بها فى حالته الأولى ، سواء أكانت هذه الحال بؤسا أم نعيما .

كذلك الشاب وهو فى ريعان شبابه وميعة صباه يرى ويعمل غير الذى يراه ويعمله الكهل أو الشيخ ، فالشعور والعاطفة والحس كثيراً ما تطغى على عقل الأول وتفكيره ، لذا تجده ميالا إلى الطبيعة وما فيها من جمال ، وإلى الحياة وما فيها من لذة ومتعة ، أما الثانى ـ وقد ضعفت ميوله وشهواته ـ ، فترى نظرته إلى الحياة نظرة فلسفية ، تجده يكثر من ذكر القضاء والقدر والوجود والعدم ، والموت والبعث ، والجنة والنار ، وهذه الحال أيضا لن تزول ما دام الانسان فى البدء يكون طفلا ، ثم كهلا ثم شيخا ، وفى كل طور من هذه الأطوار له ميوله ورغباته ؛ من هنا يظهر لنا جليا أن الأديب إنما يصور لنا حالته النفسية ويشرح نظرته إلى الحياة والبيئة التى يعيش فيها ، لذلك نعود فنقول : إن الأدب ما هو إلا تصوير للحياة عامة وللنفس الانسانية خاصة

أما ما ذكره حضرة الكاتب من أن السبب فى إخفاق الشرق وجموده وقعوده عن النهوض ، هذا هو اللون من الأدب الميت ، أو أدب التشاؤم ، أو ما شئت فسمه ، فقول ليس فيه ظل

من البرهان أو عليه مسحة من الحق ، ولكن السبب الوحيد وعلة العلل فى تأخر الشرق عن الغرب هو انتشار الأمية فى ربوعه وتكاثف سحب الجهالة فى سمائه ، مما لا يكاد يختلف فى تصويره اثنان. ولا سبيل إلى نهوض تلك الشعوب، وفكها من ربقة الأسر، وتخليصها من نير الاستعباد بغير التعليم المنتج المثمر بكل ما فى هذه الكلمة من قوة ومعنى؛ فأنت ترى العامل الشرقى قوياً جلداً وأكثر عملا من العامل الغربى بخلاف ما يذهب إليه حضرة الكاتب من أنه يخلد إلى الكسل ويميل إلى الراحة ، بفعل هذه الألوان من الأدب التى يسميها لنا ؛ فانا نرى فى الغرب كثيراً من الفلاسفة المتشائمين الساخطين والأدباء الهازئين الساخرين ، ولم نعلم أنهم كانوا فى يوم ما عقبة فى سبيل الحضارة والمدنية .

وهنا أمسك القول خوف الاسراف ، فأنا ما أردت بكلمتى هذه إلا بيان حقيقة الأدب بياناً موجزاً من غير تعرض لضرب الأمثال، أو شرح وتحليل لحياة بعض الأدباء والشعراء ، فليس هذا ما قصدت إليه اليوم .

المنصورة — كفر بدواى محمد السيد وادى

تهنئة

نجح صديقنا الفاضل الأستاذ الشيخ محمد أحمد عمارة المحرر بزميلتنا « الجهاد » فى شهادة العالمية هذا العام ، وقد كان فضيلته موضع تقدير ممتحنيه ، كما كان فى مقدمة الناجحين ، فنهنئه ونرجو له مستقبلا زاهراً .

أيها المشترك !!

إن « المعرفة » تفخر كل الفخر ، وتتيه على غيرها ، بأنها مجلة المثقفين والعظماء ، وبأن مشتركيها من خاصة العلماء والأدباء فى جميع أنحاء الشرق العربى .

لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية ، وما نبذل فى سبيل « المعرفة » من مال وجهد .

فهل أديت واجبك نحوها ؟ وهل سددت اشتراكك ؟ تذكر قليلا ، وتفضل مشكوراً بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته .

مكتبة المعرفة

«إسلامى دنيا»

للأستاذ الهندى الأديب السيد «محمود أحمد عرفانى» آمال وأطماع تنطوى على الخير، فهو يرجو أن يوثق عرى الاخاء بين مصر والهند، وأن يقيم بين الأمتين العظيمتين رابطة قوية من المودة والمعرفة والصفاء.

ولقد عمل لهذه الغاية جهده، فأنشأ منذ بضعة أعوام مجلته الراقية «إسلامى دنيا»، وكان يحررها باللغة الهندية، على أنه رأى أن يخطو بأمنيته خطوة حاسمة لخور من لغة المجلة وأصدرها باللغة العربية فى ثوب قشيب.

وليس من شك فى أننا حين نحث القراء على قراءة «إسلامى دنيا» إنما نحثهم على أن يتعرفوا إلى إخوانهم فى الهند ويدرسوا حياتهم على ضوء هذه الفصول القيمة التى تذيعها عنهم هذه الصحيفة الغراء، وهذا وحده كسب لهم وأى كسب.

صور من الحياة

كتاب من القطع الصغير فى ١١٢ صحيفة — وضع أقاصيصه الأديب حسن أحمد أبو الذهب

من حق الأقصوصة الصغيرة أن يكون طريقها معبداً سهلا إلى أيدى القراء، فهى تروح عن نفوسهم، وتدفع السأم عنها، وهى — إلى ذلك — تظهرهم على مواضع العبرة والعظة فى سهولة ويسر، ولقد فطن إلى هـذه الحقيقة جمع من القصاصين فعمدوا إلى إخراج بضعة كتب تضم بين دفتيها قصصاً صغيرة بعضها مترجم وبعضها موضوع.

على أن الترجمة وحدها لا يمكن أن تـكون نتاجاً لجهد جهيد يبذله من يريد إخراج الأقاصيص، ذلك أن الأفكار التى يرتضيها جمهور الغرب قلما يستطيبها الجمهور فى الشرق، وهذا ما بعث فكرة التأليف إلى جماعة من الشبان الناهضين.

و «المعرفة» الآن بصدد مجموعة من الأقاصيص أنتجها قلم الأديب القاص «حسين أحمد أبو الذهب» سكرتير مدرسة الفنون الجميلة المصرية بالاسكندرية؛ وهذه المجموعة تبشر منتجها بمستقبل باهر فى كتابة الأقاصيص، لأنه يعنى بموضوعه ويقدمه فى لغة سهلة وسياق موفق، وفى ذلك ما يدعونا إلى حث القراء على الاقبال عليها إقبالا يشجع مؤلفها الأديب على متابعة جهوده والبلوغ بها إلى ما يأمل ويريد.

عدد ممتاز عن مولد رسول الله

أصدرته « الصراط المستقيم »

وهى صحيفة أسبوعية تصدرها جمعية الهداية الاسلامية فى بغداد

فى ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم ما يحفز الأقلام إلى التجوال فى حلبة القول ، وما يحفز الأفهام إلى المضى فى مراحل التمجيد ، فمولد النبى كان حادثاً رائعاً جليل الأثر باقى الذكر ، وحياته ما تزال هى الحياة الداعية إلى الاستقصاء والتبصر ، لأن رسالته الحافلة بالخير قد هيأت للبشر انقلاباً منقطع النظير ، وأتاحت للعالم أن يتحرر من جموده إلى حركة فيها غذاء للنفس ، وفيها غذاء للشعور .

وإذا كانت حياة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قد مهدت للكاتبين فى كل عصر مضى إثر رسالته أن يبحثوها ، وأن يذكروا صاحبها بالثناء الجم ، والمديح الوافر ، فان هنالك صحيفة عربية هى « الصراط المستقيم » التى تصدر فى « بغداد » قد تفردت — فيما نحسب — من بين الصحافة العربية باصدار عدد ممتاز عن حياة الرسول فى مناسبة مولده الكريم .

ولقد استطاع الأستاذ العالم الأديب كمال الدين الطائى — رئيس تحرير « الصراط » أن يبلو النجاح فيما اضطلع به من عبء إصدار هذا العدد الممتاز ، فاذا به فى الحق سرحة تجتمع فيها ألوان من الأقلام الطيبة التى تحملها شخصيات كبيرة ، وإذا بهذه السرحة تضم إليها حياة الرسول من جوانبها بحثاً ودراسة وتحليلا وتقريظا

وهذا من دون ريب عمل تشكر عليه « الصراط المستقيم » وتحمد من أجله جمعية الهداية الاسلامية فى بغداد .

وحبذا لو تأثرت الصحافة الاسلامية زميلتها البغدادية الكبيرة ، فترقبت أشباه هذه المناسبات ، وهيأت لها أعداداً كهذا العدد الممتاز .

الرق من الوجهة الاجتماعية

رسالة قدمها الباحث المفضال الدكتور على عبد الواحد وافى الأستاذ بمدرسة دار العلوم ، إلى جامعة باريس لنيل إجازة الدكتوراه فى الاداب ، وهى رسالة مكتوبة بالفرنسية فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، ومعها فهارس ومراجع على غاية من الأهمية ، ومعها مقدمة بقلم المسيو (فوكونيه) الأستاذ بالسوربون ؛ وتمتاز هذه الرسالة بأنها مظهر مشرف لنشاط الشبان المصريين الذين رفعوا رأس مصر فى باريس ؛ ومؤلفها الفاضل يعد بحق من أنشط الشبان المجددين الذين جمعوا بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية ، وقد أعجبنا — بوجه خاص — بالفصل الذى كتبه عن الرق فى الاسلام ؛ فقد أفاض القول فى هذه النقطة ، وقدم لأهل الغرب لمحة عن الحياة الاجتماعية عند المسلمين فى هذه الناحية ، ونحن نثنى على المؤلف أطيب

الثناء ، ونرجو أن يحقق المشروعات التى عرض لها فى رسالته ونوه بها المسيو فوكونيه، وننتظر أن تنقل هذه الرسالة إلى العربية بعد زمن قليل ، لأن مثل هذه الموضوعات تهم جمهور الشرقيين ، وخاصة المولعين بالدراسات الاجتماعية .

والكتاب يطلب من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

المطالعة الابتدائية

الجزء الأول فى ٩٦ صفحة من القطع الصغير

لمؤلفه الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم

نحن فى حاجة إلى تغذية الناشىء تغذية توفر له فى مستقبله حياة كلها تطلع إلى المجد ، وكلها أمل فى السؤدد ، وكلها عمل لما يكون خيراً ، وكلها عرفان لما فى الحياة من مباهج وأحزان ، وآيات وصنائع ، ودول وآراء ومبتكرات ؛ ولقد كانت هذه التغذية أصعب ما يلابسه الأساتذة من عمل ، لأنهم يريدون تسجيل الآراء الطيبة فى هذه الأذهان الجديدة على التفكير والاستقصاء والاستقراء ، وإذا كانت الكتب التى صدرت – حتى الآن – لمطالعة الناشئة وتهذيبهم قد حملت طائفة منها أثقالا من الغثاثة ، كما حملت طائفة أخرى ألواناً من التوفيق ، فإن كتاب « المطالعة الابتدائية » من هذه الطائفة الأخيرة التى ضمت إليها جانب السداد ضما ، فهو جماع دراسات سهلة دبجها مؤلفها الفاضل الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم فى أسلوب سهل ، وعبارة محكمة الوضع رائعة الأداء ، وقد شاء المؤلف الفاضل أن يزيد فى رونقه ، ويضيف إليه صورة من البهجة ، فزينه بالطبعة الأنيقة ، والصور الرشيقة ، وفى هذا كل ما يحبب إلينا أن ندعو لهذا السفر النفيس – الذى صدر منه جزؤه الأول – بالرواج والذيوع .

المحادثة المصورة

كتاب من جزءين : يقع الجزء الأول منهما فى ٨٠ صفحة

ويقع الجزء الثانى فى ٨٨ صفحة من القطع الصغير

وما دمنا قد تحدثنا عن الأستاذ الأديب « مصطفى محمد ابراهيم » فى صدد كتابه الذى ألفه فى « المطالعة الابتدائية » ، فمن حقه علينا أن نعاود الحديث عنه فى صدد كتابه الأخير « المحادثة المصورة » لأنه عرف بتأليفه إياه كيف يقضى على أولئك المشعوذين الذين يتاجرون بأدمغة سواهم ويقدمون إلى الأطفال نتاجا غثا لا قيمة له ولا شأن .

فـ « المحادثة المصورة » تعطى التلميذ فكرة طيبة عن طريقة الجدل الصحيح ، وهى كما قال مؤلفها بحق : جماع من حكايات تهذيبية ، ومحاورات ومحادثات عامة ، وملخصات سهلة جامعة ، وتمرينات متنوعة ، وهى كجميع ما ينتج الأستاذ جميلة التبويب رشيقة الوضع ، وقل أن لا يستطيبها تلميذ معنى بثقافته ثقافة تحقق له أسباب الفلاح .

المسرح الجديد

مجموعة من الأقاصيص المسرحية لجمهرة من مؤلفى المسرحيات فى الغرب

مترجمة بقلم الصحفى الأستاذ محمود كامل المحامى

للروايات المسرحية مغزى آخر غير تفكهة النظارة ، أو اختلاس الدمع من مآقيهم ، هو توجيه النظريات التى تؤدى إلى خير المجتمع ، وتبلغ به موطن النفع والرشاد، وكثيراً ما كانت القصة المسرحية دفاعاً حاراً عن فضيلة مقهورة ، أو بوقاً قويا لاذاعة مبدأ اجتماعى طريف ، أو سوطاً هائلا يوفر القلق والألم على حشود الرذائل التى تقضى على كل ما فى القلوب من أطماع فى اجتناب الشر واجترام الآثام .

ولقد استطاعت القصة المسرحيـة أن تبلغ النجاح فى ما خلقت له، كما استطاعت أن تتعهد لاذاعتها أدمغة كبيرة فيها آراء محشودة بالامتاع والاقناع .

وإذا كانت قراءة « المسرحية » الأجنبية غير ميسورة لآلاف من الشرقيين الذين لا يلمون بواحدة من لغات الغرب ، وإذا كان شهود هذه المسرحيات فى المسارح التى تمثل فيها غير ميسور لملايين من الشرقيين الذين لا يستطيعون النزوح إلى « لندن » أو «باريس» ، فان الأستاذ الأديب محمود كامل المحامى،قد قرب هذه المسرحيات ـ بمغزاها وصورها ـ إلى أولئك الذين ينشدون العظة الطيبة ، والعبرة الصادقة،حين عمل على ترجمة عشرات من هذه المسرحيات ترجمة تحليلية رائعة التوفيق.

حيـاة الشرق

كتاب من القطع المتوسط فى ٣٨٤ صفحة

ألفه الأستاذ محمد لطفى جمعه المحامى

وعضو المجمع العلمى العربى

يجاهد الأستاذ الكبير محمد لطفى جمعه المحامى،فى سبيل الاسلام والشرق جهاد الأبطال المستميتين، وهو داعية من دعاة العرب الذين احتسبوا حياتهم لهذه الدعاية، باذلين فى إذاعتها جهد ما تطيقه النفس البشرية من جهود ، وهو بحاثة تستشف جلال بحثـه متى قرأت البحث الذى يزجيه فى أناة وصبر ، لأنه لا يترك ـ حين يبحث ـ مجالا للشك ، ولا موضـعا يباعد القارىء عن موطن الاقتناع .

ولقد أصدر كتابه الأخير «حياة الشرق» فاذا هو جولة صادقة فى ممالكه وبين أطرافه وفى دخائل شعبه وشعوبه ، وإذا هو سرحة تفىء إليها كل أمنية من أمانى المصلحين ، وإذا هو آخر الأمر صورة صادقة التعبير لوجوه الحياة التى جابهت الشرق من قرون

وإذا كانت بحوث الأستاذ لطفى جمعة معروفة بين قراء العربية بما يفيض عليها من التجويد فى الاستقصاء ، والدقة فى داء الفكرة، والقوة فى ملابسة التصوير ـ فان كتاب « حياة الشرق » لا يقل فى شىء عما أنتجه الأستاذ، وإنما يزيد عن كل ما أنتجه بجدة موضوعه، وجدة الآراء التى ازدحمت بين دفتيه .

وما نشك فى أن إقبال الناطقين بالضاد على اقتناء « حياة الشرق » سيكون الاقبال القمين به هذا السفر النفيس .

نداء للجنس اللطيف
كتاب من القطع المتوسط فى ١٢٤ صفحة
ألفه السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار»

ترقب الأستاذ السيد محمد رشيد رضا فرصة اليوم الذى يحتفل فيه المسلمون بذكرى المولد النبوى الشريف هذا العام ، فأصدر كتاباً فريداً فى بابه هو « نداء إلى الجنس اللطيف »وقد دل عنوانه على مراميه ، وأفصح عن صوره ومعانيه ، فهو فى الحق تاريخ شامل لحياة المرأة فى العرب ، وحياتها فى غير العرب من شعوب ، وهو سرد منطقى لعلاقتها بنفسها ، وعلاقتها بالمجتمع ، وقيمتها فى الاسلام ، وقد فند الأستاذ فيه مزاعم ما يزال أعداء الاسلام يتعهدون بها المرأة المسلمة ، فكان موفقا فى سياق حججه، وكان قويا فى أداء أفكاره ، شأنه فى كل ما يزاول من بحوث ، فنحمد إلى السيد رشيد هذا الجهد الذى يتوفر به على خدمة الاسلام فى كل ناحية من نواحيه .

تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده
الجزء الأول منه فى ١١٣٤ صفحة
مؤلف بقلم السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار »

فى حياة المرحوم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ما يغرى الكاتب على الاستفاضة فى تصويرها ، وما يغرى القارىء على استيعاب فصولها ، لأنها كانت حياة تمثل وثبة هائلة من وثبات الاصلاح المجيد ؛ فالمرحوم الشيخ محمد عبده لم يكن رجلا من رجال الدين البارزين فحسب ، وإنما كان رجلا من أولئك الذين تحتمل كواهلهم أعباء النظم كلها ، فله فى الدينيات، مثل ما له فى الاجتماعيات ، مثل ما له فى السياسيات ، مثل ما له فى كل ضرب من ضروب الأفكار والاراء التى تتحدث عن أشتات وأشتات من ألوان الآداب والعلوم والفنون .

ولقد لابس الأستاذ الامام فى حياته جمهرة من « الظروف » التى خلقت لهذه الحياة

المجيدة حركة دائمة ، ودوياً منقطع النظير ؛ وكانت ايامه مثلا للحكمة الذائعــة القائلة بـ « أن الدهر قلب ، والأيام حول » ، فبينما تراه قد بلغ الصميم من تقدير « رجال الحل والعقد » ، إذا بك تراه فى يوم آخر منفياً مشرداً ... ذلك أنه كان من رجال العقيدة ، الذين لا يرون فى الدنيا إلا أنها داعية إلى العمل ، وباعثة على بذل الجهود الجبارة فى ذمة الاصلاح ، ومن شأن رجال العقيدة أن تـكون حياتهم حياة قلقة ، وأن يكون مقامهم بين الناس مقاماً موزعاً ، فى أفهامهم لـكل عقل فيه اتجاه خاص ... على أن أولئك الرجال البارزين قلما ينالون بعد مماتهم قسطاً من التمرد ، وكثيراً ما فاءت إليهم من ألسنة الأحياء دعوات صالحات .

ولقد توفر السيد رشيد رضا على حياة الأستاذ الامام فأذاعها فى ثلاثة أجزاء كبيرة ، قدم منها جزءين ، ثم أتبعهما بالجزء الأول الذى نحن فى صدده .

وإذا نحن أردنا أن نقرظ جهود السيد رشيد ، فلن يكون فى ذلك التقريظ غنية ـ لـكل من يعجب بالأستاذ الامام ـ عن تلاوة تاريخه المفصل الذى نتمنى له الرواج والذيوع .

هدية السنة الاولى

الرسالة العــذراء

« الرسالة العذراء » اسم لرسـالة نفيسة ، تعد إحدى ذخائر الأدب العربى النفيس ، لابراهيم بن المدبر ، حوت من جليل البحث ، وطريف الفكر ، ورقة الأسلوب ، وسلاسة اللفظ ، ما جعلها ـ بحق ـ كنزاً من كـنوز أدبائنا العرب المغاوير .

وقد صححها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناول الـكلام فيها على فن الانشاء ومذاهب الـكتاب فى القرن الثالث ، الأستاذ البحاثة والعالم الفاضل الدكتور زكى مبارك .

وقد بعثت إدارة « المعرفة » بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين (الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الأولى) .

ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك تلك السنة بتسديدها ، لنبعث بتلك الهدية إليهم .

بين المعرفة وقرائها

مميزات الأدب الروسى

(النجف . العراق) السيد سلمى الحسنى — ما هى مميزات الأدب الروسى ؟

(المعرفة) يمتاز الأدب الروسى على غيره بسرد حوادث القصة سرداً تقريرياً، متمشياً فى ذلك مع المذهب الواقعى (Realism) ، فلا أثر فيه للخيال غالباً ، وثمة ميزة أخرى لا تقل عن سابقتها شأنا ، تلك هى اعتماده على التحليل النفسى ، والاستقراء المنطقى ، ثم هناك بعد ذلك ميزات أخر كتب عنها الأستاذ ثابت الفندى فى الجزء الأول من السنة الثانية «للمعرفة» الصادر فى أول مايو سنة ١٩٣٢ فارجع إليه إن شئت .

السياحة حول العالم

(الكويت . خليج فارس) الحاج عامر بن على السامرى — لى رغبة قوية للسياحة حول العالم مشيا على الأقدام ، فهل فى مستطاعى ذلك دون اللجوء إلى ركوب البحر ؟ وهل هناك من يساعدنى مالياً على القيام بهذا العمل الجليل ؟ وهل تستطيعون ذكر أول سفينة طافت حول العالم ؟

(المعرفة) يقول نابليون « ليس فى العالم شىء اسمه المستحيل » ونزيد على هذه العبارة قولنا « إذا صدقت النية وصحت العزيمة » ، فليس إذن من حائل يمنعك تحقيق رغبتك إن توفر لك صدق النية وصحة العزيمة ، ولكن لا بد من ركوب البحر ، فى أكثر بقاع العالم .

أما المساعدة المالية يا بطل ! فقد تكون بعيدة التحقيق ، إلا إذا عرضت فكرتك على إحدى الجمعيات العلمية ، ونالت قبولها واستحسانها.

أما أول سفينة دارت حول العالم ، فهى سفينة الرحالة البرتغالى العظيم (ماجلان Maglen) ، وقد كان ذلك فى أول القرن السادس عشر على ما نذكر .

الأشهر العربية

(طهران . فارس) شيخ أحمد خان أقا زاده — لاحظت مراراً عدة ، أنكم تعنون بتأريخ مجلتكم بالتاريخ الأفرنجى أكثر مما تعنون بالتاريخ العربى ، فما هو السبب فى ذلك ؟

(المعرفة) نشكر لحضرة السائل غيرته الاسلامية ، وحميته العربية ، وإن كان فارسيا ، ونجيبه — والأسف يملأ قلوبنا — بأن الأشهر العربية أصبحت غير معروفة فى أكثر البلاد الشرقية ، وليس من شك فى أن ذلك راجع إلى استبداد الغرب بالشرق ، بل نصارح حضرة السائل القول ، بأن أغلبنا — معشر المصريين — لا يكاد يحفظ الشهور العربية ، فهل يريدنا السيد على أن نؤرخ لأهل المريخ ؟

ومع هذا فأى جزء من أجزاء « المعرفة » لم تجد فيـه التاريخ العربى موضوعاً إلى جانب التاريخ الافرنجى ؟ ذلك ما لم يحصل مطلقا : فلعل حضرة السائل يراجع جميع الأعداد الماضية ليتحقق صدق ما تقول .

ونسجل هنا ما عثرنا عليه فى بعض قراءاتنا ، وهو أن معظم المؤرخين المسلمين كانوا يؤرخون الحوادث بالتاريخ الافرنجى منذ الحرب الصليبية .

أيهما يتزوج ؟

(القاهرة . مصر) عبد اللطيف سليمان — إننى موظف بأحدى الشركات التجارية ، وأبلغ من العمر ٢٠ سنة ، وأريد الزواج ، غير أن هناك عقبة تحول بينى وبين الاسراع فى الزواج ، وذلك أن لى قريبتين : إحداهما معلمة بأحدى المدارس الابتدائية الأميرية ، والثانية طبيبة أو بالحرى (مولدة) بأحدى المستشفيات التابعة لمصلحة الصحة ، ولا أستطيع المفاضلة بينهما ، فهما متساويتان تقريباً فى السن والجمال والثقافة والخلق ، وأصارح حضرة المحرر بأنى أحب الاثنتين حباً جماً ، ولست بقادر على التخلص من حب إحداهما والانفراد بحب الثانية ، أو تركهما معاً بلا حب .

وقد قرأت للمحرر كلمات كثيرة تثبت أنه لا يؤمن بصلاحية الزواج الذى يبنى على غير الحب ، وعليه فليس من المعقول أن ينصحنى بترك الحب ، فماذا أعمل ؟ ومن منهما أتزوج ؟ مع العلم بأن الاثنتين يبادلانى نفس الحب الذى أكنه فى قلبى لهما ؟

(المعرفة) إن مسألتك يا سيد عبد اللطيف فى منتهى البساطة ، وإن كانت تبدو معقدة كل التعقيد . وحرى بك أن تسأل أنت نفسك أيهما تحب ؟ ولا تدهش لطلبى هذا ، فـ« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » ؛ ولست أومن بهذا الحب المشترك ، وإنما أومن بأن الحب واحد لا تغيره الأعاصير أو تبليه الأيام ، إلا إذا كان ذلك الحب — الذى تحدثنا عنه — من النوع الاخر ، وهو الشائع — للأسف — بين شبان العصر وشوابه ؛ فان كان حبك شريفاً — وهو ما أرجوه — فتزوج من يرشدك إليها قلبك ، وفى مكنتك أن تخلو إلى نفسك دقائق معدودة ليصارحك بمن تصلح لك .

ولا عبرة يا سيدى بأن تكون معلمة أو طبيبة ، أو (مولدة) كما أردت أن تسميها ، فرب مولدة خير من كثيرات من المعلمات المتسكعات ، ولست أقول الجميع ، فانى أعرف من هذه الطائفة كثيرات فضليات تفخر بهن مصر وتعتز .

ثم إنه يبدو لى أنك يا أخى تحب المعلمة لا الطبيبة ، وعندى على ذلك الظن دليلان : أولهما تقديمك المعلمة على الطبيبة فى أول سؤالك ، والتقديم دليل المفاضلة ، وثانيهما أنك تعمدت الازراء بالطبيبة فسميتها « مولدة » ، وهذا إزراء فى غير موضعه ، إذ حسب « المولدة » شرفاً أنها تخدم الانسانية جمعاء دون تفريق أو تمييز .

مخترع طوابع البريد

(صالحجر . مصر) على ربيع — ما اسم ذلك الرجل الذى اخترع طوابع البريد ؟ وفى أى سنة ظهر اختراعه ، وما هى أولى الدول استعمالا له ؟

(المعرفة) أما المخترع فاسمه شارل مرز ؛ أما جنسيته فانكليزية ؛ أما السنة التى ظهر فيها الطابع فسنة ١٨٣٤ م ؛ أما أولى الدول استعمالا له فانجلترا — وهذا بديهى — وإن كنا تحققناه بعد ذلك .

الصحافة والاعلان

(أسوان . مصر) محمد رمالى — نسمع كثيراً أن الصحافة فى جميع بلاد العالم ، لا يمكن ظهورها ما لم يكن فيها إعلانات ، وخصوصاً فى البلاد الأوربية ، فهل هذا صحيح ؟ وهل من خطر على خطة الصحيفة التى تعتمد على الاعلانات ؟

(المعرفة) فى الحق أن الاعلانات قوام الصحف التى لا غنى لها عنها ، إذ أن الأجور التى تدفع عنها تسد العجز الذى يحدث فى نفقات الجريدة ، وكلما كثرت الاعلانات فى الصحيفة ، كلما قلت خسائرها وعوضتها أرباحاً . ولا تدهش من كلمة « خسائر » ، فان الصحيفة التى تدفع فيها ٥ ملليمات تكلف إدارة الجريدة أكثر من ٧ ملليمات ، ولا تأخذ الادارة سوى ثلاثاً أو ثلاثاً ونصفاً من الملليمات . فهذه الخسائر لا يعوضها سوى الاعلانات ؛ ولهذا نقرأ فى بعض المجلات العلمية بانجلترا — التى لا تعتمد على الاعلانات — نقداً مراً للصحف اليومية ، تتهمها فيه بأنها — أى الصحافة اليومية — مهددة دائماً بسلطة أصحاب الاعلانات الذين ينكبون على ابتياع أسهمها ، ويملون إرادتهم فى تحريرها وتنظيمها ، ويمنعون محرريها أو من يراسل الجريدة من قرائها ، نشر أى شىء يمس مصالحهم المالية .

وسيتحقق لك قولنا أكثر إذا علمت أن ورق الصحيفة إذا بيع خاماً أبيض كان ثمنه أكثر مما لو بيع مطبوعاً .

طاو وكونفشيوس

(بير السبع — فلسطين) جرجس صوما — نقرأ كثيراً عن الفلسفة الصينية ، ولكننا لم نعرف شيئاً عن مذهبى طاو وكونفشيوس ، فهل لكم أن تتفضلوا بتعريفنا عنهما ؟

(المعرفة) نشرنا سلسلة مقالات عن هذين المذهبين ، بعضها فى السنة الأولى « للمعرفة » وبعضها فى جريدة « العلم » التى تصدر فى القاهرة ، ونذكر أن ما كتبناه فى « العلم » كان حوالى ابريل ومايو سنة ١٩٢٩ ، فارجع إليه إن شئت .

مقالاتنا فى الفلسفة والتصوف

(اسكندرية . مصر) محمد أحمد صيام — كنتم فى السنة الأولى من حياة « المعرفة »

تعنون كل العناية بالكتابة عن المذاهب الفلسفية والصوفية ، وقد قرأت لكم عدة مقالات فى ذلك ، كانت موضع إعجاب كل من رآها ، بل كانت فتحاً جديداً فى عالم البحوث العلمية الدقيقة ، وإنى لأذكر ان قريباً لى من أساتذة الجامعة المصرية صرح: بأن بعض هذه المقالات لو جمع وقدم إلى إحدى الجامعات لمنحتكم إجازة علمية جديرة بمثل هذه البحوث ؟ فلماذا امتنعتم عن مواصلة البحث فى مثل هذه العلوم الدقيقة ؟

(المعرفة) لسنا نجد رداً على مديحك أكثر من عبارة «أخجلتم تواضعنا» التى قالها « سعد زغلول» الزعيم الخالد فى مثواه. أما المانع من مواصلة البحث ، فظروف كثيرة ، أهمها عدم استعداد أكثرية الشبان لفهم تلك البحوث ، وانصرافهم إلى مغريات الحياة ، ولا تنس أن عنصر الشباب عنصر قوى فى رواج الصحف .

ولو أنا رأينا من الجمهور معاونة صادقة تعوض علينا بعض ما نخسر ، وبعض ما نلقى من عنت الجامدين ودسائسهم ، إذن لواصلنا البحث ، ومع هذا فانا نعدك بالكتابة فى ما طلبت إن شاء الله ، وكل آت قريب .

رجاء

نرجو حضرات المؤلفين الذين بعثوا إلينا بكتبهم ، أو الصحفيين الذين بعثوا إلينا بصحفهم ، ولم نشر إليها ، أن يتفضلوا بارسال نسخة أخرى مما بعثوا ، أو يكتبوا إلينا مذكرين . وقد يكون من الخير لحضراتهم ، لو بعثوا ــ فى المستقبل ــ بنسختين مما يؤلفون .

هل أعجبك هذا الجزء ؟

أيها المصرى !

« المعرفة » ترجوك الاجابة عن هــذا السؤال « هل أعجبك هذا الجزء ؟ » ، فان كان جوابك إيجاباً ، فهل ناصرتها وعملت على نشرها بين إخوانك وأصدقائك وزملائك المصريين؟

إن « المعرفة » لها فى عنقك دين ، هو دين القومية ، فهل أديت ما فى عنقك لأخيك المصرى ؟

قدم « المعرفة » إلى أصدقائك وأعزائك ، وأرشدهم إلى ما يعجبك فيها .

أو فأرشدنا الى ما يروقك ، وما لا يروقك ، واذكر ما تراه من نقص ، فان فعلت ــ مخلصاً ــ أفدتنا أكثر مما نفيد من المديح والثناء .

اعتذار

نعتذر لحضرات الأدباء الذين يبعثون إلينا بمقالات قد يتأخر نشرها شهراً أو شهوراً، راجين أن يعتقدوا بأنا نحل آراءهم محلها من العناية والتقدير، وأن نشر مقالاتهم مرهون بمناسباتها الملائمة.